تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف بابن واضح الأخباري
المتوفى بعد سنة ٢٩٢

الجزء الثالث

من نشريات المكتبة المرتضوية في النجف

١٣٥٨

مطبعة الغري
النجف

تاريخ اليعقوبي

أقدم كتاب عربي يتضمن التاريخ على العموم
من آدم فما بعده الي ظهور الاسلام ومنه الى زمن
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف بابن واضح الاخباري
المتوفي بعد سنة ٢٩٢

الجزء الثالث

من منشورات المكتبة المرتضوية في النجف

١٣٥٨

مطبعة الغري
النجف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وأيام من أيام عبد الملك

كان عبد الله بن الزبير بن العوام — وأمه أسماء بنت أبي بكر — قد تغلب على مكة ، وتسمى بأمير المؤمنين . ومال اليه اكثر النواحي . وكان ابتداء أمره في أيام يزيد بن معاوية على ما اقتصصنا من خبره ومحاربته للحصين بن نمير . فلما توفي يزيد بن معاوية مال الناس من البلدان جميعاً الى ابن الزبير . وكان بمصر عبدالرحمن ابن جحدم الفهري عاملاً لابن الزبير وأهل مصر في طاعته . وبفلسطين ناتل بن قيس الجذامي . وبدمشق الضحاك بن قيس الفهري . وبحمص النعمان بن بشير الأنصاري وبقنسرين والعواصم زفر بن الحارث الكلابي . وبالكوفة عبد الله بن مطيع . وبالبصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وبخراسان عبد الله بن خازم السلمي . ولم تبق ناحية إلا مالت الى ابن الزبير خلا الأردن ورئيسها يومئذ حسان بن بحدل الكلبي وأخرج ابن الزبير بني أمية من المدينة وأخذ مروان بالخروج فاتى عبد الملك ابنه وهو عليل مُجدَر فقال له يا بني إن ابن الزبير قد أخرجني قال فما يمنعك أن تخرجني معك قال كيف أخرجك وأنت على هذا الحال قال لفني في القطن فان هذا رأي لم يتعقبه

ابن الزبير . فخرج وأخرج عبد الملك وتعقب ابن الزبير الرأي فعلم أنه قد اخطأ فوجه يردهم ففاتوه .

وقدم مروان وقد مات معاوية بن يزيد وأمر الشام مضطرب فدعا الى نفسه واجتمع الناس بالجابية من أرض دمشق فناظروا في ابن الزبير وفيما تقدم لبني أمية عندهم وتناظروا في خالد بن يزيد بن معاوية وفي عمرو بن سعيد بن العاص بعده فكان روح بن زنباع الجذامي يميل مع مروان فقام خطيباً فقال « يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم شيخ قريش والطالب بدم عثمان والمقاتل لعلي بن ابي طالب يوم الجمل ويوم صفين فبايعوا الكبير واستنيبوا الصغير ثم امرو بن سعيد » فبايعوا لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد . فلما عقدوا البيعة جمعوا من كان في ناحيتهم ثم تناظروا في أي بلد يقصدون فقالوا نقصد دمشق فانها دار الملك ومنزل الخلفاء وقد تغلب بها الضحاك بن قيس فقصدوا دمشق فلقوا الضحاك بمرج راهط وكان مع الضحاك من أهل دمشق وفتيتهم جماعة وقد أمدّه النعمان بن بشير عامل حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص وأمدّه زفر بن الحارث الكلابي بقيس بن طريف بن حسان الهلالي والتقوا بمرج راهط فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الضحاك بن قيس وخلق من أصحابه وهرب من بقي من جيشه وبلغ الخبر النعمان بن بشير وهو بحمص فخرج هارباً ومعه امرأته الكنانية وثقله وولده فتبعه قوم من حمير وباهلة فقتلوه في البرية واحتزوا رأسه ووجهوا به الى مروان بن الحكم وهرب زفر بن الحارث الكلابي والخيل تتبعه حتى أتى قرقيسيا وبها عياض الحرشي من مذحج فأغلق أبوابها دونه فلم يزل يخدعه حتى دخلها .

ووجه مروان حبيش بن دلجة القيني الى الحجاز لمحاربة ابن الزبير فسار حتى أتى المدينة . وعليها جابر بن الأسود بن عوف الزهري عامل ابن الزبير . وكتب ابن الزبير الى الحارث بن عبد الله عامله على البصرة أن يوجه اليهم بجيش فلقوا حبيشاً فقتلوه وقتلوا عامة أصحابه فلم يفلت منهم إلا الشريد فكان فيمن أفلت منهم يوسف بن الحكم

الثقفي وابنه الحجاج بن يوسف . ثم خرج مروان يريد مصر فلما سار الى فلسطين وجد ناتل بن قيس الجذامي متغلباً على البلد وأخرج روح بن زنباع فحاربه فلما لم يكن لناتل قوة على محاربة مروان هرب فلحق بابن الزبير وسار مروان يريد مصر حتى دخلها فصالحه أهلها وأعطوه الطاعة وأخرج ابن جحدم الفهري عامل ابن الزبير ﴿ وقيل ﴾ اغتاله فقتله وقتل اكيدر بن حمام اللخمي واستعمل عليها ابنه عبد العزيز بن مروان وانصرف .

وقام سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وخرجا في جماعة معهما من الشيعة بالعراق بموضع يقال له ﴿ عين الوردة ﴾ يطلبون بدم الحسين بن علي عليه السلام ويعملون بما أمر الله به بني إسرائيل إذ قال ﴿ فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ واتبعهم خلق من الناس . فوجه اليهم مروان عبيد الله بن زياد وقال إن غلبت على العراق فانت أميرها فلقي سليمان بن صرد فلم يزل يحاربه حتى قتله ﴿ وقيل ﴾ لم يقتل سليمان في أيام مروان ولكنه قتل في أيام عبد الملك .

ولما صار مروان الى الصنبرة من أرض الأردن منصرفاً من مصر بلغه أن حسان بن بحدل قد بايع عمرو بن سعيد فاحضره فقال له قد بلغني انك بايعت عمرو بن سعيد فانكر ذلك فقال له بايع لعبد الملك فبايع لعبد الملك ثم بعده لعبد العزيز بن مروان . ولم يبرح مروان من الصنبرة حتى توفي . وكان سبب وفاته أنه تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية فدخل اليه يوماً فافحش له في القول ثم أعاد عليه في يوم آخر مثل ذلك فدخل خالد الى أمه مغضباً فخبرها فقالت والله لا يشرب البارد بعدها فصيرت له سماً في لبن فلما دخل سقته إياه ﴿ وقال بعضهم ﴾ بل وضعت على وجهه وسادة حتى قتلته ﴿ وقال قوم ﴾ إنه توفي بدمشق ودفن بها . وكانت ولاية مروان تسعة أشهر فتوفي في شهر رمضان سنة ٦٥ وهو ابن احدى وستين سنة . وكان صاحب شرطته يحيى بن قيس الغساني

وحاجبه ابو سهل الأسود وصلى عليه عبـد الملك ابنه . وخلف من الولد اثني عشر ذكراً وهم : عبد الملك . وعبد العزيز . ومعاوية . وبشر . وعمر . وأبان وعبد الله . وعبيد الله . وأيوب . وداود . وعثمان . ومحمد .

وخلف أهل الشام بعبد الملك فأقبل مسرعاً الى دمشق خوفاً من وثوب عمرو بن سعيد . واجتمع الناس عليه فقال لهم إني أخاف ان يكون في أنفسكم مني شيء فقام جماعة من شيعة مروان فقالوا والله لتقومن الى المنبر أو لنضرين عنقك فصعد المنبر وبايعوه .

وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي أقبل في جماعة عليهم السلاح يريدون نصر الحسين ابن علي عليه السلام فأخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وضربه بالقضيب حتى شتر عينه فكتب فيه عبد الله بن عمر الى يزيد بن معاوية وكتب يزيد الى عبيد الله ان خل سبيله فخلى سبيله ونفاه . فخرج المختار الى الحجاز فكان مع ابن الزبير فلما لم ير ابن الزبير يستعمله شخص الى العراق فوافى وقد خرج سليمان بن صرد الخزاعي يطلب بدم الحسين عليه السلام فلما صار الى الكوفة اجتمعت اليه الشيعة فقال لهم إن محمد بن علي بن ابي طالب بعثني اليكم اميراً وأمرني بقتال المحلين والطلب بدماء اهل بيته المظلومين وإني والله قاتل ابن مرجانة والمنتقم لآل رسول الله (ص) ممن ظلمهم . فصدقه طائفة من الشيعة . وقالت طائفة نخرج الى محمد بن علي فنسأله فخرجوا اليه فسألوه فقال « ما احب الينا من طلب بثأرنا واخذ لنا بحقنا وقتل عدونا » فانصرفوا الى المختار فبايعوه وعاقدوه . واجتمعت طائفة وكان ابن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم فواعد المختار اصحابه ثم خرجوا بعد المغرب وصاحب الجيش ابراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر ونادى يا لثارات الحسين بن علي وكان ذلك سنة ٦٦ . والتحم القتال بينهم وبين عبد الله بن مطيع وكانت اشد حرب واصعبها . ثم صار ابن مطيع الى القصر ودعا الناس الى البيعة فبايعوا لآل رسول الله . ودفع المختار الى ابن مطيع مائة الف وقال له تحمل بها وانفذ لوجهك . وسرح المختار عماله الى النواحي

فأخرجوا من كان فيها وأقاموا بها ؛ وكان عامل المختار على الموصل عبد الرحمان بن سعيد بن قيس الهمداني فزحف اليه عبيد الله بن زياد بعد قتله سليمان بن صرد فحاربه عبد الرحمان وكتب الى المختار يخبره فوجه اليه يزيد بن أنس ثم وجه ابراهيم بن مالك ابن الحارث الأشتر فلقي عبيد الله بن زياد فقتله ، وقتل الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وحرّق أبدانهما بالنار ، وأقام واليًا على الموصل وأرمينية وآذربيجان من قبل المختار وهو على العراق واليًا ، ووجه برأس عبيد الله بن زياد الى علي بن الحسين عليه السلام الى المدينة مع رجل من قومه وقال له قف بباب علي بن الحسين فاذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس فاذ ذاك الوقت الذي يوضع فيه طعامه فادخل اليه ، فجاء الرسول الى باب علي بن الحسين عليه السلام فلما فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام نادى بأعلى صوته يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة ومنزل الوحي أنا رسول المختار ابن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت ودخل الرسول فأخرج الرأس فلما رآه علي بن الحسين عليه السلام قال أبعده الله إلى النار ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ لم ير ضاحكاً يوماً قط منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم وأنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام فلما أتي برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ففرقت في أهل المدينة وامتشطن نساء آل الرسول ﴿ ص ﴾ واختضبن ، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي ﴿ ع ﴾ وتتبع المختار قتلة الحسين فقتل منهم خلقاً عظيماً حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وقتل عمر بن سعد وغيره وحرق بالنار وعذب باصناف العذاب .

وهدم ابن الزبير الكعبة في جمادى الآخرة سنة ٦٤ حتى ألصقها بالأرض وذلك ان الحصين بن (نمير لما أراد ابن الزبير هدمها) امتنع وامتنع الناس من الهدم فعلا عبد الله بن الزبير على البيت فهدم فلما رآه الناس يهدم هدموا فلما ألصقها بالأرض خرج

ابن عباس من مكة إعظاماً المقام بها وقد هدمت الكعبة وقال له اضرب حوالي الكعبة الخشب لا تبق الناس بغير قبلة ﴿ وروى ﴾ ابن الزبير عن خالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت قال لي رسول الله يا عائشة إن بدا لقومك أن يهدموا الكعبة ثم يبنوها فلا يرفعوها عن الأرض وليصيروا لها بابين ، فلما بلغ ابن الزبير بالهدم الى القواعد أدخل الحجر في البناء حتى رفعها وجعل لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً وصير على كل باب مصراعين وكان على بابها الأول مصراع واحد وجعل طول البابين إحدى عشرة ذراعاً وكان ارتفاعها في السماء ثماني عشرة ذراعاً فجعلها ابن الزبير تسعاً وعشرين ذراعاً ولم يرفعها عن الأرض بل جعلها مستوية مع وجه الأرض وكان قد أخذ الحجر الأسود فجعله عنده في بيته فلما بلغ البناء الى موضع الحجر أمر فحفر له في الحجار على قدره ثم أمر ابنه عباداً أن يأتي وهو في صلاة الظهر فيضعه في موضعه والناس في الصلاة لا يعلمون فاذا فرغ من وضعه كبر فجاء عباد بن عبد الله ابن الزبير بالحجر وأبوه يصلي بالناس الظهر في يوم شديد الحر فشق الصفوف حتى صار الى الموضع ثم وضعه وطول ابن الزبير الصلاة حتى وقف عليه فلما رأت قريش ذلك غضبت وقالت والله ما هكذا فعل رسول الله ولقد حكمته قريش فجعل لكل قبيلة نصيباً ، وكان لما أصابه الحريق تصدّع بثلاث قطع فشده ابن الزبير بالفضة ، ولما فرغ من البناء خلّق (١) داخل الكعبة وخارجها فكان أول من خلقها وكساها القباطي ، واعتمر من التنعيم ومشى .

ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج وذلك إن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة فضج الناس وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا فقال لهم هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي

(١) خلق : بتشديد اللام طيب بالخلوق .

ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد الى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة وأقام بذلك أيام بني أمية .

وتحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً وأظهر لهم العداوة والبغضاء حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد ﴿ ص ﴾ في خطبته ، فقيل له لمَ تركت الصلاة على النبي فقال إن له أهل سوء يشرأبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به ؛ وأخذ ابن الزبير محمد ابن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبايعوا له فامتنعوا فحبسهم في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إلهَ إلا هو ليبايعن أو ليحرقنهم بالنار ، فكتب محمد ابن الحنفية الى المختار بن أبي عبيد ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله الى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين أما بعد فان ابن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إلهَ إلا هو لنبايعنه أو ليضرمنها علينا بالنار فيا غوثاه ﴾ فوجه اليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجدلي في أربعة آلاف راكب فقدم مكة فكسر الحجرة وقال لمحمد بن علي دعني وابن الزبير قال لا أستحل من قطع رحمه ما استحل مني ، وبلغ محمد ابن علي بن أبي طالب أن ابن الزبير قام خطيباً فنال من علي بنْ أبي طالب [ع] فدخل المسجد الحرام فوضع رحلاً ثم قام عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال : ﴿ شاهت الوجوه يا معشر قريش أيقال بين أظهركم وأنتم تسمعون ويذكر علي فلا تغضبون ، ألا إن علياً كان سهماً صائباً من مرامي الله أعدائه يضرب وجوههم ويهوعهم مآكلهم ويأخذ بحناجرهم ؛ ألا وإنا على سنن ونهج من حاله وليس علينا في مقادير الأمور حيلة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ فبلغ قوله عبد الله بن الزبير فقال عذرت بني الفواطم فما بال ابن أمة بني حنيفة ، وبلغ محمداً قوله فقال : ﴿ يا معاشر قريش

وما ميزني من بني الفواطم أليست فاطمة ابنة رسول الله حليلة أبي وأم اخوتي ، أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتي وأم أبي ، اليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم جدة أبي وأم جدتي ، أما والله لولا خديجة بنت خويلد لما تركت في اسد عظماً إلا هشمته فاني بتلك التي فيها المعاب خبير ﴾ ولما لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم وعجز عما دبّره فيهم اخرجهم عن مكة واخرج محمد ابن الحنفية الى ناحية رضوى ، واخرج عبد الله بن عباس الى الطائف إخراجاً قبيحاً ، وكتب محمد ابن الحنفية الى عبدالله بن عباس ﴿ اما بعد فقد بلغني ان عبد الله الزبير سيرك الى الطائف فرفع الله بك اجراً واحتط عنك وزراً يابن عم انما يبتلي الصالحون وتعد الكرامة للأخيار ولو لم تؤجر إلا فيما نحب وتحب قل الأجر فاصبر فان الله قد وعد الصابرين خيراً والسلام ﴾

﴿ وروى بعضهم ﴾ ان محمد ابن الحنفية صار ايضاً الى الطائف فلم يزل بهـا وتوفي ابن عباس بها في سنة ٦٨ وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمـد ابن الحنفية ودفن عبد الله بن عباس بالطائف في مسجد جامعها وضرب عليه فسطاط ، ولما دفن اتى طائر ابيض فدخـل معه في قبره ﴿ فقال ﴾ بعض الناس علمه ﴿ وقال ﴾ آخرون عمله الصالح ﴿ قال ﴾ عبد الله بن عباس اردفني رسول الله ﴿ ص ﴾ ثم قال لي ياغلام الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى يا رسول الله قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده امامك ، اذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ولو جهد الخلق على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، فعليك بالصدق في اليقين إن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً .

وكان لعبد الله بن العباس من الولد خمسة ذكور ، علي بن عبد الله

وهو أصغرهم سناً (١) إلا أنه تقدم لشرفه ونبله ، والعباس كان اكبر ولده وكان يلقب « الأعنق » ومحمد ، والفضل ، وعبد الرحمان .

وفي هذه السنة وقفت أربعة ألوية بعرفات ، محمد ابن الحنفية في أصحابه ، وابن الزبير في أصحابه ، ونجدة بن عامر الحروري ، ولواء بني أمية « وقال » المساور ابن هند بن قيس « وتشعبوا شعباً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين » (٢)

ووجه عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير الى العراق فقدمها سنة ٦٨ فقاتله المختار وكانت بينهم وقعات مذكورة ؛ وكان المختار شديد العلة من بطن به فأقام يحارب مصعباً أربعة أشهر ثم جعل أصحابه يتسللون منه حتى بقي في نفر يسير فصار الى الكوفة فنزل القصر ، وكان يخرج في كل يوم فيحاربهم في سوق الكوفة أشد محاربة ثم يرجع الى القصر ، وكان عبيد الله بن علي بن أبي طالب مع مصعب بن الزبير فجعل مصعب يقول يا أيها الناس المختار كذاب وإنما يغركم بانه يطالب بدم آل محمد وهذا ولي الثأر — يعني عبيد الله بن علي — يزعم أنه مبطل فيما يقول ، ثم خرج المختار يوماً فلم يزل يقاتلهم أشد قتال يكون حتى قتل ودخل أصحابه الى القصر فتحصنوا وهم سبعة آلاف رجل فأعطاهم مصعب الأمان وكتب لهم كتاباً باغلظ العهود وأشد المواثيق فخرجوا على ذلك فقدمهم رجلاً رجلاً فضرب أعناقهم ؛ فكانت أحد الغدرات المذكورة المشهورة في الاسلام وأخذ أسماء بنت النعمان بن بشير امرأة المختار بن أبي عبيد فقال لها ماتقولين في المختار بن ابي عبيد قالت أقول إنه كان تقياً نقياً صواماً قال يا عدوة الله أنت ممن يزكيه فأمر بها فضربت عنقها ، وكانت اول امرأة ضربت عنقها صبراً ، فقال عمرو بن ابي ربيعة المخزومي :

---

(١) وهو الذي قال فيه علي أمير المؤمنين عليه السلام لأبيه عبد الله لما حنكه « خذ اليك أبا الأملاك » (عن هامش الأصل)

(٢) كذا في الأصل ، والظاهر أنه بيت شعر بزيادة (خطيب) فيقرأ :

وتشعبوا شعباً فكل قبيلة * فيها أمير المؤمنين خطيب [م ص]

إن من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها بغير جرم اتته * إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

فلما قتل مصعب بن الزبير المختار واستقامت له امور العراق حسده عبد الله بن الزبير على ذلك فوجه حمزة ابنه الى البصرة وكتب الى مصعب ان يصرف أمر البصرة الى حمزة ففعل ذلك فكان حمزة من اضعف الناس واقلهم علماً بالأمر ثم اجتبى خراج البصرة ونفذه الى ابيه الى مكة ، ووفد مصعب على اخيه عبد الله فجفاه حتى كان ليدخل فيسلم فلا يرفعه ، فلما قدم على عبدالله ابنه حمزة رد مصعب الى العراق ، وقتل عبد الله بن الزبير اخاه عمرو بن الزبير لعداوة كانت بينه وبينه ولمبايعته لمروان بن الحكم ﴿ وقيل ﴾ إنه كان على شرطة عمرو بن سعيد فوجه به عمرو لمحاربة اخيه فقتله .

وولى ابن الزبير المهلب بن ابي صفرة خراسان وكان مع مصعب فقدم البصرة وقد حصرت الخوارج اهلها وغلبت على جميع سوادها وكورها فلم يبق في ايدي اهلها إلا المدينة ، فلما قدم عليهم المهلب فزع اليه اشراف الناس ووجوههم واتاه الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومالك بن مسمع فيمن معهم من العشائر فقالوا ﴿ يا ابا سعيد انت شيخ الناس وسيف العراق وقد ترى ما فيه اهل مصرك من الخوارج المارقة والاقامة على منع اهل بلدك والذب عن حريمك اولى لك من خراسان ﴾ فقال نعم اقيم على محاربة هؤلاء على ان لي جميع ما اغلبهم عليه وانتزعه من ايديهم من خراج وغيره فاجابته العشائر الى ذلك خلا مالك بن مسمع فانه امتنع عليه ، وكانت في مالك ابهة شديدة وكبر معروف فوثب الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود على مالك بن مسمع فقالا له ارايت الذي تمنعه ابا سعيد اهو شيء في يدك او في يد عدوك قال في يد عدوي قالا فوالله ما انصفته ان تسأله ان يحمي دمك وحرمتك ثم تمنعه ما انت مغلوب عليه

فهو يحمل لك ما سألت وقم بمحاربة القوم قال لا أقوى على ذلك فقالا فهذا الظلم والعجز ثم حملوا جميعاً للمهلب ماسأل فأقام على محاربة الخوارج (ورئيسهم يومئذ نافع بن الأزرق وبه سموا الأزارقة) حتى أجلاهم عن البصرة .

وسار عبد الملك الى مصعب بن الزبير في سنة ٧١ فلقيه بموضع يقال له ﴿ دير الجاثليق ﴾ على فرسخين من الأنبار فكانت بينهم وقعات وحروب وجادّه عبد الملك القتال وخذل مصعباً اكثر أصحابه وكان اكثر من خذله منهم ربيعة ثم حملوا عليه وهو جالس على سريره فقتلوه وحزّ رأسه عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى به عبد الملك فلما وضعه بين يديه خر ساجداً فقال عبيد الله فهممت أن أضرب عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد ﴿ وقال بعضهم ﴾ (١) دخلت على عبد الملك بن مروان وبين يديه رأس مصعب بن الزبير فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيت في هذا الموضع عجباً قال وما رأيت قال رأيت رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد ورأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ورأيت رأس المختار بن أبي عبيد بين يدي مصعب بن الزبير ورأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك قال فخرج من ذلك البيت وأمر بهدمه ، وكان قتل مصعب بن الزبير في ذي القعدة سنة ٧٢ .

﴿ وقال ﴾ المضاء بن علوان كاتب مصعب بن الزبير دعاني عبد الملك بعد ما قتل مصعباً فقال لي علمت أنه لم يبق من أصحاب مصعب وخاصته أحد إلا كتب إلي يطلب الأمان والجوائز والصلات والاقطاعات ، قلت قد علمت يا أمير المؤمنين أنه لم يبق من أصحابك أحد إلا وقد كتب إلى مصعب بمثل ذلك وهذه كتبهم عندي قال فجئني بها فجئته باضبارة عظيمة فلما رآها قال ما حاجتي أن أنظر فيها فافسد صنائعي وافسد قلوبهم علي يا غلام أحرقها بالنار فأحرقت .

(١) القائل هو عبد الملك بن عمير اللخمي . (م . ص)

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير ندب الناس للخروج الى عبد الله بن الزبير فقام اليه الحجاج بن يوسف الثقفي فقال ابعثني اليه يا أمير المؤمنين فاني رأيت في المنام كأني ذبحته وجلست على صدره وسلخته فقال أنت له فوجهه في عشرين الفاً من أهل الشأم وغيرهم ، وقدم الحجاج بن يوسف فقاتلهم قتالاً شديداً وتحصن بالبيت فوضع عليه المجانيق فجعلت الصواعق تأخذهم ويقول يا أهل الشأم لا تهولنكم هذه فانما هي صواعق تهامة فلم يزل يرميه بالمنجنيق حتى هدم البيت فكتب اليه عبد الملك بن مروان وهو في محاربته ﴿ أوصيك يا حجاج بما أوصى به البكري زيداً والسلام ﴾ فقام الحجاج خطيباً فقال أيكم يدري ما أوصى به البكري زيداً وله عشرة آلاف درهم فقام رجل من القوم فقال أنا أدري ما أوصى به البكري فدعا ببدرة فدفعت اليه فقال .

أقول لزيد لا تترتر فانهم * يرون المنايا دون قتلك أو قتلي

فان وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا * فشب وقود النار بالحطب الجزل

فان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف مثلك أو مثلي .

ورأى ابن الزبير من أصحابه تثاقلاً عنه وكان يجري لهم نصف صاع من تمر فقال ﴿ أكلتم تمري وعصيتم أمري ﴾ وكان شديد البخل ، ولما علم ابن الزبير أنه لا طاقة له بالحرب دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر فقال كيف أصبحت يا أمه قالت : إن في الموت لراحة وما أحب أن أموت إلا بعد خلتين إما أن قتلت فاحتسبك أو ظفرت فقرت عيني ، قال يا أمه إن هؤلاء قد أعطوني الأمان فما ذا تقولين قالت يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت على حق واليه تدعو فلا تمكن عبيد بني أمية منك يتلاعبون بك وان كنت على غير الحق فشأنك وما تريد ، قال يا أمه إن الله ليعلم اني ما أردت إلا الحق ولا طلبت غيره ولا سعيت في ريبة قط ، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ولكن لأطيب نفس أمي ، ثم قال يا أمه إني اخاف إن قتلني هؤلاء القوم ان يمثلوا بي

قالت يا بني إن الشاة لا تألم للسلخ إذا ذبحت قال الحمد لله الذي وفقك وربط على قلبك وخرج فخطب الناس فقال ﴿ أيها الناس إن الموت قد أظلكم سحابه وأحدق بكم ربابه فغضوا ابصاركم عن الأبارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يلهينكم التساؤل ولا يقولن قائل أين امير المؤمنين ألا من سأل عني فاني في الرعيل الأول ﴾ ثم نزل فقاتل حتى قتل ، وكان قتله سنة ٧٣ وله إحدى وسبعون سنة ، وصلب بالتنعيم فاقام ثلاثة وقيل سبعة أيام ، ثم جاءت أمه اسماء بنت ابي بكر وهي عجوز عمياء حتى وقفت على الحجاج فقالت أما آن لهذا الراكب أن ينزل بعد ، أما اني سمعت رسول الله [ص] يقول إن في بني ثقيف مبيراً وكذاباً فاما المبير فانت وأما الكذاب فالمختار بن ابي عبيد فقال من هذه فقيل ام ابن الزبير فأمر به فانزل ﴿ وروى بعضهم ﴾ ان الحجاج خطبها فقالت وهو يخطب (عمياء بنت المائة) فقال ما اردت إلا مسالفة رسول الله ومر عبد الله بن عمر على عبد الله بن الزبير وهو مصلوب فقال يرحمك الله أبا خبيب لولا ثلاث كن فيك لقلت أنت انت ، إلحادك في الحرم ، ومسارعتك إلى الفتنة ، وبخل بكفك ، ومازلت اتخوف عليك هذا المركب وما صرت اليه مذ كنت اراك ترمق بغلات شهباً كن لابن حرب فيعجبنك إلا انه كان أسوس لدنياه منك .

واقام الحج للناس في هذه السنين في سنة ٦٣ عبد الله بن الزبير ، وفي سنة ٦٤ ابن الزبير ﴿ وقيل ﴾ يحيى بن صفوان الجمحي ، وفى سنة ٦٥ وسنة ٦٦ وسنة ٦٧ ابن الزبير ، وفى سنة ٦٨ وقفت اربعة الوية بعرفات لواء مع محمد ابن الحنفية واصحابه ، ولواء مع ابن الزبير ، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري ، ولواء مع بني امية ، وفى سنة ٦٩ وسنة ٧٠ وسنة ٧١ ابن الزبير .

أيام عبد الملك بن مروان

وملك عبد الملك بن مروان بن الحكم — وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص بن امية ، جداه جميعاً طريدا رسول الله ﴿ ص ﴾ — وكانت البيعة له

بالشام فى اليوم الذي توفي فيه مروان ، وذلك فى شهر رمضان سنة ٦٥ ، وكانت الشمس يومئذ في الثور سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة ، والقمر فى الحمل خمساً وعشرين دقيقة ، وزحل فى السنبلة ثماني عشرة درجة وخمسين دقيقة راجعاً ، والمشتري فى الجوزاء اثنتين وعشرين درجة وعشر دقائق ، والمريخ فى الحمل تسع عشرة درجة وعشر دقائق ، والزهرة فى السرطان درجتين وعشرين دقيقة ، وعطارد فى الجوزاء ثلاث درجات ، والرأس فى الحوت عشرين درجة وعشرة دقائق .

وقد ذكرنا خبر بيعته فى ايام ابن الزبير وما كانت عليه البلدان من الاضطراب وتغلب من تغلب على كل بلد . وخبر سليمان بن صرد الخزاعي وابراهيم بن مالك ابن الحارث الأشتر وقتله عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وغير ذلك مما دخل فى نسق ايام ابن الزبير . وكان قوم قد قالوا إنما تحق الخلافة لمن كان الحرمان فى يده ولمن أقام الحج للناس فلذلك ادخلنا خبر مروان واياماً من ايام عبد الملك فى خبر ابن الزبير .

واستقامت الشام لعبد الملك بن مروان خلا فلسطين فان ناتل بن قيس كان بها فلما اراد عبد الملك النهوض اتاه الخبر بان طاغية الروم قد اناخ على المصيصة فكره ان يتشاغل بمحاربته مع اضطراب البلدان فوجه اليه فصالحه وحمل اموالاً كثيرة اليه حتى انصرف وكان عبد الملك لما احكم امر الشام ووجه روح بن زنباع الجذامي الى فلسطين شخص عن دمشق حتى صار الى بطنان يريد قرقيسيا لمحاربة زفر بن الحارث . وامر ابن الزبير على حاله فلما صار الى بطنان من ارض قنسرين اتاه الخبر بأن عمرو بن سعيد بن العاص قد وثب بدمشق ودعا الى نفسه وتسمى بالخلافة واخرج عبد الرحمان بن عثمان الثقفي خليفة عبد الملك بدمشق . وكانت ام عبد الرحمان ام الحكم بنت ابي سفيان بن حرب وحوى الخزائن وبيوت الأموال فعلم عبد الملك انه قد اخطأ فى خروجه عن دمشق فانكفأ راجعاً الى دمشق فتحصن عمرو بن سعيد ونصب له الحرب وجرت بينهم السفراء

حتى اصطلحا وتعاقدا وكتبا بينهما كتاباً بالعهود والمواثيق والأيمان على أن لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك ودخل وانحاز مع عمرو بن سعيد اصحابه فكانوا يركبون معه إذا ركب الى عبد الملك ثم دبّر عبد الملك على قتل عمرو ورأى أن الملك لا يصلح له إلا بذلك فدخل عليه عمرو عشيةً وقد أعد له جماعة من أهله ومواليه ومن كان عنده ممن سواهم فلما استوى لعمرو مجلسه قال له يا أبا أمية إني كنت حلفت في الوقت الذي كان فيه من أمرك ما كان إني متى ظفرت بك وضعت في عنقك جامعة وجمعت يديك اليها . فقال يا أمير المؤمنين نشدتك بالله أن تذكر شيئاً قد مضى فتكلم من بحضرته فقالوا وما عليك أن تبرّ قسم أمير المؤمنين فأخرج عبد الملك جامعة من فضة فوضعها في عنقه وجعل يقول :

أدنيته مني ليسكن روعه * فأصول صولة حازم متمكن

وجمع يديه الى عنقه فلما شد المسمار جذبه اليه فسقط لوجهه فانكسرت ثنيتاه . فقال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك عظم مني كسرته إلى ان تركب مني اكثر من ذلك أو تخرجني الى الناس فيروني على هذه الصورة . وإنما أراد ان يستفزه فيخرجه وكان على الباب من شيعة عمرو بن سعيد نيف وثلاثون الفاً منهم عنبسة بن سعيد فقال له أمكراً ياابا أمية وانت في الأنشوطة وليس باول مكر . إني والله لو علمت أن الأمر يستقيم ونحن جميعاً باقيان لافتديتك بدم النواظر ولكني اعلم أنه ما اجتمع فحلان في إبل إلا غلب احدهما، وقتله وفرق جمعه . وطرح رأسه الى اصحابه . ونفى اخاه عنبسة الى العراق وكان ذلك سنة ٧٠ .

وكان عبد الله بن خازم السلمي متغلباً على خراسان منذ استخلفه سلم بن زياد في ايام يزيد بن معاوية ثم صار في طاعة ابن الزبير على ما بيناه من خبره . فلما استقامت امور عبدالملك كتب اليه ﴿ أما بعد فأهد لنا طاعتك نضعك موضعك ونقرك على عملك وعقبك ما اغنوا عنا وعن المسلمين ﴾ وبعث بالكتاب مع عتبة النميري وبعث معه

برأس مصعب بن الزبير وأعدّ عبدالله الرأس ولفه في ثوبين وطرح عليه مسكا كثيراً ودفنه وقال لعتبة النميري كل الكتاب فقال اكلاً جميلاً فاحرقه بالنار ثم أسقاه إياه وكتب الى عبد الملك ﴿ أما بعد فاني لم اكن لألقى الله ببيعتين بيعة رضوان مع ابن حواري رسول الله انتزعها وبيعة نكث مع ابن طريد رسول الله البسها . وكان اهل خراسان مبغضي عبد الله بن خازم لسوء سيرته فيهم . فوثب به جماعة منهم بكير بن وساج ووكيع بن عمير فقتلوه وبعثوا براسه الى عبد الملك بن مروان فلما ورد عليه الخبر واتاه الراس بعث امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية على خراسان فقدم خراسان وقد وثب موسى بن عبد الله بن خازم السلمي وراسل طرخون ملك السغد فاجابه الى ان يمده . ووثب بكير بن وساج الثقفي بمرو في جماعة وغلب على مرو فحاربها امية وبدأ بمرو فحارب بكير بن وساج فتحصن منه ثم اعطاه الأمان فخرج اليه . ثم بلغ امية ان بكيراً يدبر على ان يثب به فقدمه وضرب عنقه ووجه امية بابنه عبد الله على هراة وسجستان فلقي رتبيل بن امية فقتله .

واقر عبد الملك المهلب بن ابي صفرة على قتال الخوارج الذين بكرمان فجادهم المهلب القتال حتى قتل رئيسهم نافع الأزرق الذي يسمون به الأزارقة . واقام بكرمان ثم ولاه عبدالملك خراسان مكان امية ورد عبدالملك اخاه عبدالعزيز الى مصر والمغرب وولى أخاه بشراً العراق وولى اخاه محمداً الموصل . ونقل اليها الأزد وربيعة من البصرة . وغزا ارمينية وقد خالف أهل البلد فقتل وسبى ثم كاتب الأشراف من اهل البلد والذين يقال لهم الأحرار واعطاهم الأمان ووعدهم ان يفرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خلاط . وامر بجمع الحطب حول الكنائس واغلق ابوابها عليهم ثم ضرب تلك الكنائس بالنار فحرقهم جميعاً . واقام محمد بن مروان بارمينية حتى مات .

واعاد الحجاج بنيان الكعبة وجعل لها باباً واحداً على ما كانت عليه قبل ان يبنيها ابن الزبير ونقض منها ما كان ابن الزبير زاده مما يلي الحجر وهو ستة اذرع وكبسها

بالردم الذي خرج منها ورفع بابها على ما كان عليه ونقص من طوله حتى صيّره على ما هو عليه اليوم وفرغ من بنائها في سنة ٧٤ ، وختم أعناق قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليذلهم بذلك ؛ منهم جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي وجماعة معهم ، وكانت الخواتيم رصاصاً ·

وكان نجدة بن عامر الحنفي الحروري قد خرج في أيام ابن الزبير بناحية اليمامة ثم صار الى الطائف فوجد ابنة لعمرو بن عثمان بن عفان قد وقعت في السبي فاشتراها من ماله بمائة الف درهم وبعث بها الى عبد الملك ، ثم سار الى البحرين ووجه مصعب ابن الزبير بخيل بعد خيل وجيش بعد جيش فهزمهم وظهرت من نجدة أمور أنكرتها الخوارج ، وكان قد أقام خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وطوائف من أرض العرض فلما نقمت الخوارج ما نقمت من دفع عشرة آلاف الى مالك بن مسمع وبعثه بابنة عمرو بن عثمان الى عبد الملك خلعوه وأقاموا أبا فديك ، فوجه اليه عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فهزمه ابو فديك وفضحه وأخذ اثقاله وحرمه ثم وجه اليه عمر بن عبيد الله بن معمر فلقي أبا فديك بالبحرين ومع عمر أهل الكوفة فقتل أبا فديك واستنقذ منه حرم أمية بن عبد الله .

وولى عبد الملك الحجاج في هذه السنة العراق وكتب اليه كتاباً بخطه « أما بعد يا حجاج فقد وليتك العراقين صدقة فاذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة ، وإياك وهوينا الحجاز فان القائل هناك يقول الفاً ولا يقطع بهن حرفاً ، وقد رميت العرض الأقصى فارمه بنفسك وأرد ما أردته بك والسلام »

فلما قدم الكوفة صعد المنبر متلثماً بعمامته متنكباً قوسه وكنانته فجلس على المنبر مليا لا يتكلم حتى هموا أن يحصبوه ثم قال « يا أهل العراق ويا أهل الشقاق والنفاق والمراق ومساوي الأخلاق إن امير المؤمنين نثل كنانته فعجمها عوداً عوداً فوجدني من أمرّها عوداً وأصعبها كسراً فرما كم بي وإنه قلدني عليكم سوطاً وسيفاً فسقط السوط وبقي السيف »

وتكلم بكلام كثير فيه توعد وتهدد ثم نزل وهو يقول :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

ولما استقامت الأمور لعبد الملك وصلحت البلدان ولم تبق ناحية تحتاج الى صلاحها والاهتمام بها خرج حاجاً سنة ٧٥ فبدأ بالمدينة وأحرم من ذي الحليفة ودخل وهو يلبي ودخل المسجد وهو يلبي ، وخطب في أربعة أيام في كل يوم خطبة وصلى المغرب عشية عرفة قبل أن يصير الى جمع ، وكان فيما خطب به في بعض أيامه أن قال ﴿ لقد قمت في هذا الأمر وما أدري احداً أقوى عليه مني ولا أولى به ولو وجدت ذلك لوليته ، إن ابن الزبير لم يصلح أن يكون سائساً وكان يعطي مال الله كأنه يعطي ميراث أبيه ، وإن عمرو بن سعيد أراد الفتنة وأن يستحل الحرمة ويذهب الدين وما أراد صلاحاً للمسلمين فصرعه الله مصرعه ؛ وإني محتمل لكم كل أمر إلا نصب راية ، وإن الجامعة التي وضعتها في عنق عمرو عندي واني اقسم بالله لا أضعها في عنق أحد فانتزعها منه إلا صعداً ﴾ وأتاه علي بن عبد الله بن عباس فذم اليه ابن الزبير وأعلمه ما كان أبوه وأهل بيته لقوا منه لامتناعهم من بيعته وأن أباه أوصاه ليلحق به ؛ فأحسن عبد الملك إجابته وحمله وحمل عياله الى الشام وانزله داراً بدمشق ولم يزل يجري عليه أيامه كلها ، ولما أراد عبد الملك الانصراف وقف على الكعبة فقال ﴿ والله إني وددت أني لم اكن أحدثت فيها شيئاً وتركت ابن الزبير وما تقلد ﴾

وقدم عبد الملك راجعاً الى المدينة فوافاها في أول سنة ٧٦ فاغلظ لأهلها في القول وقام خطباؤه ونالوا من أهل المدينة ، وقام محمد بن عبد الله القاري فقال لبعض الخطباء وهو يتكلم كذبت لسنا كذلك فأخذه الحرس فجروه حتى ظن الناس أنهم قاتلوه فأرسل اليهم أن كفوا عنه وخلوا سبيله . فاقام بالمدينة ثلاثاً ثم انصرف الى الشام .

وفي هذه السنة خرج شبيب بن يزيد الشيباني الحروري بالعراق وهي سنة ٧٦ فوجه اليه الحجاج الجيش بعد الجيش فهزمهم شبيب . وكان شبيب يتنقل فيما بين

السواد والجبل . ثم دخل الكوفة ليلاً حتى وقف على باب الحجاج في القصر فضرب بابه بالعمود وقال اخرج الينا يا بن ابي رغال . وكان شبيب في نفر يسير وكانت معه امرأته غزالة وأمه جهيزة . ثم صار الى المسجد الجامع فقتل من به من الحرس وقتل ميموناً مولى حوشب بن يزيد صاحب شرط الحجاج . وكان ميمون هذا يسمى العذاب . وصلى بالناس بالمسجد الجامع فقرأ بهم البقرة وآل عمران . ثم خرج الحجاج في طلبه يقاتله في سوق الكوفة أشد قتال واتبعه . وكان لحق شبيباً من اصحابه نحو مائة رجل ثم حمي الناس فجعلوا يتنادون حتى انهزم . فوجه الحجاج في أثره علقمة بن عبد الرحمان الحكمي فلم يزل ينتقل من موضع الى موضع حتى صار الى الأهواز . ثم وجه الحجاج في طلبه سفيان بن الأبرد الكلبي فطلبه حتى انتهى الى دجيل فاقبل شبيب نحوه وسار على الجسر فلما توسطه قطع سفيان جسر دجيل فدارت السفن فغرق شبيب ثم استخرجه بالشباك فاحتز رأسه ووجه به الى الحجاج وقتل امرأته وأمه وكان غرقه سنة ٧٨ .

وخرج بعد قتل شبيب أبو زياد المرادي بجوخى فوجه اليه الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي فلقيه بالفلوجة فقتله . ثم خرج بعد قتل أبي زياد أبو معبد رجل من عبد القيس بناحية البحرين فبعث اليه الحجاج الحكم بن ايوب بن الحكم الثقفي — وكان يومئذ عاملاً على البصرة — فقتله . وألح الحجاج في قتال الأزارقة واشتد استبطاؤه فجادهم المهلب فما زال يهزمهم من منزل الى منزل حتى انتهى بهم الى سجستان فقتل عطية بن الأسود الحنفي وكان من رؤساء الخوارج . ثم جدّ بهم الأمر حتى صاروا الى كرمان . ثم وقع بأسهم بينهم بكرمان في كذبة وقعوا عليها من قطري فقالوا له تب فكره أن يوجب على نفسه التوبة فخلعوه وكان في عسكره رجلان عبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير . فلما امتنع أن يجيبهم الى التوبة فيوجد لهم السبيل الى خلعه . انحاز كل واحد منهما في جيش مخالفاً على قطري . فقصد المهلب قصد عبد ربه

الصغير حتى قتله . وخرج قطري في اثنين وعشرين الفاً من اصحابه حتى صاروا الى طبرستان . وقصد المهلب عبد ربه الكبير وفرق جمعه . ولما صار قطري الى طبرستان أرسل الى اصبهبذ يسأله أن يدخله بلاده فسمح له وفعل . فلما برأت جراحهم وسمنت دوابهم أرسل اليه قطري فعرض عليه الاسلام أو يؤدي الجزية صاغراً . ووجه اليه ابا نعامة في الأزارقة فقال الاصبهبذ جئتني طريداً شريداً فآويتك ثم ترسل إلي بهذا أنت ألأم من في الأرض . فقال إنه لا يجوز في الدين غير هذا . فخرج الاصبهبذ فقتل ابنه واخوه وعمه فانهزم الاصبهبذ حتى صار الى الري فاستولى قطري على طبرستان وصار الاصبهبذ الى سفيان بن الأبرد الكلبي وهو يومئذ عامل الري وقد تهيأ لقتال الأزارقة فأدخله طبرستان من طريق مختصرة فقتل قطرياً وبعث برأسه الى الحجاج سنة ٧٩ .

وولي المهلب بن ابي صفرة خراسان سنة ٧٨ من قبل الحجاج وولى ابنه المغيرة مرو ومات بها فرثاه زياد بقصيدة يقول فيها :

إن السماحة والشجاعة ضمنا * قبراً بمرو على الطريق الواضح

وسار المهلب حتى صار الى بلاد الصغد ونزل كش فصالحه ملك الصغد وأخذ المهلب منه الرهائن ودفعها الى حريث بن قطبة وانصرف الى بلخ فاخذ حريث بلاد (.....) فحاربه واعتل المهلب فاشتدت علته من أكلة كانت في رجله . ولما حضرته الوفاة استخلف ابنه يزيد على كره منه له لصلفه وتيهه إلا أن الحجاج كتب اليه بذلك . ثم انكر الحجاج على يزيد أشياء بلغته عنه فاراد صرفه فخاف أن يمتنع عليه فتزوج هنداً أخته وكتب أن يقدم عليه ويستخلف المفضل بن المهلب فقدم وكتب الحجاج الى المفضل بولايته خراسان مكان يزيد أخيه . ثم ولى قتيبة بن مسلم مكانه وقتيبة على الري وقد شرحنا ذلك في غير هذا الموضع من الكتاب .

وولى الحجاج ثغري السند والهند سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فأقام بمكران

وغزا ناحية من الهند وكان رجلاً محدوداً فقتل فوجه الحجاج موضعه محمد بن هارون ابن ذراع النمري فصار الى مكران وحسن أثره في غزو العدو وظفر مرة بعد أخرى فخرج يريد الديبل في عدة سفن و « . . (١) . . » ملك الديبل فعارضه في خلق عظيم فقتل محمد بن هارون وخلق عظيم ممن كان معه ، وولى عبد الملك حسان بن النعمان الغساني افريقية والمغرب فلم يزل مقيماً بها حتى توفي ؛ واستخلف رجلاً على البلد فولى عبد الملك افريقية موسى بن نصير اللخمي سنة ٧٧ ﴿ وقيل ﴾ ولاه عبدالعزيز ابن مروان وهو يومئذ عامل مصر فافتتح موسى بن نصير عامة المغرب ولم يزل مقيما عليها مدة أيام ولاية عبد الملك .

وتوفي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالمدينة سنة ٨٠ ، وكان جواداً سخياً يقال إنه أتاه إنسان في أمر يسأله معونته عليه فلم يحضره ما يعطيه فنزع ثيابه التي كانت عليه . وقال (أللهم إن نزل بي من بعد اليوم حق لا أقدر على قضائه فامتني قبله) فمات في ذلك اليوم .

وفي هذه السنة كان السيل الجحاف الذي ذهب بمتاع الحاج ، وكان عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث بن قيس عامل الحجاج على سجستان ووجه معه بعشرة آلاف منتخب فلما صار الى سجستان أقام ببست ثم سار يريد رتبيل ملك البلد وكان قد ضبط أطرافه فلما أوغل في بلاد رتبيل خاف غرره فرجع الى بست وكتب الى الحجاج يعلمه برجوعه وأنه أخر غزو رتبيل الى العام المقبل ، وكتب اليه كتاباً يتوعده فيه فجمع أطرافه اليه وحرض الناس على الحجاج ودعاهم الى خلعه فخلعوه وبايعوا له ؛ فلما اجتمعت الكلمة قال لهم نسير الى العراق ونكتب بيننا وبين رتبيل كتاب صلح فان تم أمرنا وقفنا عنه ورقبنا له وإن كانت الأخرى اتخذناه ملجأ فتم رأي القوم على ذلك وكتب بينه وبين رتبيل كتاباً بهذا الشرط وسار الى العراق واستخلف على سجستان رجلاً

(١) بياض في الأصل ، وفيه سقط ولعله . و (قدعلم بقدومه) ملك الديبل الخ

من قبله وأقبل حتى صار الى قرب الأهواز فلما بلغ الحجاج أمره وجه اليه عبد الله بن عامر بن صعصعة ثم خرج الحجاج في جيش حتى صار الى الأهواز ولقيه عبد الرحمان فقاتله قتالاً شديداً فهزمه حتى رجع الحجاج الى البصرة ولحقه ابن الأشعث فقاتله بالبصرة فانهزم ابن الأشعث فلما رأوا انهزامه الى الكوفة أتوا عبد الرحمان بن العباس ابن ربيعة الهاشمي فقالوا تركنا ولحق بالكوفة وهذا الفاسق منيخ علينا فبايعهم وسار الى الحجاج فقاتله بالزاوية فهزمه الحجاج فلحق ابن الأشعث بالكوفة وأقبل الحجاج من البصرة الى ابن الأشعث فسلك في البرية حتى نزل قريباً منه وخرج ابن الأشعث فنزل « دير الجماجم » وجعلت خيلها تروح وتغدو للقتال وأهل الكوفة يستعلون على خيل الحجاج ويهزمونهم في كل يوم . فاشتد على الحجاج ما رأى من ذلك وكتب الى عبد الملك كتاباً بعث به بأحث سير « أما بعد فيا غوثاه ثم ياغوثاه » فلما قرأ عبد الملك الكتاب كتب اليه « أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك ثم يا لبيك » ثم وجه بجيش بعد جيش وكانت وقائعهم كثيرة شديدة آخرهن « وقعة مسكن » هزمه فيها الحجاج فمضى منهزماً لا يلوي على شيء حتى صار الى سجستان فأتى مدينة زرنج فمنعه عبد الله بن عامر عامله من دخولها فمضى الى بُست وعليها عياض بن عمرو فأدخله المدينة ودبّر أن يغدر به ويتقرب به الى الحجاج ، وكان مع عبد الرحمان جماعة من قراء العراق ، منهم الحسن البصري ؛ وعامر بن شراحيل الشعبي . وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي ، وجماعة من هذه الطبقة فسار الى رتبيل صاحب سجستان فكانت هزيمته سنة ٨٣ ، وجعل الحجاج يتلقط أصحابه ويضرب أعناقهم حتى قتل خلقاً كثيراً وعفا عن جماعة منهم الشعبي وابراهيم .

وبنى الحجاج مدينة واسط في السنة التي هرب فيها ابن الأشعث ونزلها وقال « أنزل بين الكوفة والبصرة » ولما بلغ أصحاب ابن الأشعث انه قد صار الى رتبيل صاحب البلد وأنه قد أقام عنده في أمن وسلامة ووفى له رتبيل بما كان بينه وبينه

فاجتمعوا من كل أوب بناحية زرنج وأمروا عليهم عبد الرحمان بن العباس الهاشمي « .. (١) .. » فلقيهم بهراة فقاتلهم فهزمهم وبلغ الحجاج مكان ابن الأشعث في أربعة آلاف من أصحابه عند رتبيل فوجه عمارة بن تميم اللخمي الى رتبيل وكتب معه اليه يأمره أن يوجهه اليه وإلا وجه اليه بمائة الف مقاتل فلم يفعل ، وكان عبيد بن أبي سبيع غالبا على رتبيل فنفسه على ذلك ابن الأشعث وأراد ان يمكر به ووجه اليه ليقتله فهرب عبيد بن أبي سبيع فصار الى عمارة بن تميم وهو مقيم بمدينة بست وقال تجعلون لي شيئا وتصالحون رتبيل وتكفون عنه ويسلم اليكم ابن الأشعث ؛ وكتب عمارة الى الحجاج بذلك وكتب اليه الحجاج يقول له أجبه الى كل ما سألك فكتب له عهودا ختمها بخاتمه فأخذها عمارة وقدم بها على رتبيل فلم يزل يرهبه مرة ويرغبه أخرى حتى أجابه الى أخذ ابن الأشعث فاخذه وقيده وجماعة معه وأخاه وحملهم معه الى الحجاج في الحديد فلما صاروا بالرخج رمى ابن الأشعث بنفسه من فوق سطح وكان معه في السلسلة رجل يقال له ابو العبر فماتا جميعا ، وكان ذلك في سنة ٨٤ واحتز رأسه فحمل الى الحجاج وحمله الحجاج الى عبد الملك .

وعزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز والبيعة لابنه الوليد بولاية العهد من بعده ، وكان عبد العزيز بمصر وكتب الى الحجاج يشخص اليه الشعبي فاشخصه اليه فوانسه وبرّه وأقام عنده أياما ثم قال إني آتمنك على شيء لم آتمن عليه احدا إنه قد بدا لي أن أبايع للوليد بولاية العهد بعدي فاذا أتيت عبد العزيز فزين له أن يخلع نفسه من ولاية العهد ومصر له طعمة ﴿ قال الشعبي ﴾ فأتيت عبد العزيز فما رأيت ملكا كان أسمح أخلاقا منه فأني يوما خال به أحدثه إذ قلت له والله — أصلح الله الامير إن رأيت ملكا أكمل ولا نعمة أنضر ولا عزا أتم مما أنت فيه ، ولقد رأيت

(١) بياض في الأصل ، ولعل الساقط (فخرج اليهم ابن الأشعث في اصحابه) فلقيهم (الخ) . (م . ص)

عبد الملك طويل النصب ، كثير التعب ، قليل الراحة ، دائم الروعة ، الى ما يتحمل من أمر الأمة ، ولوددت والله أنهم أجابوك الى أن يصيروا مصر لك طعمة ويصيروا عهدهم الى من أحبوا ، فقال ومن لي بذلك ، فلما عرفت ما عنده انصرفت الى عبد الملك فأخبرته الخبر فخلع عبد الملك أخاه من ولاية العهد وولى ابنه الوليد ثم ابنه سليمان من بعد الوليد ﴿ وقيل ﴾ إن عبد الملك لم يخلعه ولكنه توفي في تلك المدة التي هم بخلعه فيها ﴿ وقيل ﴾ إن عبد العزيز سقي سماً وكان ذلك في سنة ٨٥ ، وولى هشام بن اسماعيل المخزومي المدينة فضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً ظلماً وعدواناً وطاف به فكتب اليه عبد الملك يلومه ، وساءت سيرة هشام بن اسماعيل وأظهر العداوة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان الغالب على عبد الملك روح بن زنباع الجذامي ، وعلى شرطته يزيد بن ابي كبشة السكسكي ثم عزله واستعمل عبد الله بن يزيد الحكمي ؛ وكان على حرسه ابو عياش الكهاني وبعده ابو الزعيزعة مولاه ، وجمع العراقين للحجاج ، ومصر والمغرب لعبد العزيز بن مروان ثم لابنه عبد الله بن عبد الملك ، وكانت لعبد الملك رجلة ودهاء وعلم إلا أنه كان مبخلاً ، فلما حضرته الوفاة جمع ولده فأوصاهم بالاجماع والالفة وترك التباغي ، ثم قال يا وليد إذا أنا مت فشمر وأتزر والبس جلد النمر ثم ادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا ، وتوفي للنصف من شوال سنة ٨٦ ، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة التي بويع فيها بالشام ، وبعد قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة ، وكانت سنه ستين سنة أو نيفاً وستين سنة ، وصلى عليه ابنه الوليد ، ودفن بدمشق .

وخلف من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، ومروان وهشام ، وبكار ، وعبد الله ، ومسلمة ، ومعاوية ، ومحمد ، والحجاج ، وسعيد والمنذر ، وعنبسة .

وفي أيام عبد الملك نقشت الدراهم والدنانير بالعربية (١) وكان الذي فعل ذلك الحجاج بن يوسف ﴿ وروى بعضهم ﴾ أن رجلاً أتى سعيد بن المسيب فقال رأيت كأن النبي موسى واقف على ساحل البحر آخذ برجل رجل يدوره كما يدور الغسال الثوب فدوره ثلاثاً ثم دحا به الى البحر ، فقال سعيد إن صدقت رؤياك مات عبد الملك الى ثلاثة ايام ، فلم يمض ثالثها حتى جاء نعيه فقال لسعيد من أين قلت هذا قال لأن موسى غرّق فرعون ولا أعلم فرعون هذا الوقت إلا عبد الملك .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ٧٢ ، الحجاج بن يوسف سنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضاً سنة ٧٥ ، عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ ، أبان بن عثمان بن عفان سنة ٧٧ ، أبان ايضاً سنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ، أبان ايضاً سنة ٨١ سليمان بن عبد الملك سنة ٨٢ ، أبان بن عثمان سنة ٨٣ ؛ هشام بن اسماعيل المخزومي سنة ٨٤ ، وسنة ٨٥ هشام بن اسماعيل المخزومي ايضاً .

وغزا بالناس في ولايته ؛ سنة ٧٥ غزا محمد بن مروان الصائفة وخرجت الروم على الأعماق فقتلهم ابان بن الوليد بن عقبة بن معيط . ودينار بن دينار ؛ سنة ٧٦ غزا يحيي بن الحكم الصائفة بمرج الشحم بين ملطية والمصيصة ، سنه ٧٧ غزا الوليد بن عبد الملك اطار وكانت غزاته من ناحية ملطية ، وغزا في البحر حسان بن النعمان

(١) نقل بعض الخبراء أن في المجلد السابع عشر من دائرة المعارف البريطانية ص ٩٠٤ من الطبعة الثالثة عشرة عند الكلام على المسكوكات القديمة . ما تعريبه ملخصاً « إن أول من أمر بضرب السكة الاسلامية على الفضة هو الخليفة علي عليه السلام بالبصرة سنة أربعين من الهجرة » وفي الجزء الأول من المجلد ٤٩ ص ٥٨ من مجلة المقتطف المصرية : ما نصه « وفي خلافة حضرة علي كرّم الله وجهه كان مكتوباً على دائرة السكة التي ضربت في سنة ٣٧ بالخط الكوفي « ولي الله » . [م . ص]

« . . (١) . . » سنة ٨٣ عبد الله ايضاً ، وفتح المصيصة وبنى فيها حصناً صغيراً

وكان الفقهاء في أيامه عبد الله بن عباس ، عبدالله بن عمر ، المسور بن مخرمة الزهري السائب بن يزيد ، ابو بكر بن عبد الرحمان ، الحارث بن هشام ، خارجة بن زيد ابن ثابت ، سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار . القاسم بن محمد ابو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف . سالم بن عبد الله . قبيصة بن جابر . عبيدة بن قيس السلماني . شريح بن الحارث الكندي . عبد الرحمان بن ابي ليلى . عبد الله بن يزيد الخطمي . زيد بن وهب الهمداني . الحارث بن سويد التميمي . مرة بن شراحيل الهمداني . ابو جحيفة وهب بن عبد الله العامري الأسدي . يسير بن عمرو السلولي . ابو الشعثاء سليمان بن الأسود . الأسود بن مالك الحارثي . ابن حراش العبسي . عمرو بن ميمون الأودي . عامر بن شراحيل الشعبي . عبد الرحمان بن يزيد النخعي . سالم بن ابي الجعد . عمار بن عمير الليثي . ابراهيم بن يزيد التيمي . ابو ظبيان الحصين بن جندب سليمان بن يسار . ابو المليح بن أسامة .

أيام الوليد بن عبد الملك

ثم ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان — وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسية — للنصف من شوال سنة ٨٦ في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك . وكانت الشمس يومئذ في الميزان خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة . والقمر في الحمل ثماني وعشرين درجة وخمسين دقيقة . وزحل في الثور اربعاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً والمشتري في الدلو ستاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً . والمريخ في القوس احدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة . والزهرة في العقرب خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة

(١) بياض في الأصل . وقد ذكر ابن الأثير وغيره أن حسان بن النعمان هذا غزا البحر سنة ٧٤ كما ذكر هو وغيره أن عبد الله بن عبد الملك غزا الروم وفتح المصيصة وبنى فيها حصناً سنة ٨٤

وعطارد في الميزان عشر درجات وأربعين دقيقة ، فصعد المنبر فنعى أباه وقال :
﴿ أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فانه من أبدى ذات نفسه ضربت الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه ﴾ ثم نزل فعقد لمسلمة أخيه على غزاة الروم فنفذ في عدد كثير فوجد جراجمة انطاكية قد خالفوا فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكتب الوليد الى الحجاج فنعى اليه أباه عبد الملك فنادى الحجاج بالصلاة جامعة ثم صعد المنبر فذكر عبد الملك وقرّظه ووصف فعله وقال ﴿ كان والله البازل الذكر رابعاً ، من الولاة الراشدين المهديين وقد اختار له الله ماعنده وعهد الى نظيره في الفضل وشبهه في الحزم والجلد والقيام بامر الله فاسمعوا واطيعوا ﴾ وولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة وأمر أن يقف هشام بن اسماعيل للناس وكان هشام بن اسماعيل المخزومي قد أساء السيرة وجار في الأحكام وتحامل على آل رسول الله ﴿ ص ﴾ فلما قدم عمر قال هشام ما أخاف إلا علي بن الحسين فمرّ به وهو موقوف فسلم عليه فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولم يعرض له سعيد بن المسيب ولا لأحد من أسبابه وحاميته وكان قدوم عمر بن عبد العزيز المدينة سنة ٨٧ وثقله على ثلاثين بعيراً ، وضرب الوليد البعث على أهل المدينة وكتب عمر فاخرج منهم الفي رجل .

وبنى الوليد المسجد بدمشق فانفق عليه أموالاً عظاماً ، وابتدأ بناءه في سنة ٨٨ وكتب الى عمر بن عبد العزيز أن يهدم مسجد رسول الله ﴿ ص ﴾ ويدخل فيه المنازل التي حوله ويدخل فيه حجرات أزواج النبي ﴿ ص ﴾ وهدم الحجرات ، وأدخل ذلك في المسجد ، ولما بدأ بهدم الحجرات قام خبيب بن عبد الله بن الزبير الى عمر والحجرات تهدم فقال ﴿ نشدتك الله يا عمر أن تذهب بآية من كتاب الله يقول ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ فأمر به فضرب بمائة سوط ونضح بالماء البارد فمات وكان يوماً بارداً ، فكان عمر لما ولي الخلافة وصار الى ما صار اليه من الزهد يقول من لي بخبيب ﴿ وروى الواقدي ﴾ إن الوليد بعث الى ملك الروم

يعلمه أنه قد هدم مسجد رسول الله (ص) فليعنه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل وأربعين حملاً فسيفساء ، فبعث الوليد بذلك كله الى عمر فأصلح به المسجد ، وفرغ من بنائه في سنة ٩٠ ، وبعث الوليد الى خالد بن عبد الله القسري وهو على مكة بثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين التي داخلها وعلى الأركان والميزاب ، فكان أول من ذهّب البيت في الاسلام

وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وما أصلح منه والى البيت وتذهيبه فلما قرب من المدينة خرج عمر فتلقاه باشراف المدينة فدخل المسجد وجعل ينظر اليه وأخرج الحرس كل من كان فيه خلا سعيد بن المسيب فانه لم يخرج ولم يتزحزح فدخل الوليد فجعل يطوف وسعيد بن المسيب جالس . ثم قال الوليد أحسب هذا سعيد ابن المسيب فقال له عمر نعم ومن حاله وحاله إلا أنه ضعيف البصر . فجاء الوليد حتى وقف عليه فقال كيف أنت أيها الشيخ فما تحرك وقال نحن بخير يا أمير المؤمنين وكيف انت . وانصرف الوليد وهو يقول لعمر هذا بقية الناس .

وقسم الوليد بين أهل المدينة قسماً كثيرة . وصلى بها الجمعة . وصف بها الجند صفين . وصلى في دراعة وقلنسوة في غير رداء . وخطب قاعداً . وتوعد أهل المدينة فقال : انكم أهل الخلاف والمعصية . فقام اليه قوم فكلموه وكلمه ابو بكر بن عبد الرحمان فقال ما نجهل ما تقولون ولكن في النفوس ما فيها . وصار الى مكة فخطب بها خطبة بتراء ذكر فيها الوعيد والتهديد . ولما صار بعرفة أطعم الناس ونصب الموائد ولم يأكل . وكان خالد الذي يقوم على الموائد . ثم نصب مائدة فقيل هذه لأمير المؤمنين فقام فأرسل اليه الوليد يأمره بالجلوس فجلس .

وولى الوليد موسى بن نصير الأندلسي في هذه السنة وهي سنة ٩١ فوجه معه بطارق مولاه فلقي ملك الأندلس وكان يقال له الأدريق وكان رجلاً من أهل اصبهان وهم القوطيون ملوك الأندلس فزحف طارق اليه فاقتتلوا قتالاً شديداً وفتح الأندلس

ثم خرج موسى بن نصير الى البلد وكان قد غضب على طارق مولاه في أمور بلغته عنه فلقيه طارق فترضاه فرضي عنه ووجهه الى مدينة طليطلة وهي من عظام مدائن الأندلس على مسيرة عشرين يوماً فاصاب فيها مائدة ذهب مفصصة بالجوهر « قيل » إنها مائدة سليمان بن داود فكسر رجلها فاخذها وبعث بها الى موسى بن نصير .

وكان الحجاج قد عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولى المفضل فاقر المفضل ثم عزله وولى قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان قتيبة عامله على الري وكتب اليه أن يستوثق من المفضل وبني أبيه ويشخصهم اليه فسار قتيبة من الري حتى قدم مرو فأخذ المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب فاشخصهم الى الحجاج فحبسهم وطالبهم بستة آلاف الف وصار قتيبة الى بخارا فافتتحها وافتتح عدة مدن منها ثم انصرف وخلف فيها ورقاء بن نصر الباهلي وأمره بقبض الصلح ، وكان نيزك صاحب الترك قد صار الى قتيبة فلم يزل معه يحضر حروبه ، فلما انصرف قتيبة تحرك طرخون صاحب السغد وجيل ابو شوكر بخارا خذاه ؛ و « كر معانون الدوسي » (١) في الترك فكره قتيبة قتالهم فوجه حيان النبطي فصالحهم ثم صار الى الطالقان وبها باذام قد عصى وتغلب على البلد وكان ابن باذام مع قتيبة ، فلما بلغه أن باذام قد تحصن وعصى وارتد أخذ ابنه فقتله وصلبه وجماعة معه ثم لقي باذام فقاتله أياماً ثم ظفر به فقتله وقتل ولده وامرأته واستعمل على البلد أخاه عمرو بن مسلم ، ولما فتح قتيبة بخارا والطالقان استأذنه نيزك طرخان في الرجوع الى بلاده ؛ وكان نيزك قد أسلم وسمي بعبد الله فاذن له فرجع الى طخارستان فعصى وكاتب الأعاجم وجمع الجموع فزحف اليه قتيبة ووجه اليه سليماً الناصح — وكان صديقاً له — فلم يزل يختدعه ويعطيه عن قتيبة ما يسأل حتى خرج الى قتيبة على الأمان فاقام عنده أياماً ثم ضرب عنقه وعنق ابن اخت له وبعث برؤوسهما الى الحجاج وأخذ امرأة نيزك فلما خلا بها قالت ما أجهلك أظننت أن نفسي تطيب لك وقد قتلت زوجي

---

(١) كذا في الأصل ولم نجد له ذكراً في المعاجم . [م . ص]

وسلبتني ملكي فخلاها وقال اذهبي حيث شئت ، ثم سار قتيبة الى السغد فلقيه صاحب السغد فصافه أياماً ثم هرب منه ، ولحق قتيبة الشتاء فانصرف . وكتب اليه الحجاج يأمره بالمصير الى سجستان ومحاربة رتبيل فسار سنة ٩٢ حتى صار إلى زالق من أرض سجستان ثم زحف الى رتبيل فوجه اليه رتبيل « إنا كنا قد صالحناكم وقبلتم الصلح فما ذا دعاكم الى نقضه » فأرسل اليه إن الحجاج ابى ذلك فردعليه رتبيل إن قبلتم الصلح كان أصلح لكم وإلا رجونا النصر عليكم . فقال قتيبة لأصحابه إن هذا وجه مشئوم وقد هلك فيه عبد الله بن أمية وابن أبي بكرة وغير واحد ولا نأمن الحيل التي كان رتبيل يحتالها من تحريق الطعام والعلوفات وأخذ الحصون في السهل وحمل ما « ..... »

. . . . . فولى قتيبة عبد ربه بن عبد الله بن عمير الليثي وسار قتيبة الى خوارزم وبها سعيد بن ونوفار وكانوا قتلوا عامل قتيبة فقدمها فسبى مائة الف وحاصر سعيد بن ونوفار حتى قتله فلما أصلح البلاد وانصرف بالغنائم التي لم يسمع بمثلها وأراد جنده الرجوع الى أوطانهم بما في ايديهم قام قتيبة خطيباً فذكرهم ما كانوا فيه وأعلمهم أنه لابراح لهم واستخلف على خوارزم عبد الله بن ابي عبد الله الكرماني . ثم سار قتيبة الى سمرقند وكان غوزك قد قتل طرخون ملك السغد وتملك على البلد فلما وافى قتيبة حاربه فكانت بينهم حروب شديدة وأحب قتيبة الصلح فراسل غوزك يدعوه الى ذلك فقال لأهل سمرقند علام نصالحهم وبلدنا لا يدخله إلا رجلان أما أحدهما فقيل وأما الآخر فاسمه أكاف . فكبر قتيبة وكبر المسلمون وقالوا أميرنا اسمه قتب البعير فاذعنوا بالصلح على أن يدخل فيصلي ركعتين فدخل من باب كش وخرج من باب الصين واتخذ لهم غوزك ملك سمرقند الطعام فاكل قتيبة واصحابه فكتب له كتاب الصلح « هذا ما صالح عليه قتيبة بن مسلم غوزك اخشيذ السغد افشين سمرقند على السغد وسمرقند وكش وكسف صالحه على ثلاثة آلاف درهم يؤديها غوزك الى رأس كل سنة وجمل له

عهد الله وذمته وذمة الأمير الحجاج بن يوسف ﴾ وأشهد له شهوداً . وكان ذلك سنة ٩٤ وولى قتيبة سمرقند عبد الرحمان بن مسلم أخاه فغدر به أهل سمرقند وأتاه خاقان ملك الترك وكتب الى قتيبة فتوقف قتيبة حتى انحسر الشتاء ثم سار اليـه فهزم عسكر الترك واستقامت له خراسان .

وكان الحجاج لما اشخص اليه قتيبة ولد المهلب حبسهم جميعاً ومعهم يزيد بن المهلب بستة آلاف الف درهم وعذبهم في ذلك أشد العذاب فلما رأوا ما هم فيه من العذاب سألوه أن يدخل اليهم التجار حتى يبيعوا أموالهم وضياعهم وصنعوا طعاماً كثيراً ودخل اليهم الناس وخلق من التجار فاكلوا عندهم في الحبس ثم اختلطوا بغمار الناس وخرجوا معهم وقد لبس يزيد لحية كبيرة طويلة صفراء وكان شاباً . ثم ركب واخوته نجائب قد كان تقدم في إعدادها ولحق بالشأم فصار الى سليمان بن عبد الملك فكلموه وصار الى عبد العزيز بن الوليد فشفع فيهم عند الوليـد حتى آمنهم وأحضرهم فصالحهم على نصف المال وهو ثلاثة آلاف درهم فقالوا على أن نستعين قومنا من أهل الشأم فقال ذلك اليكم فتحمل عندهم اليمانية من أهل دمشق من أعطيتهم نجماً وتحمل عنهم سائر اهل الشأم نجماً وأقاموا بباب الوليد وكتب الوليد الى الحجاج في تخليه من كان في محبسه من أسبابهم فخلاهم جميعاً .

ووجه الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي الى السند سنه ٩٢ وأمره أن يقيم بشيراز من أرض فارس حتى يمكن الزمان فقدم محمد شيراز فاقام بها سته أشهر ثم سار في سته آلاف فارس حتى أتى مكران فاقام بها شهراً ونحوه ثم زحف الى فنزبور وقد جمع أهل فنزبور لحاربهم شهوراً ثم فتحها فسبى وغنم . ثم زحف الى ارمائيل لحاربهم أياماً ثم فتحها فاقام بها شهوراً . ثم زحف الى الديبل في خلق عظيم حتى أتى المدينه وعبأ الجيوش وأخذ باكظام القوم وأقام يحاربهم عـدة شهور وكان لهم (بد) يعبدونه . طوله في السماء أربعون ذراعاً فرماه بالمنجنيق

فكسره ثم وضع السلاليم على السور وأصعد الرجال فافتتحها عنوة فقتل المقاتلة ووجد البد الذي كانوا يعبدونه سبع مائة راتبة وأخذ منها أموالاً عظاماً ، ولما فتح الديبل وكانت أعظم مدائنهم خضع له أهل البلدان فسار من الديبل الى النيرون فصالحهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في التقدم فكتب اليه أن سر فانت أمير على ما فتحته وكتب الى قتيبة بن مسلم عامل خراسان أيكما سبق الى الصين فهو عامل عليها وعلى صاحبها ؛ فمضى محمد بن القاسم وجعل لا يمر ببلد إلا غلب عليه ولا مدينة إلا فتحها صلحاً أو عنوة فعبر نهر السند وهو دون مهران وسار الى سهبان ففتحها ثم سار نحو شط مهران فلما بلغ داهر ملك السند مكانه وجه اليه جيشاً عظيماً فلقي محمد بن القاسم ذلك الجيش فهزمهم وزحف اليه داهر فأقام موافقاً له عدة شهور وبيناهم في تلك الموافقة زاحفه داهر وهو على الفيل فاشتد بينهما الحرب وأخذت من الفريقين وعطش الفيل الذي كان داهر عليه فغلب فياله فترجل فنزل داهر فقاتل في الأرض حتى قتل وانهزم جيشه وفتح المسلمون وكتب محمد الى الحجاج بالفتح وبعث برأس داهر اليه ، ومضى في بلاد السند ففتح بلداً بلداً ومدينة مدينة حتى أتى الرور وهي من أعظم مدائن السند فحاصرهم حصاراً شديداً وهم لا يعلمون أن داهر قد قتل فلما أملهم بعث اليهم محمد ابن القاسم بامرأة داهر فقالت لهم إن الملك قد قتل فاطلبوا الأمان فطلبوه ونزلوا على حكم محمد وفتحوا له باب المدينة فدخلها ثم استخلف فيها ومضى يقطع البلاد ويفتح مدينة مدينة ، ثم كتب الى الحجاج إني قد كتبت الى امير المؤمنين الوليد أضمن له أن أرد الى بيت المال نظير ما أنفقت فأخرجني من ضماني فحمل اليه اكثر مما أنفق .

وأقام محمد بن القاسم في بلاد السند حتى توفي الوليد ، وولي سليمان بن عبد الملك وكان لمحمد بن القاسم في الوقت الذي غزا فيه بلاد السند والهند وقاد الجيوش وفتح الفتوح خمس عشرة سنة فقال زياد الأعجم :

إن الشجاعة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة * يا قرب ذلك سودداً من مولد

وكتب الوليد الى خالد بن عبد الله القسري عامله على الحجاز يأمره باخراج من بالحجاز من أهل العراقين وحملهم الى الحجاج بن يوسف ، فبعث خالد الى المدينة عثمان بن حيان المري لاخراج من بها من أهل العراقين فاخرجهم جميعاً وجماعاتهم في الجوامع الى الحجاج ، ولم يترك تاجراً ولا غير تاجر ، ونادى ألا برئت الذمة ممن آوى عراقياً ؛ وكان لا يبلغه أن أحداً من أهل العراق في دار أحد من أهل المدينة إلا أخرجه .

فخرج الوليد الى الحميمة من أرض الشراة من عمل جند دمشق سنة ٩٥ ، وكان سبب ذلك أن أم سليط بن عبد الله بن عباس رفعت الى الوليد أن علي بن عبد الله قتل ابنها ودفنه في البستان الذى ينزله وبنى عليه دكاناً ، فاخذه الوليد بذلك وقال له أ قتلت أخاك قال ليس باخي ولكنه عبدي قتلته ، وكان عبد الله بن عباس أوصى الى ابنه علي أن يورث سليطاً ولا يزوجه وقال أنا أعلم أنه ليس مني ولكني لا أدفعه عن الميراث ؛ فنزل علي بن عبد الله الحميمة فلم يزل بها حتى ولد أولاداً وصار له الأهل والعيال وولد له نيف وعشرون ذكراً مات عامتهم في حياته ولم يزل ولده بالحميمة حتى أذهب الله سلطان بني أمية .

وتوفي الحجاج بن يوسف في هذه السنة وهي سنة ٩٥ وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وكانت إمرته على العراق عشرين سنة ، فاقر الوليد على عمله يزيد بن ابي مسلم خليفته ثم استعمل مكانه يزيد بن ابي كبشة السكسكي ، وكان الوليد لحاناً فيه هوج وحيرة ؛ وكان يقول لا ينبغي لخليفة أن يناشد ولا يكذب ولا يسميه أحد باسمه وعاقب على ذلك .

وكان أول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة ، وأول من أجرى على العميان والمساكين والمجذمين الأرزاق ، وكان ممن أحدث قتل العصاة ، وأحصى

أهل الديوان والقى منهم بشراً كثيراً بلغت عدتهم عشرين الفاً ، وأول من أجرى طعام شهر رمضان في المساجد ، وصام الاثنين والخميس فادمنه ؛ واول من أخـذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال ، وانكسر الخراج في أيامه فلم يحمل كثير شيء ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين الف الف درهم ؛ وكانت في ولايته الزلازل التي هدمت كل شيء وأقامت أربعين صباحاً في سنة ٩٤ ، وكان الغالب عليه الفازي بن ربيعة الحرشي ، وكان قاضيه بالكوفة الشعبي ، وكان على شرطه ابو ناتل رباح بن عبدالغساني ثم عزله واستعمل كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه خالد بن الديّان مولى محارب ، وحاجبه سعيد مولاه ، وتوفي الوليد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٩٦ ﴿ وقيل ﴾ انسلاخ جمادى الآخرة وهو ابن ثلاث واربعين سنة ﴿ وقيل ﴾ تسع واربعين سنه . وكانت أيامه تسع سنين وثمانية أشهر ونصفاً . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت وفاته بديرمران ودفن بدمشق . وخلف من الولد ستة عشر ذكراً ، محمد . والعباس . وعمر . وبشر وروح . وخالد . وتمام . ومبشر . وجرى . ويزيد . وعبدالرحمان . وابراهيم ويحيى . وابو عبيدة . ومسرور . وصدقة .

وأقام الحج للناس في أيامه سنة ٨٦ هشام بن اسماعيل؛ سنة ٨٧ عمر بن عبد العزيز ، سنة ٨٨ حج هو ، سنة ٨٩ وسنة ٩٠ عمر بن عبد العزيز ، سنة ٩١ حج هو ؛ سنة ٩٢ وسنة ٩٣ عمر بن عبدالعزيز ، سنة ٩٤ مسلمة بن عبـد الملك سنة ٩٥ ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

وغزا الصوائف في أيامه سنة ٨٦ مسلمة ففتح حصنين ، سنة ٨٨ (. «١» .)

[١] بياض في الأصل ، وذكر ابن الأثير أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان هذا غزا الروم — وهم الصوائف — سنة ٨٦ وسنة ٨٧ وحده ؛ وفي سنة ٨٨ غزاهم مرةً وحده ففتح ثلاثة حصون وأخرى مع العباس بن الوليد بن عبد الملك —

مسلمة والعباس بن الوليد فافتحا سورية ، وافتتح العباس أدرولية ، سنة ٩٠ عبد العزيز بن الوليد فافتتح حصناً ، سنة ٩١ عبد العزيز بن الوليد . . (١) . . محمد ابن مروان ، وغزا موسى بن نصير الأندلس ، سنة ٩٣ العباس بن الوليد ومروان ابن الوليد ومسلمة ففتحوا أماسية وحصن الحديد ، سنة ٩٤ العباس وعمر ابنا الوليد سنة ٩٥ العباس فتح قبرس ، سنة ٩٦ بشر بن الوليد .

وكان الفقهاء في أيامه عبد الرحمان بن حاطب ؛ سعيد بن المسيب ؛ عروة بن الزبير ؛ عطاء بن يسار ، ابو سلمة بن عبد الرحمان ، القاسم بن محمد ؛ سعيد بن جبير مجاهد بن جبير مولى بني مخزوم ، عكرمة مولى ابن عباس ، حكيم بن ابي حازم شقيق ابن سلمة ، ابراهيم بن يزيد النخمي ، عامر الشعبي ، سالم بن ابي الجعد ؛ ابو اسحاق السبيعي ، ابو أيوب الأزدي ، أبو تميم الجني ، الحسن بن ابي الحسن ، محمد بن سيرين ، ابو قلابة عبد الله بن زيد ، سليمان بن يسار ، مورّق العجلي ؛ سنان بن سلمة ، ابو المليح بن أسامة الهذلي ، العلاء بن زياد ، ابو إدريس ؛ رجاء بن حيوة

وكان الوليد طوالاً أسمر ؛ به أثر جدري خفي تقدم لحيته ، شمطاً ليس في رأسه ولا لحيته غيره ، أفطس .

أيام سليمان بن عبد الملك

وملك سليمان بن عبد الملك بن مروان — وأمه ولادة بنت العباس بن جزء العبسية — للنصف من جمادى الأولى سنة ٩٦ ؛ وكانت الشمس يومئذ في الحوت ست درجات وأربعين دقيقة ؛ والقمر في السنبلة ست عشرة درجة وعشرين راجعاً

— وفي سنة ٨٩ غزاهم ايضاً مع العباس فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس أدرولية .

(١) بياض في الأصل ، وذكر ابن الأثير أن في سنة ٩٢ غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ولم يذكر غزوة محمد بن مروان في هذه السنة . [م . ص]

والمشتري في القوس خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والمريخ في الدلو احدى عشرة درجة وثلاث دقائق ، والزهرة في الحوت خمس عشرة درجة وتسع عشرة دقيقة وعطارد في الحوت خمس درجات وخمسين دقيقه ، والرأس في الأسد ثلاث عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة ؛ وأتته الخلافة بالرملة وكان بها منزله وهو أنشأ مسجد جامعها وقصر إمارتها ونقل الناس اليها من لُد ؛ وكانت المدينة التي ينزلها الناس فأخذ بهدم منازلهم بلد والبنيان بالرملة وعاقب من امتنع من ذلك وهدم منازلهم وقطع الميرة عنهم حتى انتقلوا ، وخرَّب لد ، وأخذ له عمر بن عبد العزيز البيعة بدمشق يوم مات الوليد فصار الى دمشق فاقام بها يسيراً ، وأراد سليمان الحج فكتب الى خالد بن عبد الله وهو عامل مكة يأمره أن يجري له عيناً تخرج من الثقبة من الماء العذب حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود يباهي بها زمزم ؛ فعمل خالد البركة التي بفم الثنية يقال لها « بركة القسري » وهي قائمة الى اليوم في أصل ثبير عملها بحجارة منقوشة واستنبط ماءها من ذلك الموضع ؛ ثم شق من هذه البركة عيناً تجري الى المسجد الحرام في قصب من رصاص حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقية (١) رخام بين الركن وزمزم فلما أن جرت وظهر ماؤها أمر خالد بجزر فنحرت بمكة وقسمت بين الناس وعمل طعاماً فدعا عليه الناس ؛ ثم أمر صائحاً فصاح الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر فقال « أيها الناس احمدوا الله وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب بعد المالح الأجاج الذي لا يطاق شربه » يعني زمزم ؛ فكان لا يجتمع على ذلك الماء اثنان وكانوا على شرب زمزم اكثر ما كانوا ، فلما رأى خالد ذلك قام خطيباً فنال من أهل مكة وكلمهم بكلام قبيح يعنفهم فيه على تركهم شرب ذلك الماء واقبالهم على زمزم ولم تزل تلك الفسقية على حالها أيام بني أمية فلما صار الأمر الى بني هاشم هدمها داود

---

(١) الفسقية بكسر الفاء أو فتحها وسكون السين المهملة ثم القاف المكسورة بعدها الياء التحتانية المشددة الحوض او المتوضأ ، الجمع فساقي والكلمة من الدخيل .

ابن علي أول ما قدم مكة ، ولم يقم خالد بمكة إلا قليلا حتى سخط عليه سليمان فصرفه وولى طلحة بن داود الحضرمي وأمره أن يضرب خالداً بالسياط بسبب امرأة من قريش كان قذفها فاقبح ، وأن يطالبه ويحمله فى الحديد ؛ وعزل عثمان بن حيان المري عامل المدينة وقلد أبا بكر بن محمد بن عمرو بنَ حزم . فضرب عثمان بن حيان حدين أحدهما فى شرب الخمر والآخر فى قرفه (١) على عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وسخط سليمان على موسى بن نصير اللخمي العامل على افريقية والذي افتتح الاندلس وما والاها . وكان موسى قدم على الوليد فوجده شديد العلة فلم يقم إلا اياماً حتى مات . وسعى طارق مولى موسى بمولاه الى سليمان فاستصفى سليمان ماله وأخذه بمائة الف دينار فقال موسى صحبتكم ولي فرس وفرو وسيف فاعطوني هذا وشأنكم بما بقي وولى سليمان المغرب محمد بن يزيد مولى قريش وأمره بتتبع موسى وولده واصحابه .

وكان سليمان قدّم يزيد بن المهلب وخصه وأبره ودفع اليه أصحاب الحجاج بن يوسف وموسى بن نصير وخالد بن عبد الله القسري ويوسف بن عمر الثقفي والحكم بن أيوب وعبد الرحمان بن حيان المري . وأمره أن يعذبهم حتى يستخرج منهم الاموال وتتبع سليمان أصحاب الحجاج يسومهم سوء العذاب . واشخص اليه يزيد بن ابي مسلم خليفة الحجاج وكان قصيراً خفيف البدن فلما رآه قال له أنت يزيد . قال نعم . قال صاحب الحجاج والأفعال التي بلغتني مع ما أرى من دمامة خلقتك . قال ذلك والله أنك رأيتني والدنيا عليك مقبلة وهي عني مدبرة ولو رأيتها وهي إلي مقبلة وعنك مدبرة لاستعظمت ما استصغرت واستجللت ما استحقرت . قال اين ترى الحجاج يهوي فى النار . قال لا تقل هذا يا أمير المؤمنين لرجل يحشر عن يمين أبيك وشمال اخيك وانزله حيث شئت تنزلها معه . فقال ليزيد بن المهلب خذه اليك فعذبه بالوان العذاب حتى تستخرج منه الأموال . فقال يا امير المؤمنين انا اعلم به لا والله إنه ما عنده مال ولا

(١) القرف : التهمة . [م . ص]

كان ممن يحوي المال . وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فعله به . فولاه سليمان الصائفة .

وكان قتيبة بن مسلم عامل الحجاج على خراسان فلما بلغه فعل سليمان بنظرائه وقصده عمال الوليد وعمال الحجاج جمع اليه اخوانه وأهل بيته وأوغل فى أرض العجم حتى بلغ بلد فرغانة القصوى وكان عبدالله بن الأهتم التميمي معه فهرب منه الى سليمان فرفع اليه. فاخذ قتيبة قوماً من أهل بيته فقتلهم وقطع ايدي آخرين وأرجلهم . وكان يزيد ابن المهلب عدوه لما فعل به وبأهل بيته لما ولي عليه . فعلم أنه لا يصلح له حب سليمان وكتب اليه كتاباً فاجابه سليمان يغلظ له فاراد الخلع وهو لا يشك أن موضعه من النزارية « .. (١) .. » واليمانية لا يخالفونه . فلما علم القوم مذهبه تبعدوا عنه فخطبهم خطبة مشهورة نال فيها وقال « يا معشر تميم ويا أهل الذلة والقلة ويا معشر الأزد أخليتم السفن وركبتم الخيل وقدفتم المرادي واخذتم الرماح والله لأنا بمن معي من العجم أعز منكم » فصافوا القوم عنه وصارت كلمتهم واحدة فى الوثوب عليه واجتمعوا الى الحضين بن المنذر فدعوه الى القيام بجماعتهم فقال عليكم بوكيع بن ابي سود التميمي فاتوا وكيعاً فاتفقت كلمتهم عليه ومع القوم يومئذ حيان النبطي فوثبوا بقتيبة فقتلوه . وقام وكيع بخراسان وولى عماله وكتب الى سليمان يعلمه ما كان منه . وبعث برأس قتيبة ورؤوس أهل بيته اليه . وذلك فى سنة ٩٦ فلما أتى سليمان كتاب وكيع أراد أن يكتب اليه بالعهد على خراسان فقيل له إنه رجل ترفعه الفتنة وتضعه السنة وليس لها بموضع فولى سليمان يزيد بن المهلب العراق وخراسان فكان يزيد بن المهلب فى العراق فعذب عمال الحجاج ثم استخلف على العراق ونفذ الى خراسان فتتبع اصحاب قتيبة وقراباته فسامهم سوء العذاب . وحبس وكيع ابن ابي سود وقيده وأخذ عماله الذين كان ولاهم البلدان بعد قتل قتيبة فطالبهم بالأموال التي صارت اليهم . وخالف اكثر أهل خراسان

---

(١) سقط شيء في موضع البياض ولعله (الموضع الكريم) [م . ص]

فقصد جرجان فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحها ، وحارب اصبهبذ طبرستان ، وملك الترك ، وملك الديلم فاقام في محاربة صاحب طبرستان زمانا ثم عرض وضجر ثم طلب أن يصالحه فلم يفعل فرجع الى جرجان فاقام بها ثم خرج منها الى نيسابور ، وولى يزيد إخوته وولده البلدان فولى مخلداً سمرقند ، ومدرك بن المهلب بلخ ، ومحمد بن المهلب مرو ، وعظم أمر يزيد بخراسان .

واضطرب السند وأخل الجند الذين كانوا مع محمد بن القاسم الثقفي بمراكزهم فرجع أهل كل بلد إلى بلدهم ، فوجه سليمان حبيب بن المهلب اليها فدخل البلاد وقاتل قوماً كانوا ناحية مهران ، وأخذ محمد بن القاسم فالبسه المسوح وقيده وحبسه .

وقدم ابو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام على سليمان فقال سليمان ما كلمت قريشياً قط يشبه هذا وما أظنه إلا الذي كنا نحدث عنه وأجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه ، ثم شخص عبد الله بن محمد وهو يريد فلسطين فبعث سليمان قوماً الى بلاد لخم وجذام ومعهم اللبن المسموم فضربوا أخبية نزلوا فيها فمر بهم فقالوا يا عبد الله هل لك في الشراب فقال جزيتم خيراً ثم مر بآخرين فقالوا مثل ذلك فجزاهم خيراً ثم مر بآخرين فاستسقى فسقوه فلما استقر اللبن في جوفه قال لمن معه أنا والله ميت فانظروا من هؤلاء فنظروا فاذا القوم قد قوضوا فقال ميلوا بي الى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فانه بارض الشراة فاسرعوا السير حتى اتوا محمد بن علي بالحميمة من أرض الشراة فلما قدم عليه قال له يابن عم انا ميت وقد صرت اليك وهذه وصية أبي إلي وفيها ان الأمر صائر اليك والى ولدك والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع وروى عن ابيه علي بن ابي طالب عليه السلام فاقبضها اليك ، وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً وهاؤلاء دعاتك وأنصارك فاستبطنهم فاني قد بلوتهم بمحبة ومودة لأهل بيتك ، ثم هذا الرجل ميسرة فاجعله صاحبك بالعراق فاما الشام فليست لكم ببلاد وهؤلاء رسله الى خراسان واليك ، ولتكن دعوتكم

بخراسان ولا تعد هذه الكور مرو ، ومرو الروذ ، وبيرود ، ونسا ، وإياك ونيسابور وكورها ، وابر شهر ، وطوس فاني أرجو أن تتم دعوتكم ويظهر الله اموركم ، واعلم ان صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله ابن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذي اكبر منه ، فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك بكتبك ووطد الأمر قبل ذلك بلا رسول ولا حجة فأما أهل العراق فهم شيعتك ومحبوك وهم أهل اختلاف فلا يكون رسولك إلا منهم ، وانظر اهل الحي من ربيعة فالحقهم بهم فانهم معهم في كل أمر ، وانظر هذا الحي من تميم وقيس فأقصهم ثم أبدهم إلا من عصم الله منهم وهم اقل من القليل ، ثم اختر دعاتك فليكونوا اثني عشر نقيباً فان الله عز وجل لم يصلح أمر بني اسرائيل إلا بهم وسبعين نفساً بعدهم يتلونهم فان النبي ﴿ ص ﴾ إنما اتخذ اثني عشر نقيباً من الأنصار اتباعاً لذلك .

فقال محمد يا أبا هاشم وما سنة الحمار ؟ قال لم يمض مائة من نبوة قط إلا انقضت أمورها لقول الله عز وجل ﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾ الآية ، فاذا دخلت مائة سنة فابعث رسلك ودعاتك فان الله متمم أمرك .

ومات ابو هاشم بعد أن دفع الكتاب الى محمد بن علي ، وذلك سنة ٩٧ ؛ وفيها وجه محمد بن علي أبارباح ميسرة النبال مولى الأزد الى الكوفة .

وحج سليمان سنة ٩٧ وعزم على أن يبايع لابنه ايوب بولاية العهد من بعده ، وكان قد كتب الى ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يبني له قصراً بالجرف ينزله فلما قدم لم يرض بناء القصر فنزله وقسم بين أهل المدينة قسماً وفرض لقريش خاصة أربعة آلاف فريضة لم يدخل فيها حليفاً ولا مولى فأجمع رأي مشيخة قريش أن جعلوها لحلفائها ومواليهم ثم دخلوا عليه فقالوا إنك قد فرضت لنا أربعة آلاف فريضة لا تدخل علينا فيها حليفاً ولا مولى فرأينا أن نكافئك ونجعلها في حلفائنا وموالينا فنحن أخف عليك مؤونة منهم ، ففرض لهم أربعة آلاف فريضة أخرى فصار الى مكة فلما نزل

بطن رابغ أخذتهم السماء وجاءت صواعق لم تر مثلها ففزع سليمان فقال له عمر بن عبد العزيز هذه الرحمة فكيف العذاب ، واحضر جماعة من الفقهاء فيهم القاسم بن محمد بن ابي بكر ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وخارجة بن زيد وابو بكر بن حزم ، فسألهم عن أمر الحج فاختلفوا عليه فقال كل واحد منهم قولاً لم يوافق الآخر . فقال كيف صنع امير المؤمنين عبد الملك فقيل له كذا فقال أصنع كما صنع واترك اختلافكم . وانصرف من مكة الى بيت المقدس فاطاف المجذمون بمنزله فضربوا باجراسهم حتى منعوه النوم فسأل عنهم فأخبر بما يلقاه الناس منهم فأمر باحراقهم وقال لو كان في هؤلاء خير ما ابتلاهم الله بهذا البلاء فكلمه عمر في ذلك فامسك عنهم وأمر أن ينفوا الى قرية معتزلة لا يخالطوا الناس .

وخرج سليمان الى ناحية الجزيرة فنزل بموضع يقال له « دابق » من جند قنسرين وأغزى مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وامره ان يقصد القسطنطينية فيقيم عليها حتى يفتحها فسار مسلمة حتى بلغ القسطنطينية وأقام عليها حتى زرع واكل مما زرع ، ودخل وفتح مدينة الصقالبة واصاب المسلمين ضر وجوع وبرد ، وبلغ سليمان ما فيه مسلمة ومن معه فامدهم بعمرو بن قيس في البر . وأغزى عمر بن هبيرة الفزاري في البحر وذلك إن الروم أغاروا على مدينة اللاذقية من جند حمص فأحرقوها وذهبوا بما فيها فبلغ عمر بن هبيرة خليج القسطنطينية .

وكان الغالب على سليمان « النصر ابن برم » (١) الحميري . ورجاء بن حيوة الكندي . وعلى شرطه كعب بن حامد العبسي . وعلى حرسه خالد بن الديان مولى محارب . وحاجبه مولاه ابو عبيدة وكان اكولاً لا يكاد يشبع وكان له جمال وفصاحة « . (٢) . » رجل طويل أبيض قصيف البدن لم يشب وهو الذي يقول

(١) كذا في الأصل . ولم نجد له ذكراً في المعاجم .

(٢) بياض في الأصل . وفيه سقط ولعله (وكان) رجلاً طويلاً (الخ) .

ونظر الى نفسه في المرآة ـ أنا الملك الشاب فما دارت عليه الجمعة حتى مات . وكانت وفاته في صفر سنة ٩٩ ، وعهد الى عمر بن عبد العزيز وكتب كتابا وأحضر أهل بيته وقال بايعوا لمن في هذا الكتاب فبايعوا ؛ ودفع الكتاب الى رجاء بن حيوة فجمعهم في مسجد دابق فدعا من به من أهل بيت سليمان فقال بايعوا فقالوا إنا بايعنا مرة فقال بايعوا الذي في هذا الكتاب فبايعوا فلما فرغ قال قوموا الى صاحبكم فقد مات ، وقرأه فلما بلغ الى اسم عمر بن عبد العزيز قال هشام لا والله لا أبايع فقال رجاء ابن حيوة إذاً اضرب عنقك واخذ بضبع عمر فأجلسه على المنبر فلما فرغوا من البيعة دفنوا سليمان ونزل عمر بن عبد العزيز قبره وثلاثة من ولده فلما تناولوه تحرك على ايديهم فقال ولد سليمان ﴿ عاش ابونا ورب الكعبة ﴾ فقال عمر بل عوجل ابوكم ورب الكعبة وكان بعض من يطعن على عمر يقول له دفن سليمان حياً .

وكانت ولاية سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية اشهر وخلف من الولد الذكور عشرة ، يزيد . والقاسم . وسعيد . وعثمان . وعبد الله . وعبد الواحد . والحارث وعمرو . وعمر . وعبد الرحمان .

وأقام الحج للناس في ولايته في سنة ٩٦ ابو بكر بن عمرو بن حزم . وفى سنة ٩٧ سليمان . وفى سنة ٩٨ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد .

وغزا في أيامه سنة ٩٦ مسلمة ففتح حصن الحديد وشتى بنواحي الروم وعمرو ابن هبيرة فى البحر فمخروا ما بين الخليج والقسطنطينية وفتحوا مدينة الصقالبة ، وامد سليمان بعمرو بن قيس الكندي وعبد الله بن عمر بن الوليد بن عقبة سنة ٩٩ ؛ ووجه سليمان بن عبد الملك بابنه داود الى ارض الروم ومسلمة منيخ على القسطنطينية ففتح داود حصن المرأة من ناحية ملطية . وكان الفقهاء في ايامه مثل من كان في ايام الوليد .

أيام عمر بن عبد العزيز

ثم ولي عمر بن عبد العزيز بن مروان — وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب — لعشر خلون من صفر سنة ٩٩. وكانت الشمس يومئذ فى السنبلة ثماني وعشرين درجة • وزحل فى الميزان خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة • والمشتري في الحوت درجتين راجعاً . والمريخ فى السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة وعطارد في الميزان اثنتين وعشرين درجة . والرأس فى الجوزاء ثلاثاً وعشرين درجة وستاً وعشرين دقيقة .

وبويع بدابق وكان الكتاب الذي كتبه سليمان ﴿ هذا كتاب من عبد الله سليمان امير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني وليتك الخلافة بعدي فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا ﴾ فلما قرئ الكتاب بايع جميع من حضر من بني أمية خلا عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فانه كان غائباً فدعا إلى نفسه فبايعه قوم فلما بلغه ولاية عمر قدم فقال له عمر بلغني أنك كنت دعوت الى نفسك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك لأني خفت الفتنة وبلغني أن الخليفة لم يعهد الى أحد فقال عمر لو قمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، فقال عبد العزيز ما كنت أحب أن يكون ولي هذا الأمر غيرك .

ولما بلغ يزيد بن المهلب ولاية عمر وورد عليه كتابه شخص من خراسان واستخلف بها مخلداً ابنه وحمل كل ما كان له مخافة من أهل خراسان معه ، فاشار عليه قوم أن لا يبرح فلم يفعل وصار الى البصرة فلقيه بها عدي بن أرطاة عامل عمر فأوصل اليه كتاب عمر فقال سمعاً وطاعة ثم حمله اليه مستوثقاً منه ، فقال له عمر إني وجدت لك كتاباً الى سليمان تذكر فيه أنك اجتمع قبلك عشرون الف الف فاين هي فانكرها ثم قال دعني أجمعها . قال اين . قال اسعى إلى الناس قال تأخذها منهم مرة أخرى لا ولا نعمى عين ؛ ثم ولى الجراح بن عبد الله الحكمي خراسان وأمره ان يأخذ مخلد بن يزيد فيستوثق منه استيثاقا لا يمنعه من الصلاة فحبسه الجراح مكرماً ثم حمله الى عمر فدخل في

ثياب مشمرة وقلنسوة بيضاء فقال له عمر هذا خلاف ما بلغني عنك فقال أنتم الأئمة إذا أسبلتم أسبلنا وإذا شمرتم شمرنا ، وحسنت سيرة الجراح وقدمت عليه وفود التبت يسألونه أن يبعث اليهم من يعرض عليهم الاسلام ، فوجه اليهم السليط بن عبد الله الحنفي ، ووجه عبد الله بن معمر اليشكري الى ما وراء النهر فلقي جمعاً للترك فهزم وانصرف ابن معمر وبلغ عمر عن الجراح أمور يكرهها من أنه يأخذ الجزية من قوم قد أسلموا ، وأنه يغزي موالي بلا عطاء ، وأنه يظهر العصبية ، فكتب اليه أن اقدم واستخلف عبد الرحمان بن نعيم الغامدي ففعل ذلك ، ثم كتب عمر الى عبد الرحمان بعهده على خراسان ويأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم الى مرو فعرض ذلك عليهم فأبوا عليه فكتب الى عمر انهم قد رضوا بالمقام فحمد عمر رأيه على ذلك

وبلغ عمر ما فيه من بلاد الروم مع مسلمة من الضرر والفاقة فوجه عمرو بن قيس على الصائفة ووجه معه الكساء والطعام والأعطية لمن كان مع مسلمة من المسلمين فوجه عمر ، عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فاوقع بالترك فلم يفلت منهم إلا الشريد وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً فقال رجل من المسلمين لعمر في أسير منهم لو رأيت هذا يا امير المؤمنين يقتل المسلمين لرأيت قتالاً ذريعاً فقال قم فاضرب عنقه .

وفاة علي بن الحسين عليه السلام

وتوفي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في سنة ٩٩ ، وقال قوم سنة ١٠٠ وله ثمان وخمسون سنة ، وكان أفضل الناس وأشدهم عبادة . وكان يسمى « زين العابدين » وكان يسمى أيضاً « ذو الثفنات » لما كان في وجهه من أثر السجود . وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة . ولما غسل وجد على كتفيه جلب (١) كجلب البعير فقيل لأهله ما هذه الآثار قالوا من حمله الطعام في الليل

---

(١) الجلب . جمع جُلبة بضم الجيم وسكون اللام وهي القشرة التي تعلو الجرح عند البرء . ومنه قولهم (طارت جلبة الجرح) (تاج العروس)

يدور به على منازل الفقراء ﴿ قال سعيد بن المسيب ﴾ ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام وما رأيته قط إلا مقت نفسي ، ما رأيته ضاحكاً يوماً قط ؛ فكانت أمه حرار (١) بنت يزدجرد كسرى ، وذلك أن عمر بن الخطاب لما أتى بابنتي يزدجرد وهب احداهما (٢) للحسين بن علي عليه السلام فسماها ﴿ غزالة ﴾ وكان يقول بعض الأشراف إذا ذكر علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ يود الناس كلهم أن أمهاتهم إماء ﴿ وقيل ﴾ إن أمه كانت من سبي كابل ﴿ قال ابو خالد الكابلي ﴾ سمعت علي بن الحسين يقول : من عف عن محارم الله كان عابداً ؛ ومن رضي بقسم الله كان غنياً ، ومن أحسن مجاورة من جاوره كان مسلماً ، ومن صاحب الناس بما يحب أن يصاحبوه به كان عدلاً ﴿ وقال ﴾ علي بن الحسين عليه السلام إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة بغير حساب فتتلقاهم الملائكة فيقولون ما فضلكم فيقولون كنا إذا جهل علينا حلمنا ؛ وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء علينا عفونا ، فيقولون ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ؛ ثم ينادي مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة بغير حساب فتتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان صبركم فيقولون صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا عن معاصي الله ، فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ؛ ثم ينادي مناد ليقم جيران الله فيقوم ناس من الناس وهم الأقل ، فيقال لهم بما ذا جاورتم الله في داره فيقولون كنا نتجالس في الله ، ونتذاكر في الله ؛ ونتزاور في الله ، فيقولون

(١) المشهور ان اسم أمه — عليه السلام — شاه زنان ، ويقال شهر بانويه ويقال السلافة ، ويقال أم سلمة ، ولم يذكر أحد أن اسمها (حرار)

(٢) ووهب الثانية محمد بن أبي بكر (رض) فأولدها القاسم فهما ابنا خالة وكان القاسم جد الامام الصادق عليه السلام لأمه ، وكان من سادات التابعين وفقهاء الشيعة بالمدينة مات سنة ١٠١ وله اثنتان وسبعون سنة . [م . ص]

ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ﴿ وقال ﴾ بئس القوم قوم ختلوا الدنيـــا بالدين وبئس القوم قوم عملوا باعمال يطلبون بها الدنيا ﴿ وقال ﴾ إن المعرفة بكمال المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه وقلة مرائه ، وصبره ، وحسن خلقه .

وكتب ملك الروم الى عبد الملك يتوعده فضاق عليه الجواب وكتب الى الحجاج وهو إذ ذاك على الحجاز أن ابعث الى علي بن الحسين فتوعده وتهدده واغلظ له ثم انظر ماذا يجيبك فاكتب به إلي ، ففعل الحجاج ذلك فقال له علي بن الحسين ﴿ ع ﴾ إن لله فى كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة وأرجو أن يكفينيك فى اول لحظة من لحظاته وكتب بذلك الى عبد الملك فكتب به الى صاحب الروم كتاباً فلما قرأه قال ليس هذا من كلامه هذا من كلام عترة نبي . ومرض ثلاث مرضات فى كل ذلك يوصي بوصية فاذا برئ وأفاق أنفذها ﴿ وقال ﴾ كلكم سيصير حديثاً فمن استطاع أن يكون حديثاً حسناً فليفعل (١) ﴿ وكان يقول ﴾ ابن آدم لن تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك . وما كانت المحاسبة من همتك . وما كان لك الخوف شعاراً والحزن دثاراً .

وكان عبدالملك قد كتب الى الحجاج وهو على الحجاز جنبني دماء آل ابي طالب فاني رأيت آل حرب لما تهجموا بها لم ينصروا . فكتب اليه علي بن الحسين عليه السلام إني رأيت رسول الله ﴿ ص ﴾ ليلة كذا في شهر كذا يقول لي إن عبدالملك قد كتب الى الحجاج فى هذه الليلة بكذا وكذا وأعلمه بان الله قد شكر له ذلك وزاده برهة فى ملكه .

وكان له من الولد ابو جعفر محمد . والحسين . وعبد الله . وأمهم أم عبد الله بنت الحسن بن علي (ع) وعلي . والحسن . والحسين الأصغر . وسليمان

(١) نظمه ابن دريد فقال فى مقصورته : —

(وإنما المرء حديث بعده * فكن حديثاً حسناً لمن وعى) [م . ص]

— توفي صغيراً — وزيد — .

وذكره يوماً عمر بن عبد العزيز فقال : ذهب سراج الدنيا ، وجمال الاسلام وزين العابدين ، فقيل له إن ابنه أبا جعفر محمد بن علي فيه بقية ، وكتب عمر يختبره فكتب اليه محمد كتاباً يعظه ويخوفه فقال عمر أخرجوا كتابه الى سليمان فأخرج كتابه فوجده يقرظه ويمدحه فانفذ الى عامل المدينة وقال له أحضر محمداً وقل له هذا كتابك الى سليمان وتقرظه وهذا كتابك الي مع ما أظهرت من العدل والاحسان ، فأحضره عامل المدينة وعرفه ما كتب به عمر ، فقال إن سليمان كان جباراً كتبت اليه بما يكتب الى الجبارين وإن صاحبك اظهر امراً وكتبت اليه بما شاكله ، وكتب عامل عمر اليه بذلك ، فقال عمر إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل .

وانكر عمر أعمال أهل بيته وسماها مظالم ، وكتب الى عماله جميعاً ﴿ أما بعد فان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله ، وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء قلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان ، ومن أراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه ، ولا تحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تؤامروني ، وترك لعن علي بن ابي طالب عليه السلام على المنبر وكتب بذلك الى الآفاق فقال كثير :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف * بريا ولم تتبع مقالة مجرم

وأعطى بني هاشم الخمس ورد فدكا ، وكان معاوية أقطعها مروان فوهبها لابنه عبد العزيز فورثها عمر فردها على ولد فاطمة (ع) فلم تزل في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك فقبضها ، ورد عمر هدايا النيروز والمهرجان ، ورد السخر . ورد العطاء على قدر ما استحق الرجل من السنة . وورث العيالات على ما جرت به السنة غير أنه أقر القطايع التي أقطعها أهل بيته . والعطاء في الشرف لم ينقصه ولم يزد فيه . وزاد أهل الشام في أعطياتهم عشرة دنانير ولم يفعل ذلك في اهل العراق ﴿ وكان ﴾ يقول ما بقي المسلم على جفوة السلطان ونزغة الشيطان لم أر شيئاً أعون له على دينه من

إعطائه حقه ، فكان يجلس للنظر في أمور المسلمين نهاره كله فقال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين نهارك كله مشغول ، ذلك جزء من الليل وأنت تسمر معنا فقال يارجاء إن ملاقاة الرجال تلقح لأو ليائها وإن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معهما رأي ولا يفقد معهما حزم ﴿ وكان ﴾ يقول لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العاقلين لأنهم عقلوا عن الله فاتقوه في أمره ونهيه .

وكتب الى عامله باليمن ﴿ أما بعد فدع ما أنكرت من الباطل ، وخذ ما عرفت من الحق بالغاً بك ما بلغ فان بلغ مهج انفسنا فان الله يعلم أنك إن لم تحمل الي إلا حفنة من كتم فاني بذلك مسرور إذا كان موافقاً .

﴿ قال الزهري ﴾ دخلت الى عمر يوماً فبينا أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل له يخبره أن مدينته قد احتاجت الى مرمة فقلت له إن بعض عمال علي بن ابي طالب كتب بمثل هذا وكتب اليه أما بعد فحصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، فكتب بذلك عمر الى عامله ؛ ووجه عمر الى مسجد دمشق من ينزع ما فيه من الرخام والفسيفساء والذهب وقال إن الناس يشتغلون بالنظر اليه عن صلاتهم ، فقيل له إن فيه مكايدة للعدو فتركه ؛ وارتحل الى ﴿ خناصرة ﴾ فنزلها وهي برية من أطراف جند قنسرين وكره أن ينزل في منازل أهل بيته التي بنوها بمال الله وفيء المسلمين ، ثم كلم في ذلك وقيل له إن في نزولك البرية إضراراً بالمسلمين فخرج الى دمشق فنزل دار أبيه التي كانت الى جانب المسجد وأقام عشرين يوماً وكثر عليه الناس فارتحل حتى صار الى مدينة حلب وكثر عليه الناس فارتحل الى مدينة حمص راجعاً يريد أن ينزلها فلما صار الى أوائل حمص اعتل فمال الى موضع يعرف بـ (دير سمعان) فنزله ﴿ ويقال ﴾ بل ارتحل اليه قاصداً يريد نزوله بسبب قطعة أرض كان ورثها عن أمه فيه فلما صار الى (دير سمعان) أتاه الخبر بخروج شوذب الحروري فأمر بتوجيه جيش اليه ووجه اليه شوذب برجلين من قبله يناظرانه فقالا له ﴿ إنك أظهرت أفعالاً حسنة وأعمالاً جميلة

ومما ننكر عليك ترك لعن أهل بيتك والبراءة منهم ﴿ فقال وكيف يلزمني لعنهم قالا لأنهم من أهل المعاصي والذنوب ولا يسعك غير ذلك ، قال متى عهدكم بلعن فرعون ؛ قالوا ما نذكر متى لعناه ، قال فكيف يسعكم ترك لعنه وهو من اهل الذنوب والمعاصي ، انتم قوم أردتم شيئاً فاخطأتموه ولقد اصبحتم بنعمة وعدوكم كثير وشوكتكم ضعيفة ، فاقام أحدهما عنده وانصرف الآخر ؛ وأتاه ابو الطفيل عامر بن واثلة وكان من أصحاب علي عليه السلام فقال له يا امير المؤمنين لم منعتني عطائي ، فقال له بلغني أنك صقلت سيفك ؛ وشحذت سنانك ؛ ونصلت سهمك ، وغلفت قوسك تنتظر الامام القائم حتى يخرج فاذا خرج وفّاك عطاءك ؛ فقال إن الله سائلك عن هذا فاستحيى عمر من هذا واعطاه .

وكانت ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثي عند عبد الله بن عبد الملك ابن مروان فهلك عنها فخلف عليها الحجاج بن عبد الملك فطلقها قبل أن يدخل عليها فقدم محمد بن علي وهو يريد الصائفة فكلم عمر فيها وقال ابنة خالي كانت متزوجة فيكم فان تأذن أتزوجها ؛ قال عمر ومن يحول بينك وبينها وهي أملك بنفسها فتزوجها وبنى بها بحاضر قنسرين في دار طلحة بن مالك الطائي ، واشتملت هنالك على ابي العباس ، ولما دخلت سنة ١٠٠ بعث محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ميسرة أبا رباح الى العراق ومحمد بن خنيس وابا عكرمة السراج وحيان العطار الى خراسان وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي عامل عمر بن عبد العزيز فلقوا من لقوا بها وانصرفوا وقد غرسوا غرساً .

وكانت ولاية عمر ثلاثين شهراً ؛ وكان الغالب عليه رجاء بن حيوة الكندي وصاحب شرطته روح بن يزيد السكسكي مولاه ، وتوفي لست بقين من رجب سنة ١٠١ وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وكان اسمر رقيق الوجه حسن اللحية غائر العينين بجبهته أثر ، وعهد الى يزيد بن عبد الملك ﴿ وقيل ﴾ إن سليمان كان جعل له العهد من

بعده ، وإن عمر قال عند وفاته لو كان الأمر الي لوليت ميمون بن مهران والقاسم ابن محمد ؛ وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك ، ودفن بدير سمعان ﴿ وقيل ﴾ إن أهل بيته سموه خوفاً من أن يخرج الأمر منهم .

وهرب يزيد بن المهلب قبل وفاة عمر بليلتين ولحق بالبصرة وعليها عدي بن أرطاة الفزاري وقد قبض على أهل بيته فحبسهم فوجه عمر في أثر يزيد رسلاً فقاتلهم .

وخلف عمر من الولد تسعة ذكور ؛ عبد العزيز ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وزيد ومسلمة ، وعثمان ، وسليمان ، وعاصم ، وعبد الرحمان .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ٩٩ ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، سنة ١٠٠ ابو بكر ايضاً . وغزا الصوائف في ولايته سنة ٩٩ عمرو بن قيس الكندي .

وكان الفقهاء في أيامه خارجة بن زيد بن ثابت ، يحيي بن عبد الرحمان بن حاطب ، ابو سلمة بن عبد الرحمان ، سالم بن عبد الله بن عمر ؛ القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ؛ محمد بن كعب القرظي ؛ عاصم ابن عمر بن قتادة ؛ نافع مولى عبد الله بن عمر ؛ سعيد بن يسار ، محمد بن ابراهيم ابن الحارث التيمي ، عبد الله بن دينار ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، عطاء بن ابي رباح ، مجاهد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، عامر بن شراحيل الشعبي ، سالم بن ابي الجعد . حبيب بن ابي ثابت . عبد الملك بن ميسرة الهلالي . ابو اسحاق السبيعي . الحسن بن ابي الحسن البصري . محمد بن سيرين . ابو قلابة عبد الله بن زيد . مورق العجلي . عبد الملك بن يعلى الليثي . زيد بن نوفل . علقمة بن عبد الله المزني . ابو حازم . رجاء ابن حيوة . مكحول الدمشقي . راشد بن سعد المقرئ . سليمان بن حبيب المحاربي ميمون بن مهران . يزيد بن الأصم . ابو قبيل المعافري . طاوس اليماني .

* *
*

أيام يزيد بن عبد الملك

وملك يزيد بن عبد الملك بن مروان . وأمه — عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان — وهي التي حرمت على عشرة من خلفاء بني أمية ، معاوية جدها ، ويزيد ابوها ، ومروان بن الحكم زوجها ، والوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، بنو عبدالملك أولاد زوجها ، ويزيد ابنها ، والوليد بن يزيد ابن ابنها . ويزيد بن الوليد ابن ابن زوجها . وكانت ولايته في رجب سنة ١٠١ والشمس يومئذ في الدلو إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة . والقمر في الجدي أربع درجات وثلاثين دقيقة وزحل في العقرب تسعاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة . والمشتري فى الثور اربع عشرة درجة وعشرين دقيقة . والمريخ في الميزان ثلاث درجات وأربعين دقيقة والزهرة فى الحوت خمس عشرة درجة وعشر دقائق . وعطارد فى الجدي خمس عشرة درجة وأربعين دقيقة . والرأس فى الثور سبع درجات وعشرين دقيقة .

وعزل يزيد عمال عمر بن عبد العزيز جميعاً . وكتب الى عدي بن أرطاة يأمره بأخذ يزيد بن المهلب لحاربه فى داخل البصرة فى شهر رمضان فظفر به يزيد فاخذه أسيراً وحمله معه فى الحديد الى واسط فحبسه بها وجماعة معه . وغلب يزيد بن المهلب على البصرة وما والاها ثم خرج يريد الكوفة واستخلف على البصرة مروان بن المهلب فوجه اليه يزيد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فسار مسلمة بن عبد الملك حتى أتى العراق وجعل يقول إني أخشى أن يتعيأ ابن المهلب ويهرب فنطلبه . فقال له حسان النبطي — وكان معه — لا يحسن ذلك أيها الأمير . قال ولم قال سمعته يقول ويح عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث هبه غلب على البصرة أغلب على الصبر . ما ضره لو القى طرف ثوبه على وجهه ثم تقدم حتى قتل فقال مسلمة ما أجراه أن لا يبرح فالتقيا بمسكن فحاربه محاربة شديدة ويزيد مبطون شديد العلة . وكان مسلمة يسميه « الجرادة الصفراء » فلم يبرح حتى قتل . وكان ذلك فى سنة ١٠٢ وكان معاوية

ابن يزيد بن المهلب بواسط فلما انتهى اليه خبر أبيه أخرج عدي بن أرطاة ومن كان معه فضرب أعناقهم وركب البحر حتى صار بمن كان من أهل بيته وأنصاره الى « قنداييل » من أرض السند الى أن وافاهم هلال بن احوز المازني بعث به مسلمة بن عبد الملك فقتل معاوية وجميع من كان معه سوى نفر يسير أخذهم أسرى فحملهم الى يزيد بن عبد الملك فقتلهم بدمشق . منهم عثمان بن المفضل بن المهلب وحمل اليه من نساء المهلب خمسين امرأة فحبسهن بدمشق .

وبعث مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز فقصد السغد فحاربهم محاربة شديدة وأقام بسمرقند فجاءته ملكة « فرغانة » فقالت إني أدلك على شيء فيه الظفر على أن تجعل لي أن لا تغزي إلي جيشاً . فأعطاها ما سألت . فقالت إن السغد قد خلوا عن أرضهم ونزلوا « خجندة » وطلبوا الينا أن ندخلهم بلادنا حتى يصالحوا العرب او يكون غير ذلك وليس لهم فى خجندة طعام ولا شراب ولا عدة لحصار . فان أردتهم فالساعة فبعث سعيد بن عبد العزيز سورة بن الحر الدارمي فى الخيل ولحقهم بنفسه فحصرهم في المدينة فلما تخوفوا الهلاك دعوا الى الصلح على ان يرجعوا الى بلادهم فقال على أن تخرجوا عن آخركم فحفر لهم خندقاً فقال اخرجوا فخرجوا جميعاً إلا رجل منهم يقال له « جليح » ثم خرج بالسلاح وحارب المسلمين وحارب معه قوم فوثب عليهم سعيد والمسلمون فقتلوهم قتلاً ذريعاً وكبس بهم الخندق وسبى الذرية وغنم مالم يغنم مثله .

وولى يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق مكان مسلمة في هذه السنة بعد انقضاء حرب ابن المهلب وقتلهم فلقي جماعة من آل المهلب في الحديد قد وجه بهم مسلمة فقال للرسل ردوهم فقالوا لا نفعل . قال إن مسلمة يوم وجه بكم أميركم . (١) . فردوهم معه . وكتب الى يزيد كتاباً حسناً في امرهم وأن الصنيعة فيهم عامة لقومهم

(١) بياض في الأصل . وفيه سقط لعله (وانا اليوم اميركم) [م . ص] .

فكتب اليه يزيد وما أنت وذاك لا أم لك ، فعاوده وكتب اليه ما هم لي بعشيرة وما أردت إلا النظر لأمير المؤمنين في تألف عشائرهم لئلا تفسد قلوبهم وطاعتهم ، فكتب اليه بارك الله لك في ردهم إن كنت أردت ذاك ؛ وأقر عمر بن هبيرة سعيد بن عبد العزيز على خراسان فوجه رسلاً لابي رباح ميسرة داعية بني هاشم في زي التجار فقيل إنه دعاهم فسألهم عن حالهم فقالوا نحن تجار فخلى سبيلهم فخرجوا من خراسان وظهر يزيد بن جرهم الداعية وبلغ عمر بن هبيرة الخبر فعزله وولى خراسان مسلم بن سعيد الكلابي فقدم خراسان فغزا بالناس فلم يصنع شيئاً ، فلما انصرف راجعاً من فرغانة تبعه الترك وأهل فرغانة فقاتلوه قتالاً شديداً ، وكان قد استعمل نصر بن سيار على بلخ فكتب اليه أن يمده بالرجال وأن يحشر الناس اليه ، فدعاهم نصر بن سيار الى ذلك فأبوا عليه وقاتلوه وكانت بينهم وبين نصر وقعة تسمى ﴿ وقعة البروقان ﴾ واستعمل يزيد على المدينة عبد الرحمان بن الضحاك بن قيس الفهري وكتب اليه يأمره ان يجمع بين عثمان بن حيان المري وبين ابي بكر بن عمرو بن حزم في الحدين اللذين جلدهما ابو بكر عثمان بن حيان فان وجد أن ابا بكر ظلمه أقاده منه ففعل وتحامل على ابي بكر فجلده حدين قوداً بعثمان بن حيان ، وخطب عبد الرحمان فاطمة بنت الحسين بن علي ﴿ ع ﴾ فارسل اليها رجالاً يحلف بالله لئن لم تفعل ليضربن اكبر ولدها بالسياط ، فكتبت الى يزيد كتاباً فلما قرأ كتابها سقط عن فراشه وقال لقد ارتقى ابن الحجام مرتقى صعباً من رجل يسمعني ضربه وأنا على فراشي هذا فكتب الى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري — وكان بالطائف — أن يتولى المدينة ويأخذ عبد الرحمان بن الضحاك باربعين الف دينار ويعذبه حتى يسمعه ضربه ففعل ذلك ، فرئي عبد الرحمان وفي عنقه خرقة صوف يسأل الناس .

ووجه يزيد الجراح بن عبد الله الحكمي فغزا الترك وفتح بلنجر وسبى خلقاً عظيماً في سنة ١٠٤ ، وانتهى الى نهر الروباس ثم سار حتى انتهى الى نهر الران ولقي ابن

خاقان صاحب الخزر فقاتله فهزمه وقتل مقاتلته ، وسبى سبياً كثيراً ، ولما فتح بلنجر سار فجعل ينزل بلداً بلداً يتبع خاقان ملك الخزر حتى صار الى نهر دبيل من عمل آذربيجان فاقتتلوا هناك وقتل الجراح واصحابه .

وولى يزيد بن ابى مسلم افريقية فقدمها وعبد الله بن موسى اللخمي محبس بها فقال له أعط الجند من مالك أرزاقهم لخمس سنين فقال لا أقدر على ذلك فحبسه ، وأخذ موالي موسى بن نصير فوسم أيديهم وردهم الى الرق واستخدم عامتهم في حرسه فوثب عليه غلام منهم يقال له جرير دخل عليه وهو يأكل عنباً فقتله فلما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر ولى بشر بن صفوان الكلبي فلم يزل مقيماً بها ولاية يزيد .

وكتب يزيد الى عمر بن هبيرة — وهو عامل على العراق — يأمره أن يمسح السواد فمسحه سنة ١٠٥ ولم يمسح السواد منذ مسحه عثمان بن حنيف في زمن عمر بن الخطاب حتى مسحه عمر بن هبيرة فوضع على النخل والشجر وأضر بأهل الخراج ووضع على التانئة (١) وأعاد السخر والهدايا وما كان يؤخذ في النيروز والمهرجان والمساحة التي يؤخذ بها مساحة ابن هبيرة .

وكان يزيد قد جعل ولاية العهد من بعده لهشام ثم بدا له أن يبايع بولاية العهد لابنه الوليد ، وكان هشام بالجزيرة فوجه اليه خالد بن عبد الله القسري يحسن له خلع نفسه من ولاية العهد على أن الجزيرة له طعمة « قال خالد بن عبد الله » فأتيته فذكرت له ذلك فأسرع الاجابة ، فقلت له أيها الانسان إن استشرتني وعاهدتني على أن تكتم علي أشرت عليك فقال قد استشرتك ولك عهد الله أن اكتم عليك فقلت إنما هي أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك ، قال فكيف بالسلامة من يزيد قلت علي قال افعل ما بدا لك فانها يد مشكورة لك ، فانصرفت الى يزيد فقلت يا أمير المؤمنين إني أتيت رجلا صعباً فأنشدك الله ان توقع العداوة والشر بينكم وتوجدوا

(١) التانئة والتناء الدهاقون .

للناس السبيل الى الطعن فيكم والاختلاف عليكم ولكن تصيّر الوليد ولي العهد بعد أخيك فركن الى ذلك وفعله ، فما زال هشام يشكر ذلك لخالد حتى ولي الخلافة فولاه العراق .

وكان الغالب على يزيد ، سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وصاحب شرطه كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه يزيد بن ابي كبشة السكسكي ، وحاجبه خالد مولاه ، وكانت ولايته أربع سنين ، وتوفي لأربع بقين من شعبان سنة ١٠٥ وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وصلى عليه الوليد بن يزيد ، ودفن بالبلقاء من أرض دمشق ، وخلف من الولد عشرة ذكور وهم : الوليد ، ويحيى ، ومحمد ، والغمر وسليمان ، وعبد الجبار ، وداود ، وابو سليمان ، والعوام ، وهاشم .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٠١ عبد الرحمان بن الضحاك بن قيس ، سنة ١٠٢ عبد الرحمان ايضاً ، سنة ١٠٣ عبد الرحمان ايضاً ، سنة ١٠٤ عبدالواحد ابن عبدالله بن بشر النضري . وغزا بالناس في ولايته سنة ١٠٢ الوليد بن هشام أرض الروم فنزل على المخاضة عند انطاكية ، ولقي عمر بن هبيرة الروم بارمينية الرابعة فهزمهم وأسر منهم سبعمائة ، سنة ١٠٣ غزا العباس بن الوليد فاصيب الناس في السرايا وأغارت الترك على أرض اللان ، وغزا عبد الرحمان بن سليمان الكلبي وعثمان بن حيان المري فنزلا على حصن ففتحاه . سنة ١٠٤ عبدالرحمان بن سليمان الكلبي على الصائفة اليمنى . وعثمان بن حيان المري على الصائفة اليسرى . سنة ١٠٥ سعيد بن عبد الملك بن مروان ثم رجع فغزا ناحية الترك فبلغ قصر قطن . وغزا الجراح بن عبدالله الحكمي باب اللان حتى خرج من الباب .

وكان الفقهاء في ولايته . يحيى بن عبد الرحمان بن حاطب . سالم بن عبد الله ابن عمر . القاسم بن محمد بن ابي بكر . محمد بن مسلم بن شهاب الزهري . محمد بن كعب القرظي . عاصم بن عمر بن قتادة . نافع مولى عبد الله بن عمر . سعيد بن يسار

محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي ، عبد الله بن دينار ، عبد الله بن ابي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، طاوس اليماني ، عطاء بن ابي رباح ، حبيب بن ابي ثابت ، عبد الملك بن ميسرة ، ابو اسحاق السبيعي .

أيام هشام بن عبد الملك بن مروان

ثم ملك هشام بن عبدالملك بن مروان — وأمه أم هشام بنت هشام بن اسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي — وأتته الخلافة وهو بقرية يقال لها ﴿ الزيتونة ﴾ من الجزيرة ، فجاء البريد فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٠٥ ، ومن شهور العجم في كانون وكانت الشمس يومئذ في الدلو ست درجات وثماني وخمسين دقيقة ، والقمر في القوس سبع درجات وتسع دقائق ، والمشتري في الميزان ست درجات وخمسين دقيقة راجعاً ، والمريخ في العقرب إحدي وعشرين درجة وتسعاً وثلاثين دقيقة ، والزهرة في القوس عشرين درجة وثلاث دقائق ، وعطارد في الدلو احدى وعشرين دقيقة .

وولى خالد بن عبد الله القسري العراق باليد التي كانت له عنده . وكان قد كتب الى الجنيد بن عبد الرحمان يأمره أن يكاتب خالداً ففعل . وعظم أمر الجنيد ببلاد السند ودوخها حتى صار الى أرض الجرز ثم الى ارض الصين ودعا ملكها الى الاسلام فقاتله فثبت له الجنيد فأقام يقاتله ورمى حصنه بالنفط والنار فطفأها فقال الجنيد في الحصن قوم من العرب هم اطفأوا النار . ولم يزل يقاتله حتى طلب الصلح وصالحه وفتح المدينة فوجد فيها رجلين من العرب فقتلها . وأقام الجنيد اياماً ثم غزا الكيرج ومعه ﴿ اشندرابيد ﴾ الملك في مقاتلته فهرب ﴿ الراه ﴾ ملك الكيرج فافتتحها الجنيد فسبى وغنم . واستقامت أموره فوجه بعماله الى الرمذ . والمندل . ودهنج . والبروص ومرست . والبيلمان . والمالبة وغيرها من البلاد . وكتب اليه هشام بفتح أتاه من الروم يخبره أن المسلمين أسروا عدة وغنموا حمراً وبقراً . فكتب اليه الجنيد إني

نظرت في ديواني فوجدت ما أفاء الله علي مذ فارقت بلاد السند ستمائة الف وخمسين الف رأس من السبي ، وحملت ثمانين الف الف درهم ، وفرقت فى الجند أمثالها مراراً وأقام الجنيد عدة سنين ، ثم استعمل خالد مكانه تميم بن زيد العتبي فوجه ثمانية عشر الف الف طاطري خلفها الجنيد فى بيت المال ، ولم يستقم لتميم أمر ، وكثر خلاف أهل البلاد عليه ، وكثرت حروبه ، وفشا القتل فى أصحابه ؛ وخرج من البلد يريد العراق ، فكتب خالد الى هشام ان يولي الحكم بن عوانة الكلبي فقدم الحكم وبلاد الهند كلها قد غلب عليها إلا أهل ﴿ قصة ﴾ فقالوا ابن لنا حصناً يكون للمسلمين يلجأون اليه فبنى مدينة سماها ﴿ المحفوظة ﴾ وأجلى القوم المتغلبين بعد حرب شديدة ؛ وهدأت البلاد وسكنت ، وكان مع الحكم عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي وجماعة من وجوه الناس فلم يزل مقيماً فى البلد حتى عزل خالد وولى يوسف بن عمر الثقفي .

وولى هشام مسلمة بن عبد الملك ارمينية وآذربيجان سنة ١٠٧ فوجه سعيد بن عمرو الحرشي على مقدمته فلقي عسكراً للخزر ومعهم عشرة آلاف من أسارى المسلمين فحاربهم فهزمهم وقتل عامتهم واستنقذ الأسارى منهم وفعل ذلك مرة بعد مرة أخرى وقتل ابن خاقان وفتح عدة مدائن ، ووجه برأس ابن خاقان الى هشام من غير أن يوافق مسلمة فاغضبه ذلك وكتب اليه يلومه ؛ وعزله وصير مكانه عبد الملك بن مسلم العقيلي وأمره ان يقيد سعيد بن عمرو الحرشي ويحبسه بمدينة يقال لها ﴿ قبلة ﴾ وقدم مسلمة البلد وأحضر الحرشي فاغاظ له ودق لواءه وبعث به الى سجن برذعة فكتب اليه هشام يلومه على ذلك ، ووجه برسل من قبله حتى أخرجوا سعيد بن عمرو الحرشي من السجن وحملوه اليه . وسار مسلمة فى البلاد التي للخزر حتى صار الى جرزان فافتتحها وقتل أهلها . ثم صار الى شروان فسالمه أهلها . ثم أتى مسقط فصالحه أهلها . ووجه خيله الى أرض اللكز فصالحه أهلها . وبعث الى طبرستران فصالحه

أهلها . فسار فى البلاد لا يلقاه أحد حتى بلغ أرض ورثان فلقيه خاقان ملك الخزر وكان مع مسلمة جماعة من ملوك البلدان التي فتحها فجعل مروان بن محمد على مقدمته فلقي القوم فاقام يقاتلهم أياماً وربما فُقد فيقال لمسلمة قتل مروان فيقول أما والله دون أن يسلّم عليه بالخلافة فلا . ففتح عامة البلدان . وعزل هشام مسلمة وولى مروان ابن محمد فصار الى الحصن الذي فيه ملك السرير وهو سرير من ذهب كان بعث به بعض ملوك الفرس ﴿ ويقال ﴾ إن انو شروان بعث به اليه فسمي بذلك السرير فصالحه على الف وخمسمائة غلام سود الشعور . ثم صار الى تومان شاه فصالحه ملكها ثم دخل الى أرض زريكران فصالحه ملكها . ثم صار الى حمزين فحاربهم فقتل منهم خلقاً عظيماً وفتح اكثر البلد وجمع الطعام الى مدينة الباب ولم يزل هناك .

وكان بشر بن صفوان الكلبي عامل المغرب فلما ولي هشام بعث اليه باموال عظام وهدايا فأقره هشام على افريقية فلم يزل بها حتى مات . فلما مات بشر بن صفوان ولى هشام افريقية عبيدة بن عبد الرحمان القيسي ولم يزل بها . فأغزى الناس في البحر فغنم غنائم كثيرة فخرج الى هشام باموال جليلة وعشرين الف عبد فاستعفاه فاعفاه وولى مكانه عقبة بن قدامة التجيبي فلم يقم إلا يسيراً حتى عزل . وولى عبيد الله بن الحبحاب فغزا غزوات كثيرة « .. (١) .. » وقتل كلثوم بن عياض . ثم ولى حنظلة بن صفوان الكلبي فقدم افريقية وقد تغلب على بعض النواحي عكاشة بن ايوب الفزاري فظفر به حنظلة ولم يزل مقيماً الى أيام مروان بن محمد .

وظهر سليمان بن كثير الخزاعي وأصحابه بخراسان يدعون الى بني هاشم سنة ١١١

---

(١) بياض في الأصل . وكتب في الهامش على موضع البياض (وقد ثارت البربر فاما ضعف أمره وجه هشام كلثوم بن عياض بجيش عظيم فلقيته البربر) وقد ذكر ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة ١١٧ واقعة البربر مع كلثوم بن عياض القشيري وقتله في تلك الواقعة فلنراجع .

(م ٠ ص)

وظهرت دعوتهم وكثر من يجيبهم ، وقدم بكير بن ماهان فأجابه خلق كثير الى خلع بني أمية وبيعة بني هاشم وكثر أشياعهم وأصحابه ؛ ثم حضرت ابن ماهان الوفاة فاستخلف أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وكتب بذلك الى محمد بن علي بن عبد الله وأعلمه أنه يرضاه فاقره ؛ وكتب الى أصحابه يأمرهم بالسمع والطاعة فاستقاموا جميعا عليه ؛ وولى خالد بن عبد الله أخاه أسد بن عبد الله خراسان فبلغه خبرهم فأخذ جماعة منهم فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم فما زالوا في خوف حتى مات اسد وولى خراسان جعفر بن حنظلة البهراني .

وولى سجستان يزيد بن العزيف الهمداني فلما قدم سجستان ساءت سيرته وأظهر الفسق فقتلته قوم من الخوارج وثبوا عليه وهو جالس في مجلسه وعلى رأسه الف وخمسمائة مدجج ، وكان الخوارج خمسة نفر فقدم اليه بعضهم فضربه بالسيف فقتله ووثب الجند عليهم فقتلوهم بعد أن قتلوا جماعة منهم ؛ فلما بلغ خالد بن عبد الله الخبر ولى الأصفح بن عبد الله الكلبي فصار الى ابينه في الشتاء فندب الناس الى الغزو فاتاه شيخ من أهل البلد يقال له « عبد الله بن عامر » فقال أيها الأمير ليس هذا وقت غزو ، فقال أنا اعلم بوقت الغزو منك ، ونفذ فلما صار على رأس شعب من الشعاب أتاه عمرو بن بجير فقال أصلح الله الأمير ليس هذا وقت دخول هذا الشعب ؛ فقال لو كنت عاقبت المتكلم بالأمس لما سمعت هذا اليوم ، واقتحم الشعب حتى إذا أمعن فيه أخذ العدو عليه مضايقه واجتمع فقتل الجيش بأسره فلم ينج منه أحد فلما أتى خالداً الخبر بقتل الأصفح ومن معه من المسلمين ولى عبد الله بن ابي بردة بن ابي موسى فلم يزل مقيماً بها ولاية خالد .

وفاة أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام

وتوفي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام — وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام — سنة ١١٧ ؛ وسنه

ثمان وخمسون سنة ﴿ قال ابو جعفر عليه السلام ﴾ قتل جدي الحسين ولي أربع سنين وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت ؛ وكان يسمى ابو جعفر الباقر لأنه بقر العلم ﴿ قال جابر بن عبد الله الأنصاري ﴾ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إنك ستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي أشبه الناس بي اسمه على اسمي إذا رأيته لم يُخل عليك فاقرأه مني السلام ﴾ فلما كبرت سن جابر وخاف الموت جعل يقول : يا باقر يا باقر اين أنت حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه ورجليه ويقول بأبي وأمي شبيه أبيه رسول الله إن أباك يقرئك السلام ﴿ قال ابو حمزة الثمالي ﴾ سمعت محمد بن علي عليه السلام يقول : يقول الله عز وجل إذا جعل عبدي همه في هماً واحداً جعلت غناه في نفسه ونزعت الفقر من بين عينيه ، وجمعت له شمله ، وكتبت له من وراء تجارة كل تاجر ، وإذا جعل همه في متفرقاً جعلت شغله في قلبه ؛ وفقره بين عينيه ، وشتت عليه أمره ؛ ورميت بحبله على غاربه ، ولم أبال في أي واد من أودية الدنيا هلك ﴿ وقيل لمحمد ﴾ أتعرف شيئاً خيراً من الذهب ؛ قال نعم معطيه ﴿ وقال «ع» ﴾ إصبر للنوائب ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تعط أحداً من نفسك ما ضره عليك اكثر من نفعه ﴿ وقال ﴾ كفى العبد من الله ناصراً أن يرى عدوه يعصي الله ﴿ وقال ﴾ شر الآباء من دعاه البر الى الافراط ؛ وشر الأبناء من دعاه التقصير الى العقوق ﴿ وسئل ابو جعفر «ع» ﴾ عن قول الله عز وجل ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ قال قولوا لهم أحسن ما تحبون أن يقال لكم [ثم قال] إن الله عز وجل يبغض اللعان السباب الطعان الفحاش المتفحش السائل الملحف ، ويحب الحيي الحليم العفيف المتعفف ﴿ وقال ﴾ لو صمت النهار لا أفطر . وصليت الليل لا أفتر وأنفقت مالي في سبيل الله علقاً علقاً ثم لم تكن في قلبي محبة لأوليائه ولا بغضة لأعدائه ما نفعني ذلك شيئاً .

وكان له من الولد خمسة ذكور : ابو عبد الله جعفر . وعبد الله . وابراهيم

وعبيد الله درج صغيراً ، وعلي درج صغيراً .

وتوفي علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب سنة ١١٨ ؛ وكان مولده في الليلة التي قتل فى صبيحتها علي بن ابي طالب عليه السلام وتوفي بالأحمير بين الحميمة وأذرح من عمل دمشق وسنه ثمان وسبعون سنة ، وأمه زرعة بنت مشرح بن معدي كرب أحد ملوك كندة الأربعة ، وكان ذا غناء وفضل وشرف ورواية عن أبيه ﴿ قال ﴾ سمعت ابي يقول إن من غصبته نفسه فيما تحب لم يطعمها فيما يحب ﴿ وقال ﴾ سمعت أبي يقول تعاشر الناس حيناً بالتقوى ، ثم رفع ذلك فتعاشروا بالمروة ، ثم رفع ذلك فتعاشروا بالحياء ، ثم رفع ذلك فانهتك الغطاء ﴿ وكان ﴾ يقول الكريم يلين إذا استعطف ؛ واللئيم يقسو إذا لوطف ﴿ وقال ﴾ سخاء الناس عما في ايدي الناس أفضل من سخائها بالبذل ، والقناعة لذة العيش ؛ والرضا بالقسم اكثر من مروة الاعطاء ، ومن حفظ من نفسه أربعاً فهو خليق ان لا ينزل به ما نزل بغيره ، العجلة واللجاج ، والعجب ، والتواني ﴿ وكان ﴾ لعلي بن عبد الله بن عباس من الولد اثنان وعشرون ولداً : محمد بن علي وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس ؛ وداود وعيسى لأم ولد ، وسليمان ، وصالح لأم ولد ؛ وأحمد ، وبشر ، ومبشر ؛ واسماعيل وعبد الصمد ، لأمهات اولاد ، وعبد الله الاكبر أمه أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر ابن ابي طالب لا عقب له ، وعبيد الله وأمه فلانة بنت الحريش ، وعبد الملك ، وعثمان وعبد الرحمان ، وعبد الله الأصغر — وهو السفاح — ويحيى ، واسحاق ، ويعقوب وعبد العزيز ؛ واسماعيل الأصغر ، وعبد الله الأوسط — وهو الأحنف — لأمهات أولاد شتى .

وقدم محمد بن علي بن عبد الله على هشام ومعه ابنه ابو العباس غلام فلما خرج من عنده قال لبعض أصحابه شكوت الى أمير المؤمنين ثقل الدين وكثرة العيال فأستهزأ بي وقال انتظر ابن الحارثة — يعني هذا الغلام — .

وألح هشام في طلب الخوارج . . . . . فجلس يوماً وجمع اليه الخوارج فقال يا قوم خافوا الله ولا تدعوا الجهاد فبايعوه ؛ وأقام أياماً وحضرته الوفاة فقال لهم إني لست باحد أوثق مني بالبهلول بن عمير الشيباني ؛ فلما مات خرج البهلول فصار الى قرب الكوفة فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فوجه اليه بخيل فاتبعته من (عين التمر) الى الموصل فقتل بالموصل فانكر هشام على خالد بن عبد الله اموراً بلغته ﴿ منها ﴾ أنه فرق أموالاً عظاماً مبلغها ستة وثلاثون الف الف درهم فاستعظمها ، وأنه قال ما زادت أمية في شرف قسر هكذا وجمع بين إصبعيه فكتب اليه ﴿ أما بعد فقد بلغني مقالتك وإنما أنت من بجيلة الذليلة الحقيرة وستعلم يا ابن النصرانية أن الذي رفعك سيضعك ﴾ وأقام خالد على العراق أربع عشرة سنة أو خمس عشرة ، فلما عزم هشام على صرفه أحضر حسان النبطي وكان ينظر في أمر خالد بن عبد الله كله فأشرف عليه بالقتل وحلف له بالله الذي لا إله إلا هو ليصدقنه او ليقتلنه ، فاتاه حسان بصناديق وقائع على خالد ، وكان اول كاتب رفع على عامل بلده ، ولما وقف هشام من أمر خالد على ما أراد كتب الى يوسف بن عمر الثقفي (وكان عامله باليمن) كتاباً بخطه لم يطلع عليه احداً يأمره بالنفوذ الى العراق وأن يستر خبره فيقبض على خالد واصحابه فيأخذه بستة وثلاثين الف الف درهم ، فخرج يوسف من اليمن وقد اسرّ امره وكان في سبعة نفر حتى قدم العراق ، وكان مقدمه العراق سنة ١٢٠

ووافى يوسف بن عمر في الليل في خمسة نفر حتى صار الى المسجد الجامع فلما اقيمت الصلاة تقدم خالد ليصلي فجذبه يوسف واخرجه ؛ ثم تقدم وقرأ [إذا وقعت الواقعة] في اول ركعة ثم قرأ في الثانية [سأل سائل بعذاب واقع] ثم أقبل على الناس بوجهه فعرفهم نفسه وأخذ خالداً واصحابه فعذبهم أنواع العذاب وطالبهم بالمال فاجتمع جماعة دهاقين العراق ومياسير الناس فقالوا نحن نتحمل هذا المال عنه ونؤديه ﴿ فيقال ﴾ إن يوسف قبل ذلك منهم فلما حملوا اليه المال طالب خالداً وأخذ خالداً فالبسه جبة

صوف وجمع يده الى عنقه ثم أتى به اليه وهو جالس على دكان فجذبه حتى سقط لوجهه فقال بعض من حضر « رأيت خالداً وقد فعل مثل هذا بعمر بن هبيرة الفزاري لما عزله عن العراق فمن ولي شيئاً فليحسن »

وخوّف يوسف خالداً وعماله ووظف عليهم الأموال وعذبهم حتى مات اكثرهم في يده ، فوظف على أبان بن الوليد البجلي عشرة آلاف الف ، ووظف على طارق ابن ابي زياد عامل فارس عشرين الف الف ، ووظف على الزبير عامل اصبهان والري وقومس عشرين الف الف درهم ، وعلى غيرهم ما دون ذلك فاستخرج اكثر المال ، وكان بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الأشعري عامل خالد على البصرة فهرب من سجن يوسف ولحق بهشام ، فكتب فيه يوسف الى هشام فأشخصه اليه فعذبه حتى قتله وجعل داره بالكوفة سجناً واستصفى داره بالبصرة .

ولما بلغ الحكم بن عوانة عامل السند ما فعل يوسف بعمال خالد أوغل في بلاد العدو وقال إما فتح يرضى به يوسف وإما شهادة أستريح بها منه ، فلقي العدو فلم يزل يقاتل حتى قتل .

وقد كان استخلف على الخيل عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ، ولما قتل الحكم ابن عوانة بارض السند تنازع خلافته عمرو بن محمد الثقفي وابن عرار ، فكتب الى يوسف بن عمر فكتب بذلك الى هشام فكتب اليه هشام « إن كان عمرو بن محمد قد اكتهل فوله » فمال يوسف بالثقفية الى عمرو فولاه وارسل بعهده اليه فاخذ ابن عرار فحبسه وقيده ، وبنى عمرو بن محمد بن القاسم مدينة دون البحيرة سماها (المنصورة) ونزلها فيمنزل الولاة ، وكاب العدو وملكوا ملكاً ثم زحفوا الى المنصورة فحصروها فكتب عمرو الى يوسف فوجه اليه باربعة آلاف فانصرف عنه الملك وفوض أمره فتجهز للعدو وجعل على مقدمته معن بن زائدة الشيباني ، وكبس عسكر ذلك الملك ليلاً ، وصبر أصحابه فقتل من العدو خلقاً عظيماً ، وأشرف ذلك الملك فمرّ به قوم

من أصحابه ولم يعرفه المسلمون فلما رأوه قالوا ﴿ الراه الراه ﴾ أي الملك — فاستنقذوه ومرّ هارباً هو واصحابه لا يلوي على شيء ، واستقامت البلاد لعمرو ، وكان معه في عسكره مروان بن يزيد بن المهلب فوثب في جماعة من القواد ما يلوه على ذلك حتى انتهب متاعه وأخذ دوابه ، فخرج اليه عمرو ومعه معن بن زائدة وعطية بن عبد الرحمان فهزمه وفرق أصحابه ، وهرب مروان فنادى عمرو : الناس كلهم آمنون إلا ابن المهلب فدل عليه فقتله .

فاقدم هشام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فقال إن يوسف بن عمر الثقفي كتب يذكر أن خالد بن عبد الله القسري ذكر له أن عندك ستمائة الف درهم وديعة فقال ما لخالد عندي شيء ﴿ قال ﴾ فلابد من أن تشخص الى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد ﴿ قال ﴾ لا توجه بي الى عبد ثقيف يتلاعب بي ﴿ قال ﴾ لا بد من إشخاصك اليه فكلمه زيد بكلام كثير ﴿ فقال له ﴾ هشام لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة وانت ابن امة ﴿ قال ﴾ ويلك مكان أمي يضعني ؟ والله لقد كان اسحاق ابن حرة واسماعيل ابن امة فاختص الله عز وجل ولد اسماعيل فجعل منهم العرب فما زال ذلك ينمى حتى كان منهم رسول الله ﴿ ص ﴾ ﴿ ثم قال ﴾ اتق الله يا هشام ﴿ فقال ﴾ أو مثلك يأمرني بتقوى الله ﴿ فقال ﴾ نعم إنه ليس أحد دون أن يأمر بها ولا أحد فوق أن يسمعها ، فأخرجه مع رسل من قبله فلما خرج قال والله إني لأعلم أنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل .

وكتب هشام الى يوسف بن عمر ﴿ إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة فاني رأيته رجلاً حلو اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام وأهل العراق أسرع شيء الى مثله ﴾ فلما قدم زيد الكوفة دخل الى يوسف ﴿ فقال ﴾ لم أشخصتني من عند امير المؤمنين [قال] ذكر خالد بن عبدالله أن له عندك ستمائة الف درهم (قال) فاحضر خالداً فأحضره وعليه حديد ثقيل

﴿ فقال له يوسف ﴾ هذا زيد بن علي فاذكر مالك عنده [فقال] والله الذي لا إله إلا هو مالي عنده قليل ولا كثير ولا أردتم باحضاره إلا ظلمه ، فأقبل يوسف على زيد وقال له إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك ، قال فاستريح ثلاثاً ثم أخرج ؛ قال ما الى ذلك سبيل ؛ قال فيومي هذا ، قال ولا ساعة واحدة فأخرجه مع رسل من قبله فتمثل عند خروجه بهذه الأبيات :

منخرق الخفين يشكو الوجى * تنكبه أطراف مرو حداد (١)
شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

فلما صار رسل يوسف بالعذيب انصرفوا وانكفأ زيد راجعاً الى الكوفة فاجتمع اليه من بها من الشيعة وبلغ يوسف بن عمر فوثب بينهم وكانت بينهم ملحمة ، ثم قتل زيد بن علي وحمل على حمار فأدخل الكوفة ونصب رأسه على قصبة ثم جمع فأحرق وذري نصفه في الفرات ونصفه في الزرع ، وقال والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم ، وكان مقتل زيد سنة ١٢١ .

ولما قتل زيد وكان من أمره ما كان تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل معهم وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية وما نالوا من آل رسول الله

(١) هي من أبيات سبعة أوردها ابو الفرج الاصبهاني في (مقاتل الطالبيين) . ﴿ ويروى ﴾ عجز البيت الأول (تبكيه أطراف القنا والحداد) والمعروف أن عيسى ابن زيد تمثل بها لا زيد فان الذي يذكره المؤرخون أن محمد المهدي العباسي دخل بعض المواضع بحلوان فوجد مكتوباً على الحائط هذه الأبيات فبكى بكاء شديداً ووقع تحت كل بيت (انت آمن) فقيل له أتعرف من كتب هذه الأبيات يا أمير المؤمنين قال نعم ومن يكتبها غير عيسى بن زيد ، ووددت أنه ظهر لي فاعطيه جميع ما يروم ، أنظر مقاتل الطالبيين بترجمة عيسى بن زيد بن علي عليه السلام . (م . ص)

صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر وظهرت الدعاة ورئيت المنامات وتدورست كتب الملاحم .

وهرب يحيي بن زيد إلى خراسان فصار إلى بلخ فأقام بها متواريا وكتب يوسف الى هشام بحاله فكتب الى نصر بن سيار بسببه ، فوجه نصر جيشا الى بلخ عليهم هدبة ابن عامر السعدي فطلبوا يحيي حتى ظفروا به فاتوا به نصراً فحبسه في [قهندز مرو]

وبلغ هشاما إضطراب خراسان وكثرة من بهـا فكتب الى يوسف بن عمر ابعث إلي برجل له علم بخراسان ، فبعث اليه بعبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي فسأله عن أمر خراسان وأهلها ومن بها ممن يصلح أن يولاها فسمى له جماعة من قيس وربيعة ؛ فكان إذا سمى رجلاً من ربيعة قال إن ربيعة لا يسد بهـا الثغور فسمى نصر بن سيار الليثي فقال كأنه نصر وسيار ، فقال يا غلام اكتب عهده فكتب العهد وأمره أن يعاجل يوسف بن عمر ، وكان نصر بن سيار قبل ذلك تولى كورة من كور خراسان فعزل جعفر بن حنظلة وولي البلد .

وكان يوسف أخذ عمال خالد فحبسهم ، وكان ممن أخذ عيسى بن معقل العجلي وعاصم بن يونس العجلي ، وكان ابو مسلم — واسمه ابراهيم بن عثمان قبل أن يسميه محمد بن علي عبد الرحمان — يخدم عيسى بن معقل وقد سمعهم يتكلمون في دعوة بني هاشم حتى فهم الأمر ؛ وقد ارتحل سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب يريدون مكة فدخل السجن الى عيسى بن معقل وعاصم بن يونس فرأوا أبا مسلم يختلف اليهم ويذاكرهم هذا الامر فأخرجوه معهم وأدخلوه الى محمد بن علي فكلمه وقال إني لأحسب هذا الغلام صاحبنا بل هو هو فاقبلوا قوله وانهوا الى أمره واستوصوا به فانه صاحب الأمر لا شك فيه .

وبعض أهل العلم بالدولة يقول إن أبا مسلم لم يلحق محمد بن علي إنما لقي ابنه ابراهيم بن محمد بن علي .

وكان يزيد بن عبد الملك جعل ولاية العهد لابنه الوليد بن يزيد فكانت الملاحاة لا تزال تجري بينه وبين هشام فلم يجده في مجلسه ووجد فيه خاله ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومي ، فقال له الوليد من الرجل متجاهلاً به ؛ فغضب ابن هشام فقال من لم يتم لجدك شرف إلا بمصاهرته ، قال وإنك لتقول هذا يا ابن اللخناء ؛ وتنازعا كلاماً قبيحاً وخرج هشام وقد سمع الكلام فامسكا ولم يقم اليه الوليد ، فقال له هشام كيف أنت يا وليد ؛ قال صالح ، قال ما فعلت طنابيرك ؛ قال مُعْلمة ، قال ما فعل جلساؤك جلساء السوء ؛ قال عليهم لعنة الله إن كانوا شراً من جلسائك ؛ قال أقيموه فاخذ بيده وأقيم من مجلسه .

وكان هشام من أحزم بني أمية وأرجلهم ؛ وكان بخيلاً حسوداً فظاً غليظاً ظلوماً شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان ، وفشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر ، وكان الغالب عليه الأبرش بن الوليد الكلبي ، وصاحب شرطه كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه الربيع بن زياد بن سابور ؛ وحاجبه الحريش مولاه ، وعمل الخز الرقم وغيره والوشي والأرمني وأصناف الثياب ، وكانت ولايته عشرين سنة إلا خمسة أشهر ، وتوفي يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . ومنع وكلاء الوليد بن يزيد من الخزائن فلم يوجد له كفن حتى كفنه خادم له ﴿ وقيل ﴾ بل كفنه الأبرش الكلبي فصلى عليه العباس بن الوليد ﴿ وقيل ﴾ بل الأبرش الكلبي . ودفن بالرصافة . وخلف من الولد عشرة : مسلمة . ويزيد . ومحمد . وعبدالله . وسليمان . ومروان . ومعاوية وسعيد . وعبد الرحمان . وقريش .

وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٠٥ ابراهيم بن هشام . سنة ١٠٦ هشام بن عبد الملك . سنة ١٠٧ ابراهيم بن هشام . وفي سني ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ ابراهيم ايضاً . سنة ١١٣ سليمان ابنه . ١١٤ خالد بن عبد الملك

ابن الحارث بن الحكم ، سنة ١١٥ محمد بن هشام بن اسماعيل ، ١١٦ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، سنة ١١٧ خالد بن عبد الملك بن الحارث « .. (١) .. » سنة ١١٩ ابو شاكر مسلمة بن هشام ، سنة ١٢٠ ، وسنة ١٢١ ، وسنة ١٢٢ محمد ابن هشام بن اسماعيل ، سنة ١٢٣ يزيد بن هشام ، سنة ١٢٤ محمد بن هشام ابن اسماعيل .

وغزا بالناس في ولايته ، سنة ١٠٦ غزا معاوية بن هشام ، وبعث بالوضاح صاحب الوضاحية فأحرق الزرع والقرى لأن الروم حرقوا المرعى ، وغزا الصائفة اليسرى سعيد بن عبد الملك ، وغزا الجراح بن عبد الله الحكمي اللان ، سنة ١٠٧ معاوية ايضاً ، سنة ١٠٨ مسلمة بن عبد الملك على الصائفة اليمنى ، وعاصم بن يزيد الهلالي على الصائفة اليسرى ، سنة ١٠٩ معاوية بن هشام ومعه البطال على مقدمته فافتتح خنجرة ، وغزا مسلمة الترك فاخذ عليهم باب اللان ولقي خاقان ، سنة ١١١ معاوية بن هشام على الصائفة اليسرى ، وسعيد بن هشام على الصائفة اليمنى ، وسارت الترك الى آذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو الطائي فهزمهم ، سنة ١١٢ صار الترك الى أرض أردبيل فغزاهم الجراح بن عبد الله الحكمي فلقي ملك الترك فقتله ؛ وغزا معاوية بن هشام الروم فلم يمكنه دخول بلادهم فرابط بالعمق من ناحية مرعش ، سنة ١١٤ معاوية بن هشام ومسلمة بن عبد الملك ، سنة ١١٥ معاوية وسليمان ابنا هشام وعلى المقدمة عبد الله البطال فلقي قسطنطين فأسره وهزم الروم ، سنة ١١٦ معاوية ابن هشام ، سنة ١١٧ معاوية وسليمان ابنا هشام ، وغزا مروان بن محمد بلاد الترك « .. (٢) .. » مروان بن محمد ، ١٢١ مسلمة بن هشام بلغ ملطية . سنة ١٢٢

(١) بياض في الأصل ، وقد سقط منه ذكر الذي حج بالناس سنة ١١٨ وذكر ابن الأثير في الكامل أن الذي حج بالناس فيها محمد بن هشام بن اسماعيل وكان أمير المدينة .

(٢) بياض في الأصل . وقد سقط منه ذكر من —

مروان بن محمد ناحية أرمينية . وسليمان بن هشام ناحية ملطيه ، سنه ١٢٣ سليمان بن هشام الصائفه . ومروان بن محمد جيلان وموقان من أرض ارمينيه . سنه ١٢٤ سليمان ابن هشام فلقي اليون طاغيه الروم وارطياس . فانصرف ولم يكن بينهم حرب سنه ١٢٥ الغمر بن يزيد بن عبد الملك .

وكان الفقهاء في أيامه : سالم بن عبد الله بن عمر . الهيثم بن محمد بن ابي بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري . محمد بن كعب القرظي . نافع مولى عبد الله بن عمر عاصم بن عمر بن قتادة . محمد بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . طاوس اليماني ربيعه بن ابي عبد الرحمان . عطاء بن ابي رباح . عمر بن دينار . عبد الله بن ابي نجيح حبيب بن ابي ثابت . عبد الملك بن ميسرة . ابو اسحاق السبيعي . القاسم بن عبد الرحمان . عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود . سماك بن حرب الذهلي . الحكم ابن عينيه الكندي . حماد بن ابي سليمان . ابو معشر زياد بن كليب . طلحه بن مصرف الهمداني . نعيم بن ابي هند الأشجعي . أشعث بن ابي الشعثاء . سعيد بن أسبوع . ابو حازم الأعرج . قتادة بن دعامه السدوسي . بكر بن عبد الله المزني أيوب السختياني . يزيد بن عبد الله الشخير . عبد الرحمان بن جبير . مكحول الدمشقي راشد بن سعد المقرئ . ميمون بن مهران . ابو قبيل المعافري . يزيد بن الأصم .

* *
*

— غزا بين سنة ١١٧ وسنة ١٢١ . وذكر ابن الأثير في الكامل أن الذي غزا أرض الروم سنة ١١٨ معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك . وفي سنة ١١٩ غزا الوليد بن القعقاع أرض الروم . ومروان بن محمد أرمينية فدخل بلاد اللان . وفي سنة ١٢٠ غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة . وغزا اسحاق بن سلم العقيلي تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب أرضها . (م . ص)

أيام الوليد بن يزيد

وملك الوليد بن يزيد بن عبدالملك — وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي — وأتته الخلافة وهو بدمشق بعد وفاة هشام بعشرة أيام ، وكان ذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥ ، وكانت الشمس يومئذ في الدلو ستاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة ؛ والقمر في السنبلة خمس درجات وعشرين دقيقة ، والمريخ فى الجدي أربع درجات ، والزهرة فى الجدي ست عشرة درجة وخمساً وأربعين دقيقة وعطارد فى الحوت اثنتي عشرة درجة وعشر دقايق ؛ والرأس فى الدلو إحدى عشرة درجة وخمساً وار بعين دقيقة ، وعزل الوليد عمال هشام وعذبهم انواع العذاب خلا يوسف بن عمر الثقفي عامل العراق ؛ وذلك أنه وجد فى ديوان هشام كتباً من العمال يقوّمون عزمه فى خلع الوليد إلا يوسف فانه أشار عليه أن لا يفعل فأقره على عمله وكتب اليه فى خالد بن عبد الله القسري فلم يزل يوسف يعذبه « . . (١) . . »

وعقد لابنه الحكم بولاية العهد بعده ، وولاه دمشق ، وعقد من بعده لعثمان ابنه ، وولاه حمص ، وضم اليه ربيعة بن عبد الرحمان الفقيه وجعله قائماً بامره .

وعزل ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي — خال هشام — عن المدينة ومكة والطائف ، وولى خاله يوسف بن محمد الثقفي المدينة ومكة ، وكان نصر بن سيار لما أخذ يحيي بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فى أيام هشام صار به الى مرو فحبسه فى ﴿ قهندز مرو ﴾ وكتب الى هشام يخبره فوافق ورود كتابه موت هشام فكتب اليه الوليد أن خل سبيله ﴿ وقيل ﴾ بل احتال يحيي بن زيد حتى هرب من الحبس

(١) بياض فى الأصل ؛ وقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ١٢٦ وهي سنة قتل خالد — أنه لم يزل يوسف بن عمر يعذب خالداً عذاباً كثيراً وكتب هشام الى يوسف يأمره باطلاقه فى شوال سنة إحدى وعشرين فاطلقه (الخ) حتى قتله فى المحرم سنة ١٢٦ . (م . ص)

وصار الى بيهق من أرض أبر شهر فاجتمع اليه قوم من الشيعة فقالوا حتى متى ترضون بالذلة ، واجتمع معه نحو مائة وعشرين رجلاً فرجع حتى صار الى نيسابور فخرج اليه عمرو بن زرارة القسري وهو عامل نيسابور فقاتل يحيي فظهر يحيي عليه فهزمه وأصحابه وأخذوا أسلحتهم ثم اتبعوهم حتى لحقوا عمرو بن زرارة فقتلوه ، وسار يحيي يريد بلخ فوجه اليه نصر بن سيار سلم بن أحوز الهلالي فسار سلم حتى صار الى سرخس وسار يحيي حتى صار الى باذغيس وسبق الى مرو الروذ فلما بلغ نصراً ذلك سار اليه في جموعه فلقيه بالجوزجان فحاربه محاربة شديدة فأتت نشابة فوقعت في يحيي وبادر القوم فاحتزوا رأسه وقاتل أصحابه بعده حتى قتلوا عن آخرهم .

وقدم في هذه السنة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب — وهم رؤساء دعاة بني هاشم — على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس باموال وهدايا ومعهم أبو مسلم فقال لهم محمد لن تلقوني بعد وقتي هذا وأنا ميت في سنتي هذه ؛ وكان ذلك في أول سنة ١٢٥ وصاحبكم ابني ابراهيم مقتول فاذا قضى الله فيه قضاءه فصاحبكم عبد الله ابن الحارثية فانه القائم بهذا الأمر وصاحب هذه الدعوة الذي يؤتيه الله الملك ؛ ويكون على يده هلاك بني أمية وأخرجه اليهم حتى رأوه وقبلوا يديه ورجليه وقال لهم إن عبد الرحمان صاحبكم — يعني أبا مسلم — فاسمعوا له وأطيعوا فانه القائم بهذه الدولة ، وتوفي محمد بن علي في آخر سنة ١٢٥ وهو ابن سبع وستين سنة فلما بلغ القوم وفاة محمد بن علي قدموا على ابراهيم بأبي مسلم وأعلمه أنه صاحب أمرهم وأمره عليهم ؛ ثم قال لقحطبة بن شبيب وانت والله الذي تلقى نباتة بن حنظلة وعامر بن ضبارة فتهزمهما وتقاتل عساكرهما ويفتح الله لك حتى تصير الى الفرات لا ترد لك راية فخرجوا الى خراسان وقد وقعت العصبية بين مضر واليمن وذلك إن نصر بن سيار تحامل على اليمن وربيعة وقدم المضرية فوثب به جديع بن علي الكرماني الأزدي — وكان رئيس الأزد يومئذ ورجاهم — وقال له لا ندعك وفعلك ومالت معه اليمانية

وربيعة فأخذه نصر فحبسه فأتت اليمن وربيعة حتى أخرجوه من مجرى كنيف ثم اجتمعوا عليه ورام نصر أن يخدعه فيصير اليه فلم يفعل شيئاً ، وكان في نصر بعض الخرق فلما علم أن اليمن وربيعة قد اجتمع رأيها معه على نصر بن سيار وثب به فحاربه وكان له العلو على نصر ؛ فمال ابو مسلم الى الكرماني فقال له ادع الى آل محمد وجعل يمايل أصحابه ويدعوهم الى ذلك حتى أظهروا دعوة بني هاشم بخراسان .

وكان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ويزيد بن عرار — لما قتل الحكم بن عوانة عامل السند — تنازعا خلافته فكتب هشام الى يوسف بن عمر في ذلك فمال يوسف بالثقفية الى عمرو بن محمد بن القاسم فولاه فلما ولي الوليد عزل عمرو بن محمد بن القاسم عن السند وولى يزيد بن عرار فغزا ثماني عشرة غزاة وكان ميمون النقيبة .

واضطربت البلدان كلها ، وكان الوليد مهملاً لأمره قليل العناية باطرافه ، وكان صاحب ملاهي وقيان وإظهار للقتل والجور ، وتشاغل عن أمور الناس بشرب ومجون فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو ووجه مهندساً لذلك فلما ظهر هذا منه — مع قتله خالد بن عبد الله القسري ، وتعذيبه ابراهيم ومحمد ابني هشام حتى ماتا ، واستذمامه الى الناس والى أهل بيته ومن كان في ناحيتهم من العرب — استمال يزيد بن الوليد بن عبد الملك جماعة من أهل بيته فمايلوه على خلع الوليد وشايعه على ذلك بنو خالد بن عبد الله القسري وجماعة من اليمانية الى البيعة ليزيد ابن الوليد بن عبد الملك ، واجتمع اليه جماعة ، وخرج مولى للوليد فعرّفه الخبر فضربه مائة سوط وزحف اليه يزيد بن الوليد رويداً رويداً الى قرية تعرف بالبخراء فنزل قصراً بها بعساكره يتلو بعضها بعضاً فقاتلوه فقاتلهم حتى قتل فابتدره الناس بأسيافهم فاحتزوا رأسه وقطعوا يده فنصب رأسه بدمشق ، وكان قتله لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ، وكان على شرطه عبد الرحمن بن حميد الكلبي ؛ وعلى حرسه قطري مولاه ، وحاجبه قطن مولاه

وخلف من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً : عثمان ، ويزيد ، والحكم ، والعباس وفهر ، ولؤي ، والعـاص ، وموسى ، وقصي ، وواصل ، وذؤابة ، وفتح والوليد ؛ وسعيد .

أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك

وملك يزيد بن الوليد بن عبدالملك ـ وأمه شاه فرند بنت فيروز بن كسرى ـ مستهل رجب سنة ١٢٦ بعد قتل الوليد بخمس ؛ وكانت الشمس يومئذ في الحمل إحدى عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الحوت عشرين درجة ، وزحل في السنبلة عشرين درجة ، والمشتري في الجوزاء ثلاث درج وخمسين دقيقة ؛ والمريخ فى الجوزاء خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والزهرة في الجدي عشر درجات وعطارد في الحمل احدى وعشرين درجه وثلاثين دقيقة .

ونقص الناس من عطائهم فسمي يزيد الناقص ، واضطربت البلدان فكان ممن خرج عليه العباس بن الوليد بحمص وشايعه أهل حمص ، وبشر بن الوليد بقنسرين وعمر بن الوليد بالأردن ، ويزيد بن سليمان بفلسطين ، وساعد العباس ابو محمد بن عبدالله ابن يزيد بن معاوية ؛ وسليمان بن هشام .

وبايع لأخيه ابراهيم بن الوليد بولاية العهد من بعد ثلاثة أيام من ولايته ووجهه الى الأردن وقد امروا عليهم محمد بن عبد الملك فواقفوه فارسل اليهم عبد الرحمان بن مصاد يقول لهم علامَ تقتلون أنفسكم اقبلوا الينا نجمع لكم الدنيا والآخرة وأنا اضمن لكل رجل منكم الف دينار ، فافترقوا ، وكانت ولايته خمسة أشهر والفتنة في جميع الدنيا عامة حتى قتل أهل مصر أميرهم حفص بن الوليد الحضرمي ؛ وقتل أهل حمص عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي ؛ وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وغلب على أمره يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وكان على شرطه يزيد ابن الشماخ اللخمي ، وعلى حرسه سلام مولاه ؛ وحاجبه جبير مولاه ؛ وكان في

بيت مال الوليد يوم قتل سبعة وأربعون الف الف دينار ففرقها يزيد عن آخرها ؛ وكان قدريًا ، وتوفي لانسلاخ ذي القعدة ، وصلى عليه ابراهيم بن الوليد ، ودفن بدمشق ﴿ وقيل ﴾ إن أخاه ابراهيم سقاه السم .

وأقام الحج في تلك السنة وهي سنة ١٢٦ عمر بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ﴿ وقيل ﴾ « ... (١) ... » بن الحجاج بن عبد الملك « ... (١) ... »

ووثب ثابت بن نعيم الجذامي على مروان وهو بارمينية فظفر به مروان فمنَّ عليه وانصرف مروان من ارمينية واستخلف عليها عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي واستخلف على ﴿ الباب والأبواب ﴾ اسحاق بن مسلم العقيلي ثم جمع أرمينية لاسحاق ابن مسلم العقيلي .

أيام ابراهيم بن الوليد

ثم ملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان — وأمه أم ولد يقال لها سعاد — في اليوم الذي توفي فيه يزيد بن الوليد ، فأقام أربعة أشهر ، وقدم مروان ابن محمد بن مروان من أرمينية خالعًا له فلما صار بحران دعا إلى نفسه فبايع أهل الجزيرة سرًا ؛ وأقبل في جموع من أهل الجزيرة فلقي بشرًا ومسرورًا ابني الوليد بن عبد الملك معسكرين بحلب فهزم عسكريهما وأسرهما ، ثم مضى حتى أتى حمص وعليها عبد العزيز وبلغ ابراهيم الخبر فوجه اليه سليمان بن هشام بن عبد الملك فلقي مروان ومن معه من أهل الجزيرة وقنسرين وحمص فالتقوا بعين الجر من عمل دمشق فتناوشوا القتال يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر سنة ١٢٧ وانصرف بعضهم عن بعض فلما كان من الغد انهزم

(١) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله ، وقيل ﴿ عبد العزيز وأمر يزيد بالبيعة لعبد العزيز (بن الحجاج بن عبد الملك) بعد ابراهيم بن الوليد لأن يزيد لما مرض قيل له ليبايع لهما ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما ﴾ أنظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ١٢٦ .

سليمان بن هشام وأصحابه فلحقوا بابراهيم ، وأقبل مروان حتى نزل دير العالية فبايع له أهل دمشق ودخلها فخلع ابراهيم نفسه وبايع لمروان يوم الاثنين للنصف من صفر سنة ١٢٧ . ولم يزل مع مروان حتى غرق بالزاب في وقعة عبد الله بن علي .

أيام مروان بن محمد بن مروان

ودعوة بني العباس

وملك مروان بن محمد بن مروان — وأمه أم ولد يقال ريا — في صفر سنة ١٢٧ وبايع له من بدمشق من بني أمية وغيرهم . وكتب الى عمال البلدان فاتته كتبهم بالسمع والطاعة والانقياد . وأتاه الخبر أن أهل حمص مقيمون على المعصية فسار اليهم واستخلف بدمشق عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فحاصرهم حتى فتح المدينة وهرب منه السمط ابن ثابت بن الأصبغ بن ذوالة وأسر معاوية بن عبد الله السكسكي . وأتاه الخبر أن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري قتل يوسف بن عمر الثقفي وكان يوسف محبوساً فلما رأى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك اضطراب أمر مروان بن محمد أمر يزيد بن خالد ابن عبد الله القسري بالمضي الى السجن وأمره أن يقتل يوسف بن عمر ويقتل عثمان والحكم ابني الوليد بن يزيد ففعل ذلك . وأراد مروان أن يرجع فاتاه الخبر أن الضحاك بن قيس الحروري قد غلب على ناحية العراق وحارب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وأنه قد صار الى الجزيرة وجاز الموصل فصار الى نصيبين وبها عبد الله بن مروان فحاصره. وكان عامل اسحاق بن مسلم بالباب والأبواب (١) رجلاً يقال له « مسافر » وكان يرى رأي الخوارج . فكتب اليه الضحاك بعهده على ارمينية وكان أهلها قتلوا عاصم ابن عبد الله بن يزيد الهلالي عامل ارمينية فتوجه اليها وصار مروان الى حران فابتنى بها

(١) الباب والأبواب . ويقال له باب الأبواب . والباب غير مضاف هو الدربند، دربند شروان . (معجم البلدان)

منزله في موضع يقال له ﴿ دباب البين ﴾ وبلغ الضحاك خبره فأقبل نحوه فمرّ بالموصل فحصرها ثم كره أن يطول الأمر به فنفذ الى نصيبين فحصرها ثم نفذ الى حران حتى وافق مروان فحاربه محاربة شديدة وظفر الضحاك به مراراً حتى عزله عن سريره وجلس عليه ، ثم قتل الضحاك سنة ١٢٧ وافترق الخوارج فرقاً .

وصار سليمان بن هشام بن عبد الملك ومن هرب من اليمانية من اصحاب يزيد بن خالد ابن عبد الله معهم وسار سليمان بن هشام بن عبد الملك يريد الشأم فلقيه مروان بخساف فهزمه ومضى سليمان وأصحاب الضحاك عليهم الخيبري فسار في عسكر عظيم فلقي مروان فقتله مروان فولت الخوارج أمرها أبالدلفاء الشيباني فرجع باصحابه الى الموصل واتبعه مروان فقاتله شهراً ثم انهزم ابو الدلفاء فوجه مروان خلفه عامر بن ضبارة المري فصار ابو الدلفاء الى عمان فقتل ، قتله الجلندي بن مسعود الأزدي فخرج ابو عبيدة خليفة الضحاك الى الكوفة فولى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العراق فقدمها سنة ١٢٨ فقتل خليفة الضحاك وخرج ثابت بن نعيم الجذامي بناحية الأردن فوجه اليه مروان بالدماجن بن عبد العزيز ، وولى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك المدينة ومكة وقدم مكة ليقيم الحج ووافت الحرورية ومعهم ابو حمزة المختار بن عوف الحروري الأزدي حتى وقفوا على جبال عرفات وكان ابو حمزة من قبل عبد الله بن يحيى الكندى الذى يسمى ﴿ طالب الحق ﴾ فلما وقفوا بعرفات أرعبو الناس وأخافوهم فأرسل اليهم عبد الواحد يعظم عليهم البلد الحرام والأيام العظام ويوم الحج الأكبر فوادعوهم يوم عرفة واربعة أيام وصاروا الى منى فعسكروا ناحية منها فلما انصرفوا لحق عبد الواحد المدينة فدعا الناس الى الديوان ووجه بالجيش وعليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان بقديد في صفر سنة ١٣٠ فقتل عبد العزيز ومن معه من أهل المدينة ، واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا عليهم الحرورية ، وقدمت الحرورية المدينة لعشر بقين من صفر ، وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وغلب ابو حمزة على المدينة

وخطبهم خطبة مشهورة ، وكان أهل المدينة يصلون خلفه ويعيدون الصلاة ثم ساروا يريدون الشام ولقيهم خيل لمروان عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فاوقعوا بهم بوادى القرى فزحف الحرورية منهزمين الى المدينة فخرج اليهم أهل المدينة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ووافاهم ابن عطية فانهزموا فاتبعهم الى مكة ثم اتبعهم الى اليمن حتى قتل عبد الله بن يحيى ودنوا من صعدة فقتل فيهم حتى وطئ الناس عليهم ثم دخلوا صنعاء فاتاه كتاب مروان بتولية الموسم فخرج فلما صار في بعض الطريق توفي في عسكره وأراد مروان أن ينفذ الى العراق فأتاه خبر أهل حمص أنهم عصوا فصار اليهم فوضع عليها المنجنيق حتى هدم سورها فطلبوا الأمان فآمنهم إلا ثلاثة نفر لم يؤمنهم وقتلهم .

وكان منصور بن جمهور — لما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق — هرب حتى أتى السند وكان ابن عرار عامل السند قرابة له فصار خلف النهر وأرسل اليه ابن عرار أن لا تبرح مكانك فرد عليه إنما أردت المقام قبلك فلا وصل الله رحمك ولا قرب قرباك وستعلم بعد ، ثم عمل المراكب بسدوسان وحملها على الابل حتى ألقاها في مهران ثم لقي ابن عرار فحاربه حتى هزمه الى المنصورة ؛ وحصره منصور بن جمهور فطلب ابن عرار الأمان فقال لا أعطيك الأمان إلا حكمي فنزل على حكمه فأمر فبنيت عليه أسطوانة وهو حي ، وأقام منصور بالمنصورة وبعث أخاه منظوراً الى قندابيل والديبل ولم يزل منصور مقيماً بالسند حتى ظهر أبو مسلم بخراسان ووجه ابو مسلم برجل يقال له ﴿ المغلس ﴾ من أهل سجستان الى السند فلما اظلهم وثب أصحاب منظور اخي منصور ابن جمهور فقتلوه وكتبوا الى مغلس فأتاهم فلقيه منصور بن جمهور فقاتله فهزمه وأسر مغلس فاتى به منصوراً فقتله وقتل اكثر قتلة أخيه .

واشتدت شوكة الكرماني بخراسان ودامت الحرب بينه وبين نصر بن سيار وظهر الكرماني على نصر بن سيار ، وكان ابو مسلم الخراساني الغالب على أمر الكرماني ﴿ فحدثني ﴾ جماعة من أشياخنا أن أبا مسلم كان يقول إذا التقى الكرماني ونصر بن

سيار للقتال ﴿ أللهم أفرغ عليهما الصبر وأنزع عنهما النصر ﴾ وطعن الكرماني فقتل وصلبه نصر ، وغلب ابو مسلم على عسكره وظهر أمره واستكثف جمعه وجادّ نصر بن سيار القتال حتى فله مراراً وأظهر دعوة بني هاشم ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٩ ووثب سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز فوجه اليه يزيد بن عمر بن هبيرة نباتة ابن حنظلة الكلابي فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم سليمان فلحق بفارس فوجه يزيد بن عمر عامر بن ضبارة المري الى فارس ؛ وضعف أمر نصر بن سيار بخراسان ، وقوي أمر ابي مسلم فكتب نصر الى مروان يصف له حاله وضعف من معه وقوة ابي مسلم وظهوره وكتب في آخر كتابه .

أرى بين الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تورى * وإن الفعل يقدمه الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أ أيقاظ أمية أم نيام

فكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة عامله على العراق أن يمد نصر بن سيار بالرجال فتقاعد يزيد ، ثم تابع مروان الكتب اليه بالوعيد فوجه بابنه داود بن يزيد في جيش عظيم فيه عامر بن ضبارة المري والجوبرية بن اسماعيل ونباتة بن حنظلة الكلابي وكان داود بن يزيد بن عمر حدث السن فكتب مروان الى ابن هبيرة ينكر عقده لابنه داود لحداثة سنه ويأمره أن ينفذ اليه من يحل لواءه ويعقد لعامر بن ضبارة المري على الجيش ففعل ابن هبيرة ذلك ونفذ الجيش وعلى المقدمة نباتة بن حنظلة الكلابي .

وطلب مروان ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس لما بلغه أن دعوة ابي مسلم له وأنه الذي يؤهل لهذا الأمر ﴿ فحدث ﴾ عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال كنت مع ابي جعفر عبدالله بن محمد بالحميمة ومعه ابناه جعفر ومحمد وهما صبيان فانا أداعبهما وألاعبهما ، فقال لي أي شيء تصنع بهذين الصبيين أما ترى ما نحن فيه فنظرت فاذا رسل مروان تطلب ابراهيم بن محمد فقلت دعني أخرج فقال تخرج من بيتي وانت ابن عمار

ابن ياسر ، قال فأخذوا بأبواب المسجد وأشير لهم الى ابراهيم ليأخذوه وقد كان وُصف لهم بصفة ابي العباس ، وابو العباس الموصوف بقتلهم ، فلما أتي به إلى مروان قال ليس هذه الصفة ، فقال الرسول قد والله رأيت الصفة ولكن قلت ابراهيم بن محمد وهذا ابراهيم بن محمد فردهم فى طلب ابي العباس فوجدوه قد تغيب فأمر مروان بابراهيم فغطي وجهه بقطيفة حتى مات ﴿ وقيل ﴾ بل أدخل رأسه فى جراب نورة حتى مات وفيه يقول ابن هرمة :

وكنت أحسبني جلداً فضعضعني * قبر بحرّان فيه عصمة الدين
فيه الامام الذي عمت مصيبته * وعيَّلت كل ذي مال ومسكين

وأظهر ابو مسلم الدعوة لبني هاشم وطلب نصر بن سيار منه المتاركة وسأله الموادعة فوجه اليه لاهز بن قريظ فى جماعة من أصحابه — وكان لاهز بن قريظ أحد النقباء — فأمره أن يحضر ليبايع فدخل لاهز عليه فقال أجب الأمير ثم تلا ﴿ إن الملاء يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ فقال نصر أدخل الى بستاني واخرج إليكم فدخل الى بستان له فركب دوابه ومضى هاربا فمات بقرية يقال لها (ساوة) وأخذ ابو مسلم لاهز بن قريظ فضرب عنقه ؛ وقدم الى نيسابور فى شهر رمضان اوشوال ووجه عماله .

فاستعمل سباع بن معمر الأزدى على سمرقند ، واستعمل أبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ، وجعل أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي على شرطه ، ووجه محمد بن الأشعث الخزاعي الطبسين وفارس ؛ ووجه الحسن بن قحطبة على مقدمته ؛ ثم قدم قحطبة بن شبيب ومعه عهد ابراهيم بن محمد بن علي وسيرة يعمل عليها فأمضى ابو مسلم له ذلك ووجهه لقتال جند بني أمية ، فسار قحطبة حتى أتى جرجان فالتقي نباتة بن حنظلة فنشبت الحرب فقتل نباتة وهزم جنده واحتوى على ما في عسكره وصير الغنائم الى خالد ابن برمك فقسمها بين أصحابه ، وأقام قحطبة الى غرة المحرم سنة ١٣١ ، ثم وجه بابنه

الحسن بن قحطبة الى قومس على مقدمته ولحقه فتوجه من الري الى همذان ، ووجه العكي الى قم واصفهان ، وسار قحطبة حتى صار اليها وفيها عامر بن ضبارة المري فارسل اليه يدعوه الى بيعة آل محمد فأرسل اليه ابن ضبارة يا علوج أما والله إني لأرجو أن أقرنكم في الحبال ، وكان في أربعين الفاً من أهل الشام ، فواقعه قحطبة فقتله وقتل من كان معه من أصحابه فلم ينج منهم إلا القليل فهربوا الى ابن هبيرة وهو إذ ذاك بجلولاء ، وصار قحطبة الى نهاوند وبها أدهم بن محرز الباهلي في جماعة ممن ضوى اليه فحصرها قحطبة ثلاثة أشهر حتى أفنى اكثرهم ثم فتحها ، وسار الى حلوان وكان قحطبة يقول « ما من شيء فعلته إلا وقد خبرني به الامام إلا أنه أعلمني أن لا أعبر الفرات » ووجه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الى شهرزور فلقي عثمان بن زياد فهزمه واستباح عسكره « قال حميد بن قحطبة » حدثني ابي قال دخلت مسجد الكوفة أيام بني أمية وعلي فرو غليظ فجلست الى حلقة وشيخ في صدر القوم يحدثهم فذكر أيام بني أمية وذكر السواد ومن يلبسه فقال يكون ويكون ويخرج رجل يقال له قحطبة كأنه هذا الأعرابي — وأشار إلي — ولو أشاء أن أقول هو هو لقلت « قال قحطبة » فخفت على نفسي فتنحيت ناحية فلما انصرف كلمته فقال لو شئت أن أقول أنك أنت هو لقلت ، فسألت عنه فقيل لي هو جابر بن يزيد الجعفي .

وكان ابن هبيرة بواسط العراق فتحصن بها وأدخل الطعام والأنزال وانصرف اليها فلال العساكر ، وقدم قحطبة العراق فوافى به عسكراً ليزيد بن هبيرة فاستباحه وصار الى الزاب - وهو من الفلوجة العليا على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة فلقي يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ١٣٢ فاقتتلوا ساعة من الليل ثم انهزم ابن هبيرة حتى رجع الى واسط فتحصن بها فلما فرغ قحطبة من قتاله قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي [ص] ثم قال « أيها الناس إنا والله ما خرجنا إلا لاقامة الحق وإزالة دولة الباطل وقد أعلمتكم أن الامام محمد بن علي

ابن عبد الله بن عباس أعلمني أن التي نباتة بن حنظلة الكلابي وعامر بن ضبارة المري فأهزمها واستبيح عسكرها وأقتل مقاتلتها وانبأتكم بذلك قبل كونه وقد رأيتم صدق ما خبرتكم وأن الامام أعلمني أن لا أعبر الفرات وأنكم تعبرونه فلا يفقد من الجيش احد غيري وإنه والله لا كذب فيما قال فاذا فقدتموني فأمير الناس حميد بن قحطبة والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ﴾

فلما كان السحر عبروا الفرات وكان في أيام المد وكثرة الماء فلما أصبحوا فقدوا قحطبة فلم يعرفوا له خبراً فقالوا غرق وقالوا سقط عليه جرف وقالوا غار به فرسه .

وكان ابو مسلم قد كتب اليه (. . . .) من الكوفة اني قد أعددت لك من المنازل ، فكتب اليه قحطبة ايها الوزير لئن لقيتك إذاً لبني أمية بعد لبقاء ، وأنهزم ابن هبيرة بعد أن غرق قحطبة ، فلما بلغ مروان الخبر قال هذا والله الادبار وإلا فمن سمع بميت يهزم حياً ، وسار حميد بن قحطبة حتى دخل الكوفة بعد ما فقد قحطبة باربع ليال ، وقد أخذ محمد بن عبد الله القسرى الكوفة لبني هاشم وأظهر دعوتهم وشرد من كان بها من بني أمية وأصحابهم ؛ وأظهر السواد ؛ وغلب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على البصرة وسود ، ودعا الى بني هاشم ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال واستعمل العمال ، ووجه الحسن بن قحطبة الى ابن هبيرة وأتبعه بمالك بن الهيثم وأمرهما أن يحاصرا ، وأناخ الحسن على المدينة الغربية ومالك على الشرقية ، ووجه هشام بن ابراهيم مولى بني ليث الى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وكان عامل أخيه على الأهواز فقاتله حتى فض جمعه ثم انهزم عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فلحق بمسلم بن قتيبة الباهلي وهو عامل يزيد بن عمر على البصرة .

وقدم ابو العباس وإخوته وأهل بيته الكوفة في المحرم سنة ١٣٢ فصيرهم أبو سلمة في دار الوليد بن سعد في بني أود وكتم أمرهم فلم يطلع على خبرهم أحد فاقاموا في تلك

الدار شهرين حتى لقي ابو حميد غلاماً لهم فسأله عنهم فأخبره بسوء ضعفهم فصار اليهم وهم في سرداب فقال أيكم عبدالله بن محمد ابن الحارثية فاشير له الى ابي العباس فسلم عليه بالخلافة فمضى فاحضر اصحابه وأخرج أبا العباس وبايع الناس له فلما بلغ أبا سلمة الخبر جاءهم ركضاً حتى لحقهم فقال له عجلتم وأرجو أن يكون خيراً ، وصار ابو العباس الى المسجد فخطب وصلى ، ووجه ابو العباس عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لقتال مروان فلقيه بالزاب بالقرب من الموصل وإنما كان قصد مروان الى الزاب لأن بني أمية كانت تروي في ملاحمها أن المسوّدة لا يجوز سلطانهم الزاب فكانوا يتوهمون أنه زاب الموصل فقصده مروان وهو يرى أنه لايجوزه وإنما ذلك زاب باقاصي المغرب فحاربه عبد الله بن علي فهزمه ثم لم يزل في أثره وهو منهزم لا يلوي على شيء حتى أخرجه الى الجزيرة ثم أخرجه من الجزيرة الى الشام فجعل لا يمر بجند من أجناد الشأم إلا انتهبوه حتى صار الى دمشق وهو مضمر أن يتحصن بها فانتهبه أهل دمشق ووثب عليه من بها من قيس ، فدخلها عبد الله بن علي عنوة وقتل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك خليفة مروان بها ومضى مروان الى فلسطين هارباً فلحقه عبد الله بن عبد الملك فأسره عبد الله بن علي وأسر معه عبد الله بن يزيد بن عبد الملك فوجه بهما الى أبي العباس فصلبهما بالحيرة ، وقدم صالح بن علي عاملاً على مصر وقد هرب مروان اليها فاتبعه فالجأه الى قرية بوصير من كورة أشمون من الصعيد فلم يزل مواقفاً له والحرب بينهما ، ثم أرسل اليه مروان متى ظفرت بهذا الأمر فأوصيك بالحرم خيراً ، فأرسل اليه صالح يا جاهل إن الحق لنا عليك في نفسك ولك علينا في حرمك ، وانصرف عبد الله بن علي راجعاً الى دمشق وصالح في قتال مروان ثم قتل مروان فى المعركة وصاحب الجيش عمر بن اسماعيل الحارثي ؛ وكانت مدة مروان فى ولايته الى أن قتل خمس سنين ، وقتل فى ذي الحجة سنة ١٣٢ وهو ابن اربع وستين سنه ﴿ وقيل ﴾ ثمان وستين سنة ؛ وحز رأسه فلما فور جاءه هر فأخذ لسانه وحمل الرأس الى

أبي العباس فلما وضع بين يديه قال أيكم يعرف هذا فقال سعيد بن عمرو بن جعدة هذا رأس مروان بن محمد بن مروان بن الحكم خليفتنا بالأمس ، فأنكر الناس ذلك عليه ، فقال ابو العباس ما أراد الشيخ بهذا القول إلا الوفاء .

وكان الغالب على مروان ابو حديدة السلمي ؛ واسماعيل بن عبد الله القسري وإسحاق بن مسلم العقيلي ، وعلى شرطه الكوثر بن الأسود الغنوي وهو الذي قال له يوماً فى قتاله انزل ويلك فقاتل فأبى أن يفعل فقال مروان والله لأسوأنك فقال وددت والله أنك تقدر على ذلك ؛ وكان على حرسه سقلاب مولاه ، وحاجبه سليم مولاه .

وكان له من الولد الذكور اربعة : عبد الملك ، وعبد الله ، و عبيد الله ومحمد ، وكان عبد الله وعبيد الله ابنا مروان — ليلة قتل مروان — توجها نحو الصعيد ثم صارا الى بلاد النوبة وتلاحق بهما جماعة من أصحاب مروان فصاروا زهاء أربعة آلاف ، وتخلف عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بمصر واستتر حتى دل عليه صالح ابن علي ؛ وخرج مع عبد الله وعبيد الله جماعة من نسائهم من البنات والأخوات و بنات العم ماشيات هائمات على وجوههن حتى مر رجل من أهل الشأم بصبية ملقاة تنكر وإذا هي بنت لمروان بنت ست سنين فحملها معه حتى دفعها الى عبد الله بن مروان ووافى القوم بلاد النوبة فأكرمهم عظيم النوبة ثم قالوا نقر فى بعض هذه الحصون التي فى بلاد النوبة فلعلنا نتخذ منها معقلاً ونقاتل من يلينا من العدو وندعو الى طاعتنا لعل الله أن يرد علينا بعض ما أخذ منا .

فقال لهم عظيم النوبة « إن هذه الأغربة — يريد السودان — كثير عددها قليل سلبها وإني لا آمن عليكم أن تصابوا فيقال أنت قتلتهم » فقالوا نحن نكتب لك كتاباً « إنا وردنا بلادك فأكرمت مثوانا وأحسنت جوارنا وجهدت أن لا نبرح من عندك فابينا حتى خرجنا ونحن لك شاكرون » ثم خرجوا فأخذوا في بلاد العدو فكانوا ربما لقوا الجيش من الحبشة فقاتلوهم حتى صاروا الى بجاوة فلقيهم عظيم البجة

فقاتاهم وانصرفوا يريدون اليمن فمروا في البلاد ، وعرض لعبد الله وعبيد الله طريقان بينهما جبل فأخذ كل واحد منهما في طريق وهما يريان أنهما يلتقيان بعدساعة فسارا يومهما ذلك ثم راما الرجوع فلم يقدرا ، وسارا أياماً ثم لقي عبيد الله مَنسراً من مناسر الحبشة فقاتلهم وزرقه رجل منهم بمزراق فقتل عبيدالله واستأسر أصحابه فاخذت الحبشة كل ما معهم وتركوهم فمروا في البراري على وجوههم عُراة حُفاة حتى أهلكهم العطش فكان الرجل يبول في يده ويشربه ، ويبول ويعجن به الرمل ويأكله حتى لحقوا عبد الله بن مروان وقد ناله من العرا والشدة اكثر مما نالهم ومعه عدة من حرمه عراة حفاة ما يوار بهم شيء حتى تقطعت أقدامهن من المشي وشربوا البول حتى تقطعت شفاههن حتى وافوا المندب فاقاموا بها شهراً وجمع الناس لهم شيئاً ثم خرجوا يريدون مكة في زي الحمالين .

وأقام الحج للناس في أيام مروان في سنتي ١٢٧ و ١٢٨ عبدالعزيز بن عمر بن عبد العزيز ، سنة ١٢٩ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ووافى معه الحج ابو حمزة المختار بن عوف الاباضي صاحب الأعور عبد الله بن يحيى الكندي والذي يسمي نفسه « طالب الحق » سنة ١٣٠ محمد بن عبد الملك بن مروان ؛ سنة ١٣١ عبد الملك (١) ابن محمد بن عطية السعدي « وقيل » هي آخر حجة لبني أمية ، ولم يغز في أيام مروان .

وكان الفقهاء في أيامه ، محمد بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، ابو الحويرث المرادي ، عمرو بن دينار ، صالح بن كيسان ؛ ابو الزناد عبد الرحمان بن ذكوان عبد الله بن ابي نجيح ، قيس بن سعد ، ابو الزبير محمد بن مسلم ، ابراهيم بن ميسرة

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل وغيره أن الذي حج بالناس في هذه السنة الوليد ابن عروة بن محمد بن عطية السعدي وأما عمه عبد الملك بن محمد بن عطية فانه قتل سنة ١٣٠ قتله ابو حمزة الخارجي في « وادى القرى » من اعمال المدينة لمحاربة وقعت بينهما .

عبد الملك بن عمير الليثي ، سلمة بن كميل (١) جابر بن يزيد الجعفي ، غيلان بن جامع المحاربي ، ابو بكر بن نسر بن حرب ، يزيد بن عبد الله بن الشخير ، سالم الأفطس ؛ عبد الكريم الحنفي .

أيام أبي العباس السفاح

بويع عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — وكنيته ابو العباس ؛ وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي — يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول « وقيل » يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ١٣٢ ، ومن شهور العجم فى تشرين الآخر ، وكانت الشمس يومئذ في القوس عشر دقايق ؛ والقمر في الدلو إحدى وعشرين درجة وأربعين دقيقة والمشتري في العقرب اثنتين وعشرين درجة وأربعين دقيقة ؛ والمريخ في الأسد سبعاً وعشرين درجة ، والزهرة في الميزان ثلاثين درجة ، وعطارد في العقرب إحدى عشرة درجة وعشرين دقيقة ، والرأس في الميزان خمساً وأربعين دقيقة .

وكانت بيعته في الكوفة في دار الوليد بن سعد الأزدى « وقيل » إن أبا سلمة إنما أخفى أبا العباس وأهل بيته بها ودبّر أن يصير إلى بني علي بن أبي طالب عليه السلام وكتب الى جعفر بن محمد عليه السلام كتاباً مع رسول له فأرسل اليه لست بصاحبكم فان صاحبكم بأرض الشراة ، فأرسل الى عبد الله بن الحسن يدعوه الى ذلك فقال أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الأمر ، وأرسل الى جماعة بني أبيه وقال بايعوا لابني محمد فان هذا كتاب ابي سلمة حفص بن سليمان إلي فقال جعفر بن محمد عليه السلام أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك فاني أخاف أن يكون المقتول باحجار الزيت (٢) .

(١) كذا في الأصل ؛ ولعل الصحيح (سلمة بن كهيل) بالهاء بعد الكاف

(٢) أحجار الزيت موضع بالمدينة المشرفة وهو خارجها به استشهد الامام محمد المهدى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في وقعة مشهورة ؛ ويقال له قتيل احجار الزيت .

وأقام ابو سلمة ينتظر انصراف رسله اليه ، ومر ابو حميد فالتقى غلام ابي العباس فدله على موضعه فاتاه فسلم عليه بالخلافة ثم خرج فأخبر أصحابه بموضعه فمضوا معه سبعة وهم ابو الجهم بن عطية ، وموسى بن كعب ، وابو غانم عبد الحميد بن ربعي ، وسلمة ابن محمد ، وابو شراحيل ، وعبد الله بن بسام ، وابو حميد سابعهم ، سراً من ابي سلمة ، فسلموا على ابي العباس بالخلافة ، وألبسه أبو حميد السواد وأخرجه فمضى به الى المسجد الجامع وبلغ الخبر أبا سلمة فاتى ركضاً حتى لحقهم فقال انما كنت أدبر استقامة الأمر وإلا لا أعمل شيئاً فيه ، وقد قدمنا ذكر بيعة ابي العباس في أيام مروان ووصفنا ما عمل من وجه لمحاربة مروان ، ووصلنا من الخبر بذلك الى قتل مروان ما يغني عن اعادته .

وكان من قدم الى الكوفة من بني هاشم اثنين وعشرين رجلاً منهم : داود ، وسليمان وعيسى ، وصالح ، واسماعيل ، وعبد الله ، وعبد الصمد ، بنو علي بن عبد الله بن عباس ، وموسى بن داود ، وجعفر ، ومحمد ابنا سليمان ، والفضل ، وعبد الله ابنا صالح ، وابو العباس ، ومحمد ابنه ، وجعفر ، ومحمد ابنا المنصور ، وعيسى بن موسى بن محمد ، وعبد الوهاب ، ومحمد ابنا ابراهيم ، ويحيى بن محمد ، والعباس بن محمد

ولما بويع ابو العباس صعد المنبر في اليوم الذي بويع فيه وكان حيياً فارتج عليه فاقام ملياً لا يتكلم ، فصعد داود بن علي فقام دونه بمرقاة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد [ص] وقال « أيها الناس الآن تقشعت حنادس الفتنة ، وانكشف غطاء الدنيا ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وعاد السهم الى النزعة ، وأخذ القوس باريها ، ورجع الحق الى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة بكم والرحمة لكم والتعاطف عليكم ، ألا وإن ذمة الله وذمة رسوله وذمة ابي العباس لكم أن نسير فنحكم في الخاصة والعامة منكم بكتاب الله وسنة رسوله ، وإنه والله أيها الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من علي بن ابي طالب وهذا

القائم خلفي ، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر واحمدوه على ما فتح لكم ، أبدلكم بمروان عدو الرحمان حليف الشيطان بالفتى المتمهل الشاب المتكهل المتبع لسلفه والخالف من أئمته وآبائه الذين هدى الله فبهداهم اقتدى ، مصابيح الدجا ، وأعلام الهدى وأبواب الرحمة ، ومفاتيح الخير ، ومعادن البركة ، وساسة الحق ، وقادة العدل *

ثم نزل فتكلم ابو العباس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووعد من نفسه خيراً ثم نزل .

وولى ابو العباس الكوفة داود بن علي فكان اول من ولاه ابو العباس ، ووجه بأخيه أبي جعفر إلى خراسان لأخذ البيعة على ابي مسلم فصار الى مرو في ثلاثين فارساً فلم يحتفل به ابو مسلم ولم يلتقه واستخف به فانصرف واجداً عليه وشكاه الى ابي العباس وأعلمه ما نال منه وكثر عليه في بابه ، فقال ابو العباس فما الحيلة فيه وقد عرفت موضعه من الامام ومن ابراهيم وهو صاحب الدولة والقائم بأمرها . وقدم ابو مسلم على ابي العباس فأكرمه واعظمه ولم يذكر له من امر ابي جعفر شيئاً . ودخل اليه يوماً من الأيام وابو جعفر جالس معه فسلم عليه وهو قائم ثم خرج ولم يسلم على ابي جعفر فقال له ابو العباس مولاك مولاك لم لا تسلم عليه — يعني أبا جعفر — فقال قد رأيته ولكنه لا يقضى في مجلس الخليفة حق أحد غيره .

ولما قتل صالح مروان بن محمد وجه برأسه الى ابي العباس وحوى خزائنه وامواله وحمل أبا عثمان ويزيد بن مروان ونسوة من آل مروان وبناته فلما صرن الى الكوفة أطلق النساء وحبس الرجال وأخذ عبد الله بن مروان بمكة فحمل ايضاً وحبس مع سائر أهله .

وولى ابو العباس داود بن علي الحجاز فقدم وعامل مروان الوليد بن عروة بن عطية السعدي مقيم بمكة لم يعلم بأن الناس بايعوا أبا العباس فلما علم هرب . وقدم داود فخطب خطبة له مشهورة ذكرهم فيها ما فضلهم الله به وظلم من ظلمهم . ثم قال

﴿ إنما كانت لنا فيكم تبعات وطلبات وقد تركنا ذلك كله وأنتم آمنون بأمان الله أحمركم وأسودكم وصغيركم وكبيركم وقد غفرنا التبعات ووهبنا الظلامات فلا ورب هذه البنية لا نهيج احداً ﴾ وضرب بيده الى الكعبة فبينما هو يخطب إذ قام سديف بن ميمون فقال أصلح الله الأمير أدنني منك وائذن لي بالكلام ، فقال هلم فصعد المنبر حتى كان دون داود بمرقاة ثم أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وصلى على محمد ثم قال ﴿ أتزعم الضلال (خطئت أعمالهم) أن غير آل الرسول أولى بتراثه ولم وبم معاشر الناس ألهم الفضل بالصحابة دون ذوي القرابة الشركاء في النسب والورثة للسلب مع ضربهم في الفيء لجاهلكم وإطعامهم في اللأواء جائعكم وإيمانهم بعد الخوف سائلكم ، لم ير مثل العباس بن عبد المطلب اجتمعت له الأمة بواجب حق الحرمة ابو رسول الله بعد أبيه وجلدة ما بين عينيه يوم خيبر لا يرد له أمراً ولا يعصي له قسماً إنكم والله معشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم طرفة عين قط ﴾ ثم نزل ، فاستتم داود خطبته ثم نزل ، فلما انقضى الموسم وجه داود الى قوم كانوا بمكة من بني أمية فقتل جماعة منهم وأوثق جماعة منهم في الحديد ووجههم الى الطائف فقتلوا هنالك وحبس خلقاً من الخلق فماتوا في حبسه ، وصار الى المدينة ففعل مثل ذلك ولم يقم بالمدينة إلا شهرين حتى توفي .

وبلغ أبا العباس عن ابى سلمة الخلال أمور أنكرها وذكر له تدبيره الذي كان عليه وتأخيره له والتماسه صرف الدولة الى بعض الطالبيين ، وكتب اليه ابو مسلم من خراسان أن اقتل أبا سلمة فانه الغدو الغاش الخبيث السريرة ، فكتب اليه ابو العباس أن وجه انت من يقتله وكره ابو العباس أن يوحش ابا مسلم بقتله أو يوجد سبيلاً الى الاحتجاج به عليه ، فوجه ابو مسلم مراد بن أنس الضبي فجلس على باب ابى العباس وكان يسمر عنده فلما خرج ثار اليه وضرب عنقه . وكان ابو سلمة يسمى وزير آل محمد . وكان ابو مسلم يكتب اليه للأمير حفص بن سليمان وزير آل محمد من ابى مسلم

أمين آل محمد . فقال سليمان بن مهاجر لما قتل ابو سلمة ·

إن الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

ووجه أبو العباس أخاه ابا جعفر الى واسط . وكان الحسن بن قحطبة محاصراً ليزيد بن عمر بن هبيرة وأمره بمجادته فحوصر احد عشر شهراً وكان معه جماعة من قواد مروان واصحابه وممن كان مع عامر بن ضبارة ونباتة بن حنظلة الذين قتلهم قحطبة وكان يزيد قد استعد لحصار سنتين وأدخل الأقوات والعلوفة لعشرين الف مقاتل فصدقوه المحاربة وطلب الأمان ووجه السفراء فأجيب الى ذلك وكتب له كتاب أمان وشرط له فيه ما سأل . وختمه ابو العباس . وخرج ابن هبيرة حتى صار الى ابى جعفر فبايع ثم رجع الى موضعه . وكان يركب كل يوم في الف فارس والف راجل فقال بعض أصحاب ابى جعفر له أصلح الله الأمير إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر فقال لأبى . . (١) . . حاجبه قل لابن هبيرة فليقلل من جمعه فركب اليه في خمسمائة راجل فقال له الحاجب كأنك تأتينا مباهياً فركب اليهم في ثلاثين فارساً وثلاثين راجلاً فكان ابو جعفر يقول ما رأيت أنبل من ابن هبيرة ولا أتيه إن كان ليدخل إلي فيقول كيف انت ياهذا او حالك وكيف ما يأتيك عن صاحبك . فان كنت لأحدثه فيقول إيهاً لله أبوك ثم يتداركها فيقول أصلح الله الأمير إني قريب عهد بامارة . وكان الرجل يحدثني فأقول بهذا ونحوه . وقال له يوماً حدثني فقال لامحضنك النصيحة محضاً إن عهد الله لا ينكث وعقده لا تحل وإن امارتكم هذه جديدة فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها . ووجدت كتب لابن هبيرة الى محمد بن عبد الله بن حسن يعلمه أن يبايع له وأن قبله اموالاً وعدة وسلاحاً وأن معه عشرين الف مقاتل فانفذت الكتب الى ابى العباس فقال ابو العباس نقض عهده وأحدث ما أحل به دمه

---

(١) بياض في الأصل ، وقد سقط اسم حاجب ابى جعفر وسماه ابن الأثير في التاريخ (سلام بن سليم) أنظر حوادث سنة ١٣٢ . (م . ص)

فكتب الى ابي جعفر أن اضرب عنقه فانه غدر ونكث ونقض العهود ، وكثرت كتبه بذلك . وكتب ابو مسلم من خراسان يحرض على قتله ويخبره أن الأمر لا يستقيم ما كان حياً وأنه ممن لا يصلح للاستبقاء . وقال ابو جعفر للحسن بن قحطبة الطائي إن أمير المؤمنين أمر بقتل هذا الرجل فتول ذلك فقال له الحسن إن قتلته كانت العصبية بين قومي وقومه والعداوة واضطرب عليك من بعسكرك من هؤلاء وهؤلاء ولكن أنفذ اليه برجل من مضر يقتله فوجه اليه بخازم بن خزيمة التميمي فاتاه في جماعة فوافاه وهو جالس في رحبة القصر بواسط فلما رآهم قال أقسمت بالله إن في وجوه القوم لغدرة فلما دنوا منه قام ابنه داود في وجوههم فضربه بعضهم بالسيف فجدله وصاروا الى يزيد فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه ثم تتبعوا قواده وأصحابه فقتلوهم عن آخرهم .

وخرج شريك بن شيخ المهري ببخارا فقال : ما على هذا بايعنا آل محمد أن نسفك الدماء ونعمل غير الحق فوجه اليه ابو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وخرج ابو محمد السفياني وهو يزيد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان بما لديه وخرج محمد بن مسلمة بن عبد الملك بحران وحاصر موسى بن كعب ، وكان عامل ابي جعفر وابو جعفر يومئذ عامل الجزيرة ورماها بالمنجنيق وحرق أبوابها وكان ذلك سنة ١٣٣ ، ثم بلغ محمد بن مسلمة قتل أبي محمد السفياني وقتل ابي الورد بن الكوثر ابن زفر فانصرف عنها وتفرق جمعه واتبعه موسى بن كعب فقتل خلقاً من اصحابه وتعمد عدة مدائن من الجزيرة وأقام اسحاق بن مسلم العقيلي بسميساط سبعة أشهر وابو جعفر محاصر له ﴿ وقيل ﴾ لم يحاصره ابو جعفر ولكن عبد الله بن علي حاصره ، وكان اسحاق يقول في عنقي بيعة فلا أدعها ابداً حتى اعلم أن صاحبها قد مات اوقتل ، فأرسل اليه ابو جعفر يقول إن مروان قد قتل فقال حتى أتبين ذلك فلما صح عنده أنه قتل طلب الأمان وأعطيه وصار مع ابي جعفر وكان عظيم المنزلة عنده .

وانصرف عبد الله بن علي الى فلسطين بالسبب الذي شرحناه من خبره فيما شرحنا

من خبر مروان ؛ فلما صار بنهر ابي فطرس بين فلسطين والأردن جمع اليه بني أمية ثم أمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز والعطايا ثم جلس من غد وأذن لهم فدخل عليه ثمانون رجلاً من بني أمية وقد أقام على رأس كل رجل منهم رجلين بالعمد وأطرق ملياً ثم قام العبدي فانشد قصيدته التي يقول فيها :

أما الدعاة الى الجنان فهاشم * وبنو أمية من كلاب النار

وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً الى جنب عبد الله بن علي فقال له كذبت يا ابن اللخناء فقال له عبد الله بن علي بل صدقت يا ابا محمد فامض لقولك ، ثم أقبل عليهم عبد الله بن علي فذكر لهم قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته ثم صفق بيده فضرب القوم رؤوسهم بالعمد حتى أتوا عليهم فناداه رجل من أقصى القوم :

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لا نناديك من مكان بعيد

فالقرابات بيننا واشجات * محكمات القوى بعقد شديد

فقال : هيهات قطع ذلك قتل الحسين ، ثم أمر بهم فسحبوا فطرحت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام فاكل فقال يوم كيوم الحسين بن علي ولا سواء وكان قد دخل معهم « . . . . . . » قال رجوت ان ينالوا خيراً فانال معهم فقال عبد الله بن علي :

ومدخل رأسه لم يدنه احدٌ * بين الفريقين حتى لزّه القرن

إضربا عنقه ، وقدم عبد الله بن علي دمشق في شهر رمضان سنة ١٣٢ فحاصرها واستغاث الناس ووجهوا اليه يحيى بن بحر يطلب لهم الأمان فخرج اليه فسأله الأمان فأجابه الى ذلك فدخل فنادى في الناس الأمان فخرج خلق من الخلق ، ثم قال له يحيى بن بحر اكتب لنا أيها الأمير كتاب الأمان فدعا بدواة وقرطاس ثم ضرب ببصره نحو المدينة فاذا بالسور قد غشيه المسودة فقال له قد دخلتها قسراً فقال يحيى لا والله ولكن غدراً فقال عبد الله لو لا ما أعرف من مودتك لنا أهل البيت لضربت

عنقك إذ استقبلتني بهذا ثم ندم فقال يا غلام خذ هـذا العَلم فاركزه في داره وناد من دخل دار يحيى بن بحر فهو آمن ، فانحشر الناس اليها فما قتل فيها ولا في الدور التي تليها أحد ، ونادى المنادي بعد أن قتل خلق كثير من الخلق « الناس آمنون إلا خمسة : الوليد بن معاوية ، ويزيد بن معاوية ، وأبان بن عبد العزيز ، وصالح بن محمد ، ومحمد بن زكريا » .

وصار عبد الله بن علي الى المسجد الجامع فخطبهم خطبة مشهورة يذكر فيها بني أمية وجورهم وعداوتهم وأنهم اتخذوا دين الله هزؤاً ولعباً ، ويصف ما استحلوا من المحارم والمظالم والمآثم وما ساروا به في أمة محمد (ص) من تعطيل الأحكام وادراء الحدود والاستئثار بالفيء وارتكاب القبيح وانتقام الله منهم وتسليط سيف الحق عليهم ثم نزل .

« ويقال » إن أبا العباس كتب اليه خذ بثأرك من بني أمية ففعل بهم ما فعل ووجه فنبش قبور بني أمية فاخرجهم وأحرقهم بالنار فما ترك منهم أحداً ، ولما صار الى الرصافة أخرج هشام بن عبد الملك ووجده في مغارة على سريره قد طلي بمـاء يبقيه فأخرجه فضرب وجهه بالعمود وأقامه بين العقابين فضربه مائة وعشرين سوطاً وهو يتناثر ، ثم جمعه فحرقه بالنار ، وقال عبد الله عند ذلك ان ابي — يعني علي بن عبد الله — كان يصلي يوماً وعليه أزار ورداء فسقط الرداء عنه فرأيت في ظهره آثار السياط فلما فرغ من صلاته قلت يا أبة جعلني الله فداك ما هذا فقال إن الأحول — يعني هشاماً — أخذني ظلماً فضربني ستين سوطاً ، فعاهدت الله إن ظفرت به أن أضربه بكل سوط سوطين .

وخرج حبيب بن مرة المري بحوران فبيض ونصب رجلاً من بني أمية فزحف اليه عبد الله بن علي فقتله وفرق جمعه .

وكان عامل مروان على افريقية عبد الرحمان بن حبيب العقبي فقدمها سنة ١٢٧ ولم يزل مقيماً بها حتى قتل مروان فلما علم أهل افريقية بقتل مروان وثبت عليه جماعة

من أهل البلد منهم : عروة بن الوليد الصدفي من ناحية « . (١) . » وتفرقت بنو أمية بعد قتل مروان فخلف منهم بافريقية جماعة فصاروا الى عبد الرحمان بن حبيب فاقام عبد الرحمان على محاربة أصحاب ابي العباس فوثب به أخوه الياس بن حبيب فدعا الى بني العباس فبايعه الناس وأخذ من صار الى افريقية من بني أمية فحبسهم و كتب بخبرهم الى ابي العباس .

ووثب أهل الموصل على عاملهم فانتهبوه وأخرجوه فولى ابو العباس أخاه يحيي بن محمد بن علي الموصل وضم اليه أربعة آلاف رجل من أهل خراسان فقدمها سنة ١٣٣ فقتل من أهلها خلقاً عظيماً « وقيل » انه اعترض الناس في يوم جمعة فقتل ثمانية عشر الف انسان من صليب العرب ثم قتل عبيدهم ومواليهم حتى أفناهم فجرت دماؤهم فغيرت ماء دجلة فلم يعرف لأهل الموصل وثوب الى هذه الغاية .

وولى أبو العباس محمد بن صول أرمينية فسار اليها في خلق عظيم ومسافر بن كثير متغلب على البلد وكان خليفة اسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان فحاربه محمد بن صول حتى قتله واستولى على ارمينية وصد أهل البيلقان الى قلعة الكلاب وأسلموا المدينة ورئيسها يومئذ ورد بن صفوان السامي من ولد سامة بن لوي وجمعوا اليهم لفيفاً من الصعاليك وغيرهم بقلعة الكلاب فوجه اليهم محمد بن صول صالح بن صبيح الكندي فحاصرهم وقتل منهم خلقاً عظيماً .

ووجه ابو العباس الى السند موسى بن كعب التميمي ومنصور بن جمهور متغلب عليها فنفذ موسى في عشرين الف مقاتل فصار الى قندابيل فأقام بها حيناً ثم كاتب موسى من كان مع منصور من أصحاب « .. (٢) .. » وكاتب قبائلهم ، وزحف موسى

(١) بياض في الأصل وفيه سقط وقد ذكر ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١٢٧ أن وثوب عروة بن الوليد الصدفي على عبد الرحمان من ناحية (تونس) .

(٢) بياض في الأصل ، وقد نقل في الهامش عن نسخة ان الساقط (قدد بن أصفر) [م ص]

حتى أتى منصوراً فانهزم منه ومرّ في مفازة وأدركه فقتله .

وانتقل ابو العباس من الحيرة فنزل الأنبار واتخذ بها مدينة سماها ﴿ الهاشمية ﴾ سنة ١٣٤ واشترى أشربة كثيرة بنى فيها وأقطعها أهل بيته وقواده ، ثم رفع اليه أهل تلك الأرضين والمنازل انهم لم يقبضوا أثمانها فقال هذا بناء أسس على غير تقوى وأمر فضربت مضاربه بظاهرها وبرّيها حتى استوفى القوم أثمان أرضهم ثم عاد الى قصره

وولى ابو العباس ابا جعفر أخاه الجزيرة والموصل والثغور وأرمينية وآذربيجان فخرج حتى صار الى الرقة واختط الرافقة على شط الفرات وهندسها له أدهم بن محرز فولى الحسن بن قحطبة الطائي الجزيرة ، وولى يزيد بن أسيد السلمي ارمينية ثم عزله وولى الحسن بن قحطبة ارمينية فلم يزل عليها أيام ابي العباس .

وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك قد استأمن الى أبي العباس فقدم معه بابنين له فاكرمه ابو العباس وبره وأجلسه وابنيه على النمارق والكراسي ، فكان ابو العباس يجلس بالعشيات ويأذن لخواصه وأهل بيته فدخل عليهم ابو الجهم ليلة وقد أذن لأهله وخواصه فقال له إن اعرابياً أقبل يوضع على ناقته حتى أناخها بالباب وعقلها ثم جاءني وقال استأذن لي على أمير المؤمنين فقلت اذهب وضع عنك ثياب سفرك وعد علي سأستأذن عليه ؛ فقال إني آليت أن لا أضع عني ثوباً ولا أحل لثاماً حتى أنظر الى وجهه ، قال فهل أنبأك من هو قال نعم زعم أنه سديف مولاك فقال سديف ايذن له فدخل أعرابي كأنه محجن فوقف فسلم عليه بامرة المؤمنين ثم تقدم فقبل بين يديه ورجليه ثم تأخر فوقف مثله ثم اندفع فقال :

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بني العباس
يا أمير المطهرين من الرجـ * ـس ويا رأس منتهى كل راس
انت مهدي هاشم وفتاها * كم أناس رجوك بعد أياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً * واقطعن كل رقلة وغراس

أقنها أيها الخليفة واجسم * عنك بالسيف شافة الأرجاس
أنزلوها بحيث أنزلها الله * ـه بدار الهوان والاتعاس
ولقد ساءني وساء قبيلي * قربهم من نمارق وكراسي
خوفهم أظهر التودد منهم * وبهم منكم كحز المواسي
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أمسى * رهن رمس في غربة وتناس
نعم كلب الهراش مولاك لو لا * حله من حبائل الافلاس (١)

فقام سليمان بن هشام وقال يا أمير المؤمنين إن مولاك هذا يحرضك منذ مثل بين يديك على قتلي وقتل ابني وقد تبينت أنك والله تريد أن تغتالنا ؛ فقال لو أردت ذلك ما كان يمنعني منكم على غير غيلة فاما إذا سبق ذلك الى قلبك فلا خير فيك يا أبا الجهم أخرجه وأخرج ابنيه فاضرب أعناقهم وأتني برؤوسهم فخرج فضرب أعناقهم وأتاه برؤوسهم .

وقدم عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبي العباس ومعه أخوه الحسن بن الحسن ابن الحسن فاكرمه ابو العباس وبره وآثره ووصله الصلات الكثيرة ثم بلغه عن محمد ابن عبد الله أمر فكرهه فذكر ذلك لعبد الله بن الحسن فقال يا أمير المؤمنين ما عليك من محمد شيء تكرهه وقال له الحسن بن الحسن اخو عبد الله بن الحسن يا أمير المؤمنين أنتكلم بلسان الثقة والقرابة ام على جهة الرهبة للملك والهيبة للخلافة ، فقال بل بلسان القرابة ، فقال أرأيت يا أمير المؤمنين إن كان الله قضى لمحمد أن يلي هذا الأمر ثم

(١) كذا في الأصل ، وقد روي في ﴿ نسمة السحر ﴾ — مخطوط — وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي (ج ٢ ص ٢٠٤) من طبع مصر نقلا عن الكامل المبرد :

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس (م ص)

أجابت وأهل السموات والأرض معك أكنت دافعاً عنه ، قال لا ، قال فان كان لم يقض ذلك لمحمد ثم أجلب محمد وأهل السموات والأرض معه أيضرك محمد ، قال لا والله ولا القول إلا ما قلت ، قال فلم تنغص هذا الشيخ نعمتك عليه ومعروفك عنده ، قال لا تسمعني ذاكراً له بعد اليوم ، وبلغ ابا العباس أن محمد بن عبد الله قد تحرك بالمدينة فكتب الى عبد الله بن الحسن في ذلك وكتب في الكتاب :

أريد حباءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

فكتب اليه عبد الله بن الحسن :

وكيف يريد ذاك وانت منه * بمنزلة النياط من الفؤاد
وكيف يريد ذاك وانت منه * وزندك حين يقدح من زناد
وكيف يريد ذاك وانت منه * وانت لهاشم رأس وهاد

وطفئ أمر محمد في خلافة أبي العباس فلم يظهر منه شيء وكان متى بلغ ابا العباس عنه شيء ذكر ذلك لعبد الله فيقول يا أمير المؤمنين انا نحميها بكل قذاة يخل ناظراك منها فيقول بك أثق وعلى الله أتوكل .

وكان ابو العباس كريماً حليماً جواداً وصولاً لذوي ارحامه * حدثني * محمد بن علي بن سليمان النوفلي عن جده سليمان ، قال دخلنا على أبي العباس جماعة من بني هاشم فادنانا حتى أجلسنا معه ثم قال يا بني هاشم احمدوا الله إذ جعلني فيكم ولم يجعلني بخيلاً ولا حسوداً .

واستأذن ابو مسلم في القدوم فأذن له فقدم من خراسان في سنة ١٣٦ فلما حضر وقت الحج استأذنه فأذن له وحج معه ابو جعفر المنصور فلما خرجا اشتدت بأبي العباس العلة فقيل له صير ولاية عهدك الى ابي جعفر (١) في علته بعد نفوذه الى الحج .

وكان الغالب عليه ابو الجهم بن عطية الباهلي ، وكان له سمار من جلساء ، منهم

(١) فيه سقط ولعله (فصيّر ولاية عهده الى أخيه ابي جعفر وهو) في علته .

ابو بكر الهذلي ، وخالد بن صفوان ، وعبد الله بن شبرمة ، وجبلة بن عبد الرحمان الكندي ، وكان على شرطته عبد الجبار بن عبد الرحمان الأزدي ، وعلى حرسه ابو بكر بن أسد بن عبد الله الخزاعي ، وحاجبه ابو غسان مولاه ، وكان قاضيه عبد الرحمان بن ابي ليلى ؛ وابن شبرمة .

ولما اشتدت علته قدم عليه وافدان أحدهما من السند والآخر من افريقية فلما بلغه قدومهما قال أنا ميت بعد ثلاث ، قال عيسى بن علي فقلت بل يطيل الله بقاءك فقال حدثني أخي ابراهيم عن أبيه وأبيه عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب عن أبيه عن جده أنه يقدم علي فى مدينتي هذه فى يوم واحد وافدان أحدهما وافد السند والآخر وافد أهل افريقية فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة ايام حتى أغيب فى لحدي ويورث الأمر بعدي ، ثم نهض وقال لا ترم مكانك حتى أخرج اليك ﴿ قال ﴾ فلم ازل بمكاني حتى سلم المؤذنون فى وقت صلاة العصر بالخلافة فخرج الي رسوله يأمرني بالصلاة بالناس فدخلت فلم يخرج الى أن سلم المؤذنون لوقت صلاة العشاء فخرج إلي رسوله يأمرني بالصلاة بالناس ففعلت ذلك ، ثم أتيت مكاني الى ادراك الليل فلما فرغت من قنوتي خرج إلي ومعه كتاب معنون من عبد الله ووليه الى آل رسول الله والأولياء وجميع المسلمين ، ثم قال يا عم إذا خرجت نفسي فسجني بثوبي واكتم موتي حتى يقرأ هذا الكتاب على الناس فاذا قرئ فخذ ببيعة المسمى فيه فاذا بايع الناس فخذ فى أمري وجهزني وصل علي وادفني فقلت يا أمير المؤمنين فهل وجدت علة ! فقال واية علة أقوى من الخبر الصحيح عن رسول الله ، والله ما كذبت ولا كذبت ، خذ هذا الكتاب وامض راشداً واعتل من ليلته وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ وهو ابن ست وثلاثين سنة ﴿ وقيل ﴾ لم يبلغ ذلك السن ، وذلك أنه ولد فى سنة ١٠٥ في أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان وصلى عليه اسماعيل بن علي ﴿ وقيل ﴾ عيسى بن علي ودفن بالأنبار في قصره

وكانت ولايته اربع سنين وتسعة أشهر ، وخلف ابناً لم يكن بلغ وابنته ريطة امرأة المهدي التي حرمت على جميع خلفاء بني هاشم إلا زوجها .

وأقام الحج للناس فى أيامه سنة ١٣٢ داود بن علي ؛ سنة ١٣٣ زياد بن عبيدالله الحارثى ، سنة ١٣٤ عيسى بن موسى ، ١٣٥ سليمان بن علي .

وغزا بالناس فى أيامه سنة ١٣٣ أقبل طاغية الروم وهو قسطنطين حتى أناخ على ملطية فحصرها فصولح عنها وزحف اليه موسى بن كعب التميمي فلم يكن بينهما لقاء وكتب ابو العباس الى عبد الله بن علي يعلمه أن العدو قد كلب بالغفلة عنه وأمره أن ينفذ بالجيوش التي معه فيبث جيوشه فى نواحي الثغور وزحف حتى قطع الدرب ولم يزل يعبي حتى أتاه خبر وفاة ابى العباس فانصرف .

وكان الفقهاء في أيامه يحيي بن سعيد الأنصاري ، ابن ابى طولة الأنصاري موسى بن عقبة ، عبد الرحمان بن حرملة الاسلمي ؛ ابو حمزة الثمالي ، زيد بن أسلم ابوحازم القاضى ، هشام بن عروة بن الزبير ؛ محمد « . (١) بن » علقمة ؛ موسى ابن عبيدة الربذي ، ابن ابى صعصعة ؛ ربيعة الرأي ، عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ؛ محمد بن اسحاق بن (يسار) عبيدالله بن طاوس ، صدقة « . . (٢) . . » يسار ، حميد بن قيس الأعرج ، عبد الله بن عثمان بن خثيم عثمان بن الأسود ، عبد الملك بن جريج ؛ عبد الملك بن عمير الليثي ، ابوسيار

(١) بياض في الأصل ، والظاهر أن محمداً هذا هو ابن (عمرو) بن علقمة بن وقاص الليثي المتوفى سنة ١٤٤ او سنة ١٤٥ وكان من فقهاء زمان ابى جعفر المنصور ايضاً ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب (ج ٩ ص ٣٧٦) من طبع حيدر آباد دكن.

(٢) بياض في الأصل ، والظاهر أنه صدقة (بن) يسار الجزري الذى روى عن سعيد بن جبير وروى عنه شعبة ؛ توفي أول خلافة بني العباس ، ذكره ابن حجر في التهذيب (ج ٤ ص ٤١٩) . (م . ص)

النساري (١) مجالد بن سعيد ، الأجلح بن عبد الله الكندي ، منصور بن المعتمر السلمي ، مطرّف بن طريف الحارثي ، جابر بن يزيد الجعفي ، الحسن بن عمر الفقيمي محمد بن عبد الرحمان بن ابي ليلى ؛ مسعر بن كدام ، عبد الجبار بن عباس الهمداني زفر بن الهذيل ، اسحاق بن سويد العذري ، ابو بكر بن نسر بن حرب ، يونس ابن عبيد ، ابو المعتمر سليمان التيمي ، عمرو بن عبيد ، حميد الطويل مولى خزاعة عبد الرحمان بن عمرو الأوزاعي ، سالم الأفطس ، عبد الكريم الحنفي .

أيام أبي جعفر المنصور

هو عبد الله بن محمد بن علي — وأمه سلامة البربرية — وبويع فى اليوم الذي توفي فيه ابو العباس وهو يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ؛ ومن شهور العجم فى حزيران سنة ١٣٦ ، وكانت الشمس يومئذ فى السرطان درجة وعشر دقائق ، والقمر في الجوزاء سبع درج وخمسا واربعين دقيقة ، وزحل فى الجدي ست عشرة درجة وخمسين دقيقة راجعا ، والمشتري فى الحمل سبعا وعشرين درجة والمريخ فى العقرب تسع عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والزهرة فى الثور خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة ، وعطارد في السرطان إحدى عشرة درجة ، والرأس في السرطان درجة وخمسين دقيقة ، وكان ابو جعفر حاجا فأخذ له عيسى بن علي البيعة على من حضر من الهاشميين والقواد بالأنبار ، ووافاه الخبر بذلك في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس بخمسة عشر يوما ؛ فبايع ابو مسلم ومن حضر من الهاشميين والقواد وكان الذى وافاه بالخبر محمد بن الحصين العبدي ، فقال أي موضع هذا قالوا موضع يقال له زكية ، قال امر يزكى انشاء الله ؛ وبويع بالصفية فقال أمر يصفو لنا اعداد السنين (٢)

(١) ذكر في هامش الأصل أن اسمه هرار بن مرة ، كما أنه ذكره من فقهاء زمان ابي جعفر المنصور ايضا وسماه بهذا الاسم .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح (أغذوا السير) وحثوا النجاء .

وحُشوا النجاء ﴿ وكان ﴾ أبو العباس قبل وفاته قد كتب الى عبد الله بن علي في غزو الصائفة وأمره بقطع الدرب فلما توفي أبو العباس كره عيسى بن علي ومن حضر من الأبناء أن يكتبوا الى عبد الله بن علي فكتبوا الى صالح بن علي وهو بمصر يعرفونه الحادثة في أبي العباس وما كان عهد به ابو العباس لأبى جعفر ومبايعتهم له واجتماعهم عليه وأمره أن يبايع ويصير الى الشام فيأخذ البيعة على عبد الله وبلغ عبد الله الخبر ﴿ وقيل ﴾ بعث عيسى بن علي ببيعة المنصور مع ابى غسان يزيد بن زياد حاجب ابى العباس فلحقه وقد كان قطع الدرب الى بلاد الروم فرجع حتى صار الى دلوك من أرض جند قنسرين فأحضر حميد بن قحطبة الطائي وجماعة من القواد الذين كانوا معه فقال ما تشهدون أن أمير المؤمنين أبا العباس ؟ قال من خرج الى مروان فهو ولي عهدي فشهدوا له بذلك وبايعوا وبايع أكثر أهل الشام له وكتب الى عيسى بن علي وغيره يعلمهم مبايعة من قبله من القواد وأهل الشام له بصحة عهد ابى العباس اليه ، وتوجه يريد العراق فلما صار الى حران وافى موسى بن كعب عاملاً بها فعرّفه شهادة من أشهد الله أن أبا العباس جعله ولي عهده فلما تحصن بها حاصره أربعين يوماً ثم أعطاه الامان على أن يخرج عنها ويخلي بينه وبينها وتوجه يريد العراق .

فقدم أبو جعفر الكوفة غرة المحرم فنزل الحيرة وصلى بالناس الجمعة ثم شخص الى الأنبار الى مدينة ابى العباس فضم اليه أطرافه وخزائن ابى العباس وبلغه أمر عبد الله ابن علي وتوجهه الى العراق فقال لأبى مسلم ليس لعبد الله بن علي غيرى وغيرك فكره أبو مسلم ذلك وقال يا أمير المؤمنين إن أمر عبد الله بالشام أقل وأذل وأمر خراسان بجل خطبه ، ثم انصرف ابو مسلم الى منزله وقال لكاتبه ما أنا وهاذان الرجلان ثم قال ما الرأى إلا أن أمضي الى خراسان وأخلي بين هاذين الكبشين فايهما غلب كتب الينا وكتبنا اليه سمعنا وأطعنا فرأى أنا قد انعمنا وعملنا له عملاً ، فقال له كاتبه أعيذك بالله من أن تمكن أهل خراسان من الطعن عليك وأن يروا أنك نقضت أمراً

بعد تأ كيده ، فقال ويحك إني نظرت فيمن قتلت بالسيف صبراً سوى من قتل في المعارك فوجدتهم مائة الف من الناس فلا قُبِل من الله فلم يزل به كاتبه حتى أجابه ابا جعفر الى الخروج وعسكر في خلق عظيم ثم سار حتى صار الى الجزيرة فواقع عبدالله ابن علي عدة وقائع ؛ وكان حميد بن قحطبة الغالب على أمر عبد الله بن علي ثم بلغه أن عبدالله يريد قتله فاحتال حتى صار الى ابي مسلم فعظم ذلك على عبد الله بن علي وخاف ان يفعل بنظرائه من قواد خراسان الذين معه مثل ذلك .

قال السندي بن شاهك سمعت عبد الصمد بن علي يقول إني عند عبد الله بن علي إذ دخل حاجبه — وكان عبد الصمد مع عبد الله بن علي — فقال رسول ابى مجرم بالباب فقال إئذن له فدخل رجل كريه الوجه قبيح المنظر كثير الشعر طويل اللسان عظيم الحق (١) كثير حشو الخفتان (٢) فسلم سلاماً عاماً ثم قال إن الأمير أبامسلم يقول علام تقاتلني وانت تعلم أنه لا يقاتلك .

وواقع ابو مسلم عبد الله بن علي بنصيبين وفرق جمعه فهرب عبد الله وأمر ابو مسلم أن لا يعترضه أحد فصار الى البصرة الى أخيه سليمان بن علي وكان عامل البصرة فلم يزل مختفياً عنده ؛ وبعث ابو جعفر برسل يحصون ما حصل في يد أبي مسلم من الخزائن والأموال ، منهم اسحاق بن مسلم العقيلي ؛ ويقطين بن موسى ؛ ومحمد بن عمرو النصيبي التغلبي ؛ فغضب ابو مسلم وقال أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الأموال وشتم يقطين بن موسى فقال يقطين لما رأى ما داخله عليه إن كان أمير المؤمنين وجهني اليك إلا مهنأ بالفتح ، فاستخف باسحاق بن مسلم ومحمد بن عمرو وشتمهما وتناول أبا جعفر بلسانه حتى ذكر أمه وقال ويلي على ابن سلامة فانصرف القوم الى ابى جعفر

(١) الحق بضم الحاء المهملة وتشديد القاف اسم للنقرة التي على رأس الكتف .

(٢) الخفتان . بفتح الخاء المعجمة وسكون الفاء ثم التاء بعدها الالف والنون هو ضرب من الثياب والكلمة من الدخيل . (المنجد)

فاخبروه الخبر فزاد ذلك فيما في قلبه عليه ، وولى هشام بن عمرو العقيلي مكان ابي مسلم فانصرف ابو مسلم وأقبل يريد خراسان مغاضباً لأبي جعفر فمر بالمدائن وابو جعفر نازل برومية وبينه وبينه فرسخان فلم يلقه ؛ ونفذ لوجهه حتى جاز حلوان فاتبعه ابو جعفر بعيسى بن موسى وجرير بن عبد الله البجلي ونفر معهما من الشيعة فلحقوه فعظموا عليه الخطب وقالوا له إن الأمر لم يبلغ حيث تظن ، فشاور مالك بن الهيثم وكان خليفته وقال ما ترى ؟ قال أرى أن تصير الى خراسان فتستعتب الرجل منها وتكتب اليه منها سمعك وطاعتك فاذا فعلت ذلك لم يلحقك لوم وإلا فهو آخر عهدك بالدنيا إن وقعت عينه عليك ، فما زال رسل ابي جعفر حتى فتلوه عن رأيه وأقبل نحو العراق فلما جاز عقبة حلوان قال لمالك بن الهيثم ما الرأي قال الرأي تركته وراء العقبة ، فقال أني والله لا أقتل إلا بارض الروم ، وقدم على ابي جعفر وهو نازل برومية في المضارب فقال له كدت أن تنفذ قبل أن أقضي اليك بما أحتاج اليه فمكث يختلف اليه أياماً ثم أتاه يوماً وقد هيأ له ابو جعفر عثمان بن نهيك وكان على حرسه في عدة وهم : شبيب ابن واج وابو حنيفة ، وتقدم الى عثمان وقال إذا علا صوتي وصفقت بيدي فاقتلوا العبد ، ودخل ابو مسلم فأجلس في الحجرة ، وقيل له أمير المؤمنين على شغل فجلس ملياً ثم أذن له وقيل له انزع سيفك فقال ولم قيل وما عليك فلم يزالوا به حتى نزع سيفه ثم دخل وليس في البيت إلا وسادة فجلس عليها ثم قال يا أمير المؤمنين فُعل بي ما لم يفعل باحد أخذ سيفي عن عاتقي فقال ومن فعل بك هذا قبحه الله فأقبل ابو مسلم يتكلم فقال له يابن الخناء إنك لمستعظم غير العظيم ألست الكاتب الي تبدأ باسمك قبل اسمي ألست الذي كتبت الي تخطب عمتي آمنة بنت علي وتزعم أنك من ولد سليط بن عبد الله ألست الفاعل كذا والفاعل كذا وجعل يعد عليه أموراً ، فلما رأى ابو مسلم ما قد دخله قال يا أمير المؤمنين إن قدري أصغر من أن يدخلك كلما أرى . فعلا صوت ابي جعفر وصفق بيديه فخرج القوم فضربوه بأسيافهم فصاح أواه ألا مغيث ألا ناصر

وهم يضربونه حتى قتلوه . فلما قتل قال ابو جعفر :

إشرب بكأس كنت تسقي بها * أمر في فيك من العلقم
كنت حسبت الدين لا يقتضى * كذبت والله أبا مجرم

وكفن في مسح وصير في جانب المضرب . وقيل لأصحابه اجتمعوا فان أمير المؤمنين قد أمر أن ينثر عليكم الدراهم ونثرت عليهم بدرة دراهم فلما اكبوا يلقطونها طرح عليهم رأس ابي مسلم فلما نظروا اليه أسقط ما في أيديهم وعرتهم ضعضعة . وكان ذلك في شعبان سنة ١٣٧ . وخرج قوم من أصحاب ابي مسلم الى خراسان فصاروا الى سنباذ . وسنباذ بنيسابور فلما بلغه قتل أبي مسلم أظهر المعصية وخرج يطلب بدمه حتى اضطرب خراسان فوجه ابو جعفر جهور بن مرار فلقي سنباذ فواقعه فقتله وفرق جمعه

وبلغ ابا جعفر مكان عبد الله بن علي عند سليمان بن علي وهو إذ ذاك عامل البصرة فوجه الى سليمان فانكر أن يكون عنده ثم طلب الأمان فكتبه له ابو جعفر على نسخة وضعها ابن المقفع بأغلظ العهود والمواثيق أن لا يناله بمكروه وأن لا يحتال عليه في ذلك بحيلة . وكان في الأمان « فان أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء من بيعتي وفي حل من الأيمان والعهود التي أخذتها عليهم » فلما وقف ابو جعفر على هذا قال من كتبه ؟ قيل ابن المقفع فكان ذلك سبباً لميتة ابن المقفع . وقدم سليمان بن علي من البصرة حتى أخذ الأمان وشخص من البصرة ومعه عيسى بن علي فظهر بهما عبد الله ابن علي فقدما به الى ابي جعفر يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ١٣٧ وهو بالحيرة فأقام في منزل عيسى بن علي وحبسه عند عيسى بن موسى وهو ولي عهد . ثم سأله عنه فاخبره انه قد توفي فوجه الى عيسى بن علي واسماعيل وعبد الصمد ابني علي فاحضرهم وجماعة من بني هاشم وقال لهم إني كنت دفعت عبد الله بن علي الى عيسى بن موسى وأمرته أن يحتفظ به وأن يكرمه ويبره وقد سألته عنه فذكر أنه قد مات فانكرت تستير خبر موته عني وعنكم . فقال القوم يا أمير المؤمنين إن عيسى

قتله ولو كان عبد الله مات حتف أنفه ما ترك أن يعلمك ويعلمنا موته فجمع بينه وبينهم فطالبوه بدمه وقال له إيت على ما ذكرت ببينة عادلة وإلا أقدتك منه وأحضر الناس لذلك فلما رأى عيسى تحقيق الأمر عليه قال أؤخر الى العشي فأخر فحضر بالعشي وحضر عبد الله بن علي معه وقال إنما أردت بما قلت الراحة من حراسته خوفاً أن يناله شيء فيقال لي مثل هذا وقد سلمته صحيحاً سوياً ، فقال ابو جعفر بل أردت أن تعرف ما عندنا فاذا احتملناك فعلت ذلك ، فامر ابو جعفر فبني له بيت في الدار وقال يكون نصب عيني ثم أجرى في أساس ذلك البيت الماء فسقط عليه فمات .

وأراد ابو جعفر أن يزيد في المسجد الحرام وشكا الناس ضيقه فكتب الى زياد بن عبيد الله الحارثي أن يشتري المنازل التي تلي المسجد حتى يزيد فيه ضعفه فامتنع الناس من البيع فذكر ذلك لجعفر بن محمد عليه السلام فقال سلهم أهم نزلوا على البيت أم البيت نزل عليهم فكتب بذلك الى زياد فقال لهم زياد بن عبيد الله ذلك فقالوا نزلنا عليه فقال جعفر بن محمد فان للبيت فناءً فكتب ابو جعفر الى زياد بهدم المنازل التي تليه فهدمت المنازل وادخلت عامة دار الندوة فيه حتى زاد فيه ضعفه ،وكانت الزيادة مما يلي دار الندوة وناحية باب جمح ولم يكن مما يلي باب الصفا والوادي فكان البيت في جانبه ؛ وكان ابتداء الأمر به في سنة ١٣٨ وفرغ سنة ١٤٠ ، وبنى ﴿ مسجد الخيف ﴾ بمنى وصيره على ما هو عليه من السعة ولم يكن بها قبل ذلك .

وحج ابو جعفر سنة ١٤٠ لينظر ما زيد في المسجد الحرام وكان قد بلغه أن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن تحرك فلما قدم المدينة طلبه فلم يظفر به فأخذ عبد الله بن حسن بن حسن وجماعة من أهل بيته فأوثقهم بالحديد وحملهم على الابل بغير وطاء وقال لعبد الله دلني على ابنك وإلا والله قتلتك فقال عبد الله والله لامتحنت باشد مما امتحن الله به خليله ابراهيم وإن بليتي لأعظم من بليته لأن الله عز وجل أمره أن يذبح ابنه وكان ذلك لله عز وجل طاعة فقال ﴿ إن هذا لهو البلاء العظيم ﴾ وانت تريدني

أن أدلك على ابني لتقتله وقتله لله سخط ، وقال ابو جعفر يا بن اللخناء فقال وإنك لتقول هذا ؟ ليت شعري أي الفواطم لختت يابن سلامة ، أفاطمة بنت الحسين ! أم فاطمة بنت رسول الله ام جدتي فاطمة بنت أسد بن هاشم جدة أبي ! أم فاطمة ابنة عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدة جدتي ! قال ولا واحدة من هؤلاء وحمله .

وانصرف ابو جعفر على طريق الشام فاتى بيت المقدس ثم صار الى الجزيرة فنزل خارج الرقة وقد كان منصور بن جعونة الكلابي وثب بها فأسر فاحضره فضرب عنقه ثم صار الى الحيرة فحبس عبد الله بن حسن بن حسن وأهل بيته فلم يزالوا في الحبس حتى ماتوا « وقد قيل » انهم وجدوا مسمرين في الحيطان « وحدثني » ابو عمرو عبد الرحمان بن السكن عن رجل من آل عبد الله أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن كتب الى أبيه لما بلغه شدة ما يلقى من الحبس يستأذنه أن يظهر حتى يضع يده في أيديهم فأرسل اليه عبد الله إن ظهورك يا بني يقتلك ولا يحييني فأقم بمكانك حتى يرتاح الله بفرج .

وأخذ ابو جعفر في بناء الرافقة وكان ابتداؤها في أيام ابي العباس وقال أما انا فلست أنزلها فقيل له وكيف ذلك يا أمير المؤمنين فقال كان أبي صار الى هشام وهو بالرصافة فجفاه وناله منه ما يكره ثم انصرف وأنا وأخي معه فلما صار الى هذا الموضع قال لي ولأخي أما إنه سيبني أحدكما في هذا الموضع مدينة فقلت له ثم ماذا ! فقال : لا ينزلها لكن ينزلها ابنه وأنا اعلم أني لا انزلها ولكن ينزلها ابني محمد — يعني المهدى — .

وولى ابو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمان الأزدى خراسان فاستخلف على الشرطة أخاه عمر بن عبد الرحمان وقتل المغيرة بن سليمان ومجاشع بن حريث وقصد لشيعة بني هاشم فقتل منهم مقتلة عظيمة وجعل يتبعهم ويمثل بهم ، فكتب اليه ابو جعفر يحلف له ليقتلنه فخلع سنة ١٤١ فوجه اليه ابو جعفر بالمهدى فصار المهدى الى الري واستعمل

على خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعي ووجه معه بالجيوش فلقي عبد الجبار بمرو فهزم عسكره وهرب عبد الجبار فاتبعه فأسره وبعث به الى ابي جعفر فوافاه وهو بقصر ابن هبيرة من بغداد على مرحلة فقال له عبد الجبار لما وافاه يا أمير المؤمنين قتلة كريمة فقال تركتها وراءك يا ابن اللخناء وقدمه فضرب عنقه وصلبه وأقام على الخشبة أياماً ثم جاء أخوه عبيد الله بن عبد الرحمان ليلاً فانزله فدفنه فبلغ أبا جعفر ذلك فقال دعوه الى النار

وولى ابو جعفر أرمينية يزيد بن أسيد السلمي ، وولى آذربيجان يزيد بن حاتم المهلبي فنقل اليمانية من البصرة اليها ، وكان أول من نقلهم وانزل الرواد بن المثنى الأزدي تبريز الى البذ ، وأنزل مر بن علي الطائي نريز (. . .) الهمداني الميانج وفرق قبائل اليمن فلم يكن بآذربيجان من نزار احد إلا الصقر بن الليث العتبي ، وابن عمه البعيث بن حلبس ، وتحركت الخزر بناحية أرمينية ووثبوا بيزيد بن أسيد السلمي فكتب الى ابي جعفر يعلمه أن رأس طرخان ملك الخزر قد أقبل اليه في خلق عظيم وأن خليفته قد انهزم فوجه اليه ابوجعفر جبريل بن يحيي البجلي في عشرين الفاً من أهل الشام وأهل الجزيرة وأهل الموصل فواقع الخزر فقتل خلق من المسلمين وانهزم جبريل ويزيد بن أسيد حتى اتيا خرس فلما انتهى الخبر الى أبي جعفر بما نال وظهور الخزر ودخولهم بلاد الاسلام أخرج سبعة آلاف من أهل السجون وبعث فجمع من كل بلد خلقاً عظيماً ووجه بهم وبفعلة وبنائين فبنى مدينة كمخ ، ومدينة المحمدية ، ومدينة باب واق ، وعدة مدن جعلها رداً للمسلمين وأنزلها المقاتلة فردوا الحرب فحاربهم قومهم وقوي المسلمون بتلك المدن وأقام بالبلد ساكناً ثم تحركت الصفارية بأرمينية فوجه ابو جعفر الحسن بن قحطبة عاملا على أرمينية فحاربهم فلم يكن له بهم قوة فكتب الى ابي جعفر بخبرهم وكثرتهم فوجه اليه عامر بن اسماعيل الحارثي في عشرين الفاً فلقي الصفارية فقاتلهم قتالاً شديداً وأقام أياماً يحاربهم ثم رزقهم الله الظفر عليهم فقتل منهم في يوم واحد ستة عشر الف انسان ثم انصرف الى تفليس فقتل من كان معه من الأسرى ؛ ووجه في طلب الصفارية

حيث كانوا ثم ولى ابو جعفر أرمينية واضحاً مولاه فلم يزل عليها وعلى آذربيجان خلافة أبي جعفر كلها .

ووثب أهل طبرستان وأظهروا الخلع والمعصية وزحفوا في جيوش عظيمة فوجه اليهم المهدي خازم بن خزيمة التميمي وروح بن حاتم المهلبي فهزموا جيوشهم وفتحت طبرستان سنة ١٤٢ .

وخرج ابو جعفر في هذه السنة الى البصرة يريد الحج فلما صار بالجسر الكبير أتاه الخبر بأن أهل اليمن قد أظهروا المعصية وأن عبد الله بن الربيع عامل اليمن قد هرب ممن وثب عليه وضعف عنهم وأن عيينة بن موسى بن كعب التميمي عامل السند قد عصى وأظهر الخلع فوجه معن بن زائدة الشيباني الى اليمن وعمر بن حفص بن عثمان بن ابي صفرة الى السند ، وانصرف ابو جعفر من البصرة ولم يحج .

وقدم معن بن زائدة اليمن فقتل من بها قتلاً فاحشاً وأقام بها تسع سنين ، وكان موسى بن كعب التميمي لما انصرف عن بلاد السند خلف ابنه عيينة بن موسى فخالف عليه قوم ممن كان معه من ربيعة واليمن فقتل عامتهم وأظهروا المعصية ، فوجه ابو جعفر عمر ابن حفص (هزار مرد) الى السند فلم يُسلم عيينة ومنعه من الدخول فأقام بالديبل وكان معه عقبة مسلم وحاربه عمر بن حفص وكان أصحاب عيينة يستأمنون الى عمر فطلب عيينه الصلح فصالحه وأخرجه مع رسله وبعث به الى المنصور وأقام عمر بن حفص بالمنصورة ومضى عيينه مع رسله حتى إذا كان فى بعض الطريق هرب من الرسل ومضى يريد سجستان حتى دنا من الرخج فضربه قوم من اليمانيه فقتلوه وذهبوا برأسه الى المنصور وأقام عمر بن حفص بالسند سنتين ثم عزله ابو جعفر وولى هشام بن عمرو التغلبي فصار الى المنصورة فأقام بها ووجه الى ناحية الهند بجيش فغنموا وأصابوا رقيقاً * وقيل * لهشام إن المنصورة لا تحملك والملتان بلاد واسعه ومنها معرى فسار اليها فاستخلف على المنصورة أخاه بسطام بن عمرو فلما قرب من الملتان خرج صاحبها اليه فى خلق لبرده والتقيا فكانت بينهما وقعه عظيمه

ثم انهزم صاحب الملتان وظفر هشام ونزل المدينة وسبى سبياً كثيراً ثم عمل السفن وحملها على نهر السند حتى القندهار ففتحها وسبى وهدم « البدّ » وبنى موضعه مسجداً ، ثم قدم الى المنصور بما لم يقدم به أحد من السند فلم يقم بالعراق إلا قليلا حتى مات فولى المنصور معبد بن الخليل التميمي فكان محموداً في البلد .

وصار ابو جعفر الى بغداد سنة ١٤٤ فقال ما رأيت موضعاً أصلح لبناء مدينة من هذا الموضع بين دجلة والفرات وشريعة البصرة والأبلة وفارس وما والاها والموصل والجزيرة والشأم ومصر والمغرب ومدرجة الجبل وخراسان فاختط مدينته المعروفة بمدينة ابي جعفر فى الجانب الغربي من دجلة وجعل لها أربعة ابواب باباً سماه باب خراسان شرع على دجلة ، وباباً سماه باب البصرة شرع على الصراة التي تأخذ من الفرات وتصل الى دجلة ، وباباً سماه باب الكوفة ، وباباً سماه باب الشأم ، وعلى كل باب من هذه الأبواب مجالس وقباب مذهبة يصعد اليها على الخيل وجعل عرض السور من سفلي سبعين (١) ذراعاً وضرب على سائر بغداد سوراً وجدّ فى البناء وأحضر المهندسين والبنائين والفعلة من كل بلد ، وأقطع مواليه وقواده القطائع داخل المدينة ، فدروب المدينة تنسب اليهم وأخذهم بالبناء ، وأقطع آخرين على أبواب المدينة وأقطع الجند أرباض المدينة ، وأقطع اهل بيته الأطراف ، وأقطع ابنه المهدي وجماعة من أهل بيته ومواليه وقواده .

وشخص المهدي من خراسان منصرفاً الى العراق فى هذه السنة وهي سنة ١٤٤ فخرج ابو جعفر لاستقباله بنهاوند وقدم فصار الى الكوفة فنزل الحيرة والمدينة التي بناها المنصور وسماها « الهاشمية » فاقام المهدي أياماً ثم ابتنى بريطة بنت ابي العباس بالحيرة .

---

(١) كتب فى الهامش بدل (سبعين) تسعين ؛ وفى معجم البلدان « وأمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً ومن أعلاه عشرين ذراعاً » (م ص)

وبلغ المنصور أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسن قد تحرك بالمدينة فكاتبه أهل البلدان فخرج حاجاً ولم يدخل المدينة فى منصرفه وصار الى الربذة فاتى بجماعة من العلويين ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو عبد الله بن حسن لأمه فسألهم عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فقالوا ما نعلم له موضعاً ولا نعرف له خبراً فقال لمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أقطعتك ووصلتك وفعلت وفعلت ولم اواخذك بذنوب أهل بيتك ثم تستميل علي عدوي وتطوي أمره عني ثم أمر به فضرب ضرباً شديداً وطيف به بالربذة على حمار ، وأشخص القوم جميعاً على أقتاب بغير وطاء وانصرف ابو جعفر من حجه فصار الى بغداد ونزل مدينته المعروفة بباب الذهب سنة ١٤٥ ، وكانت الأسواق داخل المدينة فأخرجها الى الكرخ .

ولم يقر أبو جعفر إلا أياماً حتى أتاه الخبر بخروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وظهور أمره فرجع الى الكوفة فاقام بقصر ابن هبيرة بين الكوفة وبغداد اياماً وولى رياح بن عثمان بن حيان المري المدينة وقال ما وجدت لهم غيرك ولا أعلم لهم سواك فلما قدم رياح المدينة قام على المنبر فخطب خطبة له مشهورة يقول فيها : ﴿ يا أهل المدينة انا الأفعى ابن الأفعى ابن عثمان بن حيان وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراءكم المفني رجالكم والله لأدعها بلقعاً لا ينبح فيها كلب ﴾ فوثب عليه قوم منهم وكلموه وقالوا والله يا ابن المجلود حدين لتكفن او لنكفنك عن أنفسنا فكتب الى ابي جعفر يخبره بسوء طاعة اهل المدينة فارسل ابو جعفر الى رياح رسولا وكتب معه كتاباً الى أهل المدينة يأمره أن يقرأه عليهم ؛ وكان في الكتاب ﴿ يا أهل المدينة فان واليكم كتب إلي يذكر غشكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعة امير المؤمنين وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفاً وليقطعن البر والبحر عنكم وليبعثن عليكم رجالاً غلاظ الاكباد بعاد الارحام بو (١)

(١) كذا فى الاصل وكتب فى الهامش (ينوون) ولعل الصحيح (يثوون فى) قعر بيوتكم

قعر بيوتكم يفعلون ما يؤمرون والسلام ﴾ .

فصعد رياح المنبر وقرأ الكتاب فلما بلغ (يذكر غشكم) صاحوا من كل جانب كذبت يا بن المجلود حدين ورموه بالحصا وبادر المقصورة فأغلقها فدخل دار مروان ودخل عليه أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد المخزومي فقال ﴿ أصلح الله الأمير إنما تصنع هذا رعاع الناس فاقطع أيديهم واجلد ظهورهم ﴾ فقال له بعض من حضر من بني هاشم (لا نرى هذا ولكن ارسل الى وجوه الناس وغيرهم من أهل المدينة فاقرأ عليهم كتاب المنصور) فجمعهم فقرأ عليهم كتاب المنصور فوثب حفص بن عمر بن عبد الله ابن عوف الزهري وابو عبيدة بن عبد الرحمان بن الأزهر ، هذا من ناحية وهذا من ناحية فقالا لرياح كذبت والله ما أمرتنا فعصيناك ولا دعوتنا فخالفناك ، ثم قالا للرسول أتبلغ أمير المؤمنين عنا قال ما جئت إلا لذلك ، قالا فقل له أما قولك إنك تبدل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً فان الله عز وجل وعدنا غير هذا قال الله عز وجل : ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ فنحن نعبده لا نشرك به شيئاً .

وظهر محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة مستهل رجب سنة ١٤٥ فاجتمع معه خلق عظيم واتته كتب أهل البلدان ووفودهم فاخذ رياح بن عثمان المري عامل ابي جعفر فاوثقه بالحديد وحبسه ؛ وتوجه ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن الى البصرة وقد اجتمع جماعة فاقام مستتراً وهو يكاتب الناس ويدعوهم الى طاعته فلما بلغ أبا جعفر أراد الخروج الى المدينة ثم خاف أن يدع العراق مع ما بلغه من أمر ابراهيم فوجه عيسى ابن موسى الهاشمي ومعه حميد بن قحطبة الطائي في جيش عظيم فصار الى المدينة وخرج محمد اليه في أصحابه فقاتلهم في شهر رمضان ومضى اصحابه الى الحبس فقتل رياح بن عثمان ، وكانت أسماء ابنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بالمدينة وكانت معادية لمحمد بن عبد الله فوجهت بخمار أسود قد جعلته على قصبة مع مولى لها حتى نصبه على

مأذنة المسجد ووجهت بمولى لها يقال له مجيب العامري الى عسكر محمد فصاح الهزيمة الهزيمة قد دخل المسودّة المدينة فلما رأى الناس العلم الأسود انهزموا وأقام محمد يقاتل حتى قتل فلما قتل محمد بن عبد الله بن حسن وجه عيسى بن موسى كثير بن الحصين العبدي الى المدينة فدخلها فتتبع أصحاب محمد فقتلهم وانصرف الى العراق .

وكان ابراهيم بن عبد الله قصد الكوفة وهو لا يشك أن أهل الكوفة يثبون معه بابي جعفر فلما صار بالكوفة لم يجد ناصراً وبلغ أبا جعفر خبره فوضع الأرصاد والحرس بكل موضع فرام الخروج فلم يقدر فعلم أنه قد أخطأ فأعمل الحيلة وكان مع ابراهيم رجل يقال له سفيان بن يزيد العمي فصار الى ابي جعفر فقال له يا أمير المؤمنين تؤمنني وأدلك على ابراهيم بعد أن أدفعه اليك فقال أنت آمن واين هو ! قال بالبصرة فوجه معي برجل تثق به واحملني على دواب البريد واكتب الى عامل البصرة حتى أدله عليه فيقبض عليه فوجه معه بابي سويد صاحب طاقات ابي سويد ببغداد فى باب الشام فخرج ومعه غلام عليه جبة صوف وعلى عنقه سفرة فيها طعام حتى ركب البريد معه ابو سويد وذلك الغلام فلما صار الى البصرة قال سفيان لأبي سويد انتظرني حتى أعرف خبر الرجل ومضى فلم يعد ، وكان الغلام الذي عليه الجبة الصوف ابراهيم بن عبد الله ابن حسن بن حسن فلما ابطأ صار ابو سويد الى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب — وكان عامل الناحية — فقال له اين الرجل قال لا أدري فكتب الى ابي جعفر فعلم أنه ابراهيم وأنها حيلة .

وخرج ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة وقد بايع أهلها وكان خروجه فى أول شهر رمضان فقصد دار الامارة والامير سفيان بن معاوية المهلبي فتحصن منه فى القصر ثم طلب الأمان فآمنه ابراهيم فخرج سفيان بن معاوية وأسلم البلد فقبض ابراهيم على بيت المال وغيره وكان فى البلد جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي فخرجا الى ميسان فأقاما هناك متحصنين في خندق ، ووجه

ابراهيم بن عبد الله الى الأهواز المغيرة بن الفزع السعدي فأخرج محمد بن الحصين عاملها وغلب على البلد ، ووجه يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمان بن عباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب الى فارس فدخلها وأخرج عنها اسماعيل بن علي ، ووجه هارون بن سعد العجلي الى واسط واستولى على ما حولها ، ووجه برد بن لبيد اليشكري الى كسكر فغلب عليها ، وخرج ابراهيم من البصرة واستخلف نميلة بن مرة الأسعدي وكان قد احصي ديوانه فكانوا ستين الفاً فخرج من البصرة في أول ذي القعدة فاخذ على كسكر يقصد المنصور وكان ابو جعفر قد كتب الى عيسى بن موسى يأمره بسرعة القدوم فلما وصله قال له يا أبا موسى أنت اولى بالفتح من جعفر ومحمد ابني سليمان فانفذ ليكمل الله الظفر على يديك ، فخرج في ثمانية عشر الفاً من الجند وشيعة ابي جعفر وكتب الى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي أن يصيرا معه ، وزحف ابراهيم حتى صار الى قرية يقال لها ﴿ باخمرا ﴾ وصار عيسى بن موسى الى قرية يقال لها ﴿ سحا ﴾ وقدم حميد بن قحطبة الطائي للقتال والتحمت الحرب وكانت أشد حرب والدائرة على عيسى بن موسى حتى لم يشك الناس في علو ابراهيم وظفره ، ثم إن سلم بن قتيبة الباهلي خرج على أصحاب ابراهيم من ناحية بخيل فتوهموا كميناً فانهزموا وبقي ابراهيم في اربعمائة من الزيدية فحاربوا أشد محاربة ، وكان ابراهيم يدعو الى أخيه محمد فلما قتل محمد دعا الى نفسه ﴿ وحدثني ﴾ رجل من القحطانية قال أخبرني (. . . .) قال رأيت ابراهيم في اليوم الذي واقعه عيسى على بغلة دهماء وسديف بن ميمون آخذ بثفر بغله وهو يقول :

خذها أبا اسحاق مليتها * في سيرة ترضى وعمر طويل

وظهر ابراهيم ظهوراً شديداً حتى هزم العسكر مرة بعد أخرى ، وزحف حتى قرب من الكوفة وحتى دعا ابو جعفر بنجائبه ليصير الى بغداد ، وكان العلو في ابراهيم حتى أنه لم يشك أنه يدخل الكوفة ، وكان ابو جعفر لا ينام في تلك الليالي

وحمل اليه امرأتان فاطمة بنت محمد الطلحية ؛ وأم كريم بنت عبد الله من ولد خالد ابن أسيد ، فوجه بهما الى بغداد ولم يكشف لهما كشفاً ، ولما أن هزم اصحاب ابراهيم قام يحارب أشد حرب في اربعمائة من اصحابه الى ان قتل وأخذ رأسه فوجه به الى ابي جعفر وهو بالكوفة فوضع بين يديه وأذن للناس فجعلوا يدخلون فينالون من ابراهيم وأخيه وأهله حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فقال أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك فسر بذلك ابو جعفر وقال أبا خالد مرحبًا وأهلاً ههنا ، فعلم الناس أنه قد سرته مقالته فقالوا مثل قوله ، وأتاه الحسن بن زيد فعرض عليه الرأس فلما رآه امتقع لونه وتغير وجهه فقال والله يا أمير المؤمنين لقد قتلته صواماً قواما وما كنت أحب أن تبوأ بإثمه ، فقال له رجل من أهله كأنك تزري على أمير المؤمنين في قتله ؛ فقال كأنك أردت مني أن اكذب عليه وقد صار الى الله ، فقال ابو جعفر والله ما كنت أنتظر إلا أن يدخل صاحبك من ذلك الباب فأدعو بك فاضرب عنقك وأخرج من الباب الآخر ، فقال او كنت اسبقك الى ذلك ؟

وانصرف ابو جعفر بعد قتل ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بثلاثة أشهر فنزل مدينة بغداد نزول مستوطن في شهر ربيع الأول سنة ١٤٦ ، وكان ذلك من شهور العجم في تموز ؛ وأشخص المهدي الى خراسان عاملاً عليها ومعه وجوه الجند والصحابة فاجتمع قواد خراسان الى ابي جعفر وذكروا له فعال المهدي في نبل أخلاقه ومدحوه وسألوه أن يصير اليه تولية العهد من بعده ؛ فكتب الى عيسى بن موسى وهو بالكوفة يعلمه ما قد وقع بقلوب أهل خراسان وغيرهم من هذا الأمر ، وكان عيسى بن موسى يقول إن له ولاية العهد بعد أبي جعفر ، فلما ورد عليه كتاب ابي جعفر بما اجتمع عليه القواد وأهل خراسان من تصيير ولاية العهد من بعده للمهدي وأشار عليه بأن يسبق الى ذلك فكتب اليه عيسى يعظم عليه هذا الأمر ويذكر له ما في نكث العهود ونقض الأيمان وأنه لا يأمن أن يفعل الناس هذا في بيعته وبيعة ابنه ، وجرت

بينهما مراسلات ، وقدم عيسى بغداد فوثب به الجند يوماً بعــد يوم وصاروا الى بابه حتى خاف على نفسه ، فلما رأى ذلك رضي وسلم فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهدي سنة ١٤٧ ولم يبق أحد إلا دخل في البيعة ، وجعل لعيسى ولاية العهد بعــد المهدي والمهدي يومئذ بخراسان ، وأتته كتب أبيه بالبيعة له فبايع من معه من القواد وأهل خراسان جميعاً خلا باذغيس فانه خالف بها ﴿ استاذ سيس ﴾ فادعى النبوة وصحبه على ذلك خلق كثير فوجه اليه المهدي خازم بن خزيمة التميمي فحاربه ففض جموعه فاسره وحمله الى ابي جعفر الى بغداد فقتله ، وفي هذه السنة كان انقضاض الكواكب .

وفاة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وآدابه

توفي ابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام — وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمــد بن أبي بكر — بالمدينة سنة ١٤٨ وله ست وستون سنة وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله ، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالم ﴿ قال سفيان ﴾ سمعت جعفراً يقول : الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وترك حديث لم ترووه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه ، إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه ﴿ وقال جعفر ﴾ ثلاثة يجب لهم الرحمة غني افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالم تلاعب به الجهال ﴿ وقال ﴾ من أخرجه الله من ذل المعاصي الى عز التقوى أغناه الله بغير مال واعزه الله بغير عشيرة ؛ ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ؛ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل ؛ ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مؤنته ونعم أهله ، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه فاطلق لسانه من أمور الدنيا داءها ودواءها وأخرجه منها سالماً ﴿ وروي ﴾ أنه قال لما نزلت على رسول الله ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنــا به أزواجاً منهم ﴾ الآية ﴿ قال ﴾ ومن لم يتعز بعزاء

رسول الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن أتبع طرفه مافى أيدي الناس طال همه ولم يشف غيظه ؛ ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى كل مأكل ومشرب فقد قصر عمره ودنا عذابه ﴿ وقال ﴾ ما أنعم الله على عبده نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه إلا أعطي خيراً مما أخذ ﴿ وقال ﴾ إن مما ناجى الله عز وجل به موسى يا موسى لا تنسني على حال ولا تفرح بكثرة المال فان نسياني يميت القلب وعند كثرة المال تكثر الذنوب ﴿ ياموسى ﴾ كل زمان يأتي بالشدة بعد الشدة ؛ وبالرخاء بعد الرخاء ، والملك بعد الملك ؛ وملكي قائم لا يزول ؛ ولا يخفى علي شيء فى الأرض ولا في السماء ، وكيف يخفى علي ما كان ابتداؤه مني ، وكيف لا تكون همتك فيما عندي وانت ترجع لا محالة الى عندي ﴿ وقال ﴾ خلتان من لزمهما دخل الجنة ، فقيل وما هما ؟ قال : احتمال ما تكره إذا أحبه الله وترك ما تحب اذا كرهه الله ، فقيل له من يطيق ذاك ، فقال من هرب من النار الى الجنة ﴿ وقال ﴾ فعل المعروف يمنع ميتة السوء ؛ والصدقة تطفيء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر ، وقول لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ﴿ وقال ﴾ ما توسل الي أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة هي أحب إلي ولا أقرب مني من يد أسلفته اياها أتبع بها أختها لأحسن ربها وحفظها إذا كان منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ، وما سمحت نفسي برد بكر من الحوائج ﴿ وقال ﴾ أوحى الله الى موسى ابن عمران أدخل يدك في فم التنين الى المرفق فهو خير لك من مسألة من لم يكن المسألة بمكان ﴿ وقال ﴾ لا تخالطن من الناس خمسة ؛ الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك والكذاب فان كلامه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب ؛ والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو شربة ؛ والبخيل فانه يخذلك أحوج ما تكون اليه ، والجبان فانه يسلمك ويتسلم الدية ﴿ وقال ﴾ المؤمنون يألفون ويؤلفون ويغشى رحلهم ﴿ وقال ﴾ من غضب عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءً فاتخذه لك خلا ، ومن

أراد أن تصفو له مودة أخيه فلا يماريه ولا يمازحه ولا يعده ميعاداً فيخلفه .

وكان لجعفر بن محمد من الولد اسماعيل ، وعبد الله ، ومحمد ، وعلي ، والعباس

﴿ قال اسماعيل ﴾ بن علي بن عبد الله بن عباس : دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال لي ماعلمت مانزل باهلك فقلت وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال فان سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي فقلت ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال جعفر بن محمد ، فقلت أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه فقال لي إن جعفراً كان ممن قال الله فيه ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات .

وكان اسماعيل بن علي من خيار بني هاشم وأفاضلهم ولاه ابو جعفر المنصور فارس وقد خرج مهلهل الحروري بها فلقيه في جمع فقتله وهزم عسكره وأسر من اصحابه اربعمائة ، وكان عبد الصمد أخوه معه فقال أصلح الله الأمير اضرب أعناقهم فقال له اسماعيل بن علي إن أول من علم قتال أهل القبلة علي بن ابي طالب ولم يكن يقتل أسيراً ولا يتبع منهزماً ولا يجهز على جريح .

وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس يتولى لأبي جعفر قنسرين والعواصم فبلغه كثرة عدده ومواليه فخافه فكتب اليه في القدوم عليه فكتب أنه شديد العلة فلم يقبل ذلك وكان مرضه (السل) فصار الى بغداد فلما رآه ابو جعفر صرفه ولم يأمر له بصلة ولا بر ، فقال إن أمير المؤمنين يئس مني ففعل هذا بي والله يحيي العظام وهي رميم . فلما صار الى عانات من كور الفرات مات ، وكان نظير ابي جعفر في السن .

وولى ابو جعفر أهل بيته البلدان ، فولى اسماعيل بن علي فارس ، وسليمان بن علي البصرة ، وعيسى بن موسى الكوفة ، وصالح بن علي قنسرين والعواصم ، والعباس ابن محمد الجزيرة ، وعبد الله بن صالح حمص ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمد بن ابراهيم الأردن ، وعبد الوهاب بن ابراهيم فلسطين ، والسري بن عبد الله بن تمام

ابن العباس بن عبد المطلب مكة ، وجعفر بن سليمان المدينة ، ويحيى بن محمد الموصل ، ثم صرفه وولى ابنه جعفراً وصير معه هشام بن عمرو .

وكان عماله من العرب يزيد بن حاتم المهلبي ، ومحمد بن الأشعث الخزاعي وزياد بن عبيد الله الحارثى ، ومعن بن زائدة الشيبانى ، وخازم بن خزيمة التميمي وعقبة بن أسلم الهنائي ، ويزيد بن أسيد السلمي ، وروح بن حاتم المهلبي ، والمسيب ابن زهير الضبي ، وعمر بن حفص المهلبي ، والحسن بن قحطبة الطائي ، وسلم ابن قتيبة الباهلي ، وجعفر بن حنظلة البهراني ، والربيع بن زياد الحارثى ، وهشام ابن عمرو التغلبي .

فكان ينقل هؤلاء فى أعماله لثقته بهم واعتماده عليهم ، وكان عماله من مواليه عمارة بن حمزة ، ومرزوق ابو الخصيب ، وواضح ، ومنارة ، والعلاء ، ورزين وغزوان ، وعطية ، وصاعد ، ومريد . وأسد . والربيع .

وكتب المنصور الى معن بن زائدة الشيباني وهو على اليمن سنة ١٥١ أن يقدم فاستخلف ابنه زائدة على اليمن وقدم على ابى جعفر . وكان معن قد أسن فقال له ابوجعفر كبرت سنك يا معن . قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين . قال وانك لتتجلد قال على أعدائك . قال وإن فيك لبقية . قال هي لك فأنفذه الى خراسان والمهدي بها فانصرف المهدي وأقام معن لقتال من هناك من الخوارج حتى قتل منهم خلقاً عظيماً وأفناهم فلما رأوا انهم لا قوة لهم بمحاربته استعملوا الحيلة وكان يبني داراً له ببست فدخل بعضهم في هيئة البنائين ثم صيروا السيوف في أطنان القصب فأقاموا أياماً فلما توسطوا الدار أخرجوا السيوف ثم حملوا عليه وهو في داره فقتلوه فتجرد يزيد بن مزيد ابن اخيه فقتل من الخوارج حتى جرت دماؤهم كالنهر ثم شخص الى بغداد واتبعه الشراة . وكان يركب في موكب ضخم من موالي عمه وعشيرته فلم يظفروا له بغرة حتى صار على الجسر ببغداد فشدوا عليه فترجل فقتل منهم خلقاً عظيما وضربوه ضربات

بالسيوف وكانت وقعة جليلة وقتل من الخوارج قتالاً عظيماً وآمن الناس فلا يعلم أن الخوارج دخلت قط بغداد ظاهراً فقتلت أحداً إلا ذلك اليوم ، وأقام زائدة بن معن ابن زائدة خليفة أبيه باليمن حتى قتل أبوه واستعمل المنصور مكانه الحجاج بن منصور ثم صرفه واستعمل مكانه يزيد بن منصور .

وخالف أهل اليمامة والبحرين سنة ١٥٢ وقتلوا أبا الساج عامل ابي جعفر عليهم فوجه عليهم عقبة بن أسلم الهنائي فقتل من بها من ربيعة مجازاة لما فعل معن باليمن وقال لو كان معن على فرس جواد وأنا على حمار أعرج لسبقته الى النار ؛ وسبى العرب والموالي وقدم على عقبة رسول ببشارة من عند المنصور فقال له عقبة ما عندي مال فأعطيك إلا أنني أعطيك ما قيمته خمسمائة الف درهم ؛ قال وما ذاك ! قال أدفع اليك خمسين رجلا من ربيعة فتنطلق بهم فاذا صرت الى البصرة أظهرت أنك تريد ضرب اعناقهم وصلبهم على أبواب اعداء أمير المؤمنين فانك لا تشير على أحد إلا افتدى منك بعشرة آلاف درهم ، قال قد رضيت ؛ فدفعهم اليه فقدم بهم البصرة ووقف بهم في « المربد » وأظهر أنه يريد ضرب أعناقهم وصلبهم فاجتمع الناس حتى كادت تكون فتنة وسوار ابن عبد الله قاضي البصرة يومئذ فأرسل إلى الرسول فاحضره ثم وجه فحبس القوم وقال تمسك عنهم حتى آمرك وكتب الى المنصور بخبرهم وعظم عليه الخطب منهم وكتب اليه أنه قد عفا عنهم وجزاه الخير .

وقتل الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية فولى ابو جعفر حبيب بن عبدالرحمان ابن حبيب ابن اخي الياس فاقام بها مدة ، ووثب رجل يقال له عاصم بن جميل الاباضي فقتله وكثرت الاباضية بافريقية وولت عليهم أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فاستفحل أمره وغلب على البلد فولى ابو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي فقدم طرابلس وزحف اليه ابو الخطاب من القيروان فحاربه فقتله محمد بن الأشعث ووجه برأسه الى ابي جعفر ، وصار محمد بن الأشعث الى القيروان فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج

عليه هاشم بن اشتاخنج الخراساني وظافره من بالبلد من الجند وأهل خراسان فأخرجوه عن البلد وولوا عليهم رجلا يقال له عيسى بن موسى الخراساني وانصرف ابن الاشعث الى العراق ؛ وكتب ابو جعفر الى الأغلب بن سالم التميمي بولاية البلد فوثب أهل افريقية فنحوا الأغلب بن سالم وولوا الحسن بن حرب فلما بلغ ابا جعفر الخبر كره اضطراب البلد وكتب الى الحسن بن حرب بولاية البلد فلما سكن البلد ولى عمر بن حفص المهلبي ﴿ هزار مرد ﴾ فقدم البلد فلم يقم إلا يسيراً حتى وثب به يعقوب بن تميم الكندي المعروف بأبي حاتم ومعه أهل البلد فحاصره بالقيروان فلم يزل محاصراً حتى قتل سنة ١٥٣ وغلب على البلد ابو حاتم يعقوب بن تميم الأباضي ؛ وولى ابو جعفر يزيد بن حاتم المهلبي المغرب سنة ١٥٤ وخرج يشيعه حتى أتى بيت المقدس فأمره بالنفوذ وانصرف ابو جعفر فاستنفر الشامات والجزيرة ، وقدم يزيد بن حاتم مصر فأقام بها يسيراً ثم شخص الى افريقية فصار الى طرابلس في خلق عظيم وزحف اليه ابو حاتم الأباضي فالتقيا بطرابلس فقاتله وأقامت الحرب بينهما أياماً فقتل ابو حاتم وخلق عظيم من أصحابه ، وقدم يزيد بن حاتم القيروان سنة ١٥٥ ونادى في الناس جميعاً بالأمان ولم يزل مقيما على البلد خلافة ابي جعفر وخلافة المهدي وخلافة موسى وبعض خلافة الرشيد

وتحرك أهل الطالقان فوجه اليهم عمر بن العلاء ففتح الطالقان ودنباوند وديلمان وسبى من الديلم سبايا كثيرة ، ثم صار الى طبرستان فلم يزل مقيماً بها خلافة المنصور ووجه المنصور الليث مولى أمير المؤمنين الى فرغانة وملكها يومئذ (فبران بن اوراكهون) ومنزله مدينة يقال لها ﴿ كاشغر ﴾ فحاربهم محاربة شديدة حتى طلب ملك فرغانة الصلح فصالحهم على مال كثير ، وأوفد ملك فرغانة رجلا من أصحابه يقال له ﴿ باتيجور ﴾ فعرض عليه الاسلام فأبى فلم يزل محبوساً الى أيام المهدي ، وقال لا أخون الملك الذى وجهني .

وبنى ابو جعفر مدينة المصيصة وكانت حصناً صغيراً ﴿ وقيل ﴾ ان عبد الله بن

عبد الملك بن مروان كان بناه ، وكانت الروم تطرقهم في كل وقت فتستبيح ذلك الموضع فبنى عليها السور وجعل عليها الخندق وأسكنها المقاتلة وحمل اليها أهل المحابس وكان الذي تولى بناءها العباس بن محمد وصالح بن علي .

وأخذ أبو جعفر أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلاً ، وكان مبلغ ما أخذلهم ثمانمائة الف الف درهم ﴿ وكان يقول ﴾ لأهل بيته إني لأجهل موضعي حتى أحذر منكم لأنه ما فيكم إلا عمٌّ وأخ وابن عم وابن أخ فانا أراعيكم ببصري وأهتم بكم بنفسي فالله الله في أنفسكم فصونوها وفي اموالكم فاحتفظوا بها ، وإياكم والاسراف فيوشك أن تصيروا من ولد ولدي الى من لا يعرف الرجل حتى يقول له من أنت ﴿ وكان يقول ﴾ الملوك ثلاثة : فمعاوية وكفاه زياده ، وعبد الملك وكفاه حجاجه وانا ولا كافي لي ﴿ وكان يقول ﴾ من قل ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوي عليه عدوه ، ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه ، ومن اتضع ملكه استبيح حماه ﴿ وقال ﴾ يوماً لأصحابه إن هذا الملك أفضي إلي وأنا حنيك السن قد حلبت هذا الدهر أشطره . وزاحمت المشاة في الأسواق . وشاهدتهم في المواسم . وغازيتهم في المغازي . فو الله ما احب أن أزداد بهم خيراً على أني أحب أن أعلم ما أحدثوا بعدى منذ تواريت عنهم بهذه الجدارات وتشاغلت عنهم بأمورهم مع أني والله ما لمت نفسي أن اكون قد أذكيت العيون عليهم حتى أتتني أخبارهم وهم في منازلهم ﴿ وحدثني ﴾ بعض اشياخنا قال إن أبا جعفر يوماً ليخطب ويذكر الله إذا قام اليه رجل فقال أذكرك من تذكر يا أمير المؤمنين به . فقال سمعاً لمن قبل عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن تاخذني العزة بالاثم ﴿ لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ﴾ وأنت أيها القائل ما الله أردت بها وإنما أردت أن يقال قام وقال وعوقب فصبر . وأهون بقائلها لو هممت فاهتبلها ويلك اذ غفرت . وإياك وإياكم أيها الناس وأختها فان الحكمة علينا نزلت ومن عندنا فصلت وردوا الأمر الى أهله تصدروه كما أوردوه . ثم عاد الى الموضع من الخطبة

وحج ابوجعفر فى خلافته خمس حجج سنة ١٤٠ وسنة ١٤٤ وسنة ١٤٧ وسنة ١٥٢ وسنه ١٥٨ . فلم يتم الحج . وهلك فى أول العشر فأقام الحج ابراهيم بن يحيي ابن محمد بن علي ﴿ وقال أبوجعفر ﴾ لما حضرته الوفاة لمواليه « إني كنت رأيت فى المنام قبل أن يفضى هذا الأمر الينا كأنا فى المسجد الحرام إذا خرج النبي من البيت ومعه لواء فقال أين عبد الله فقمت أنا وأخي وعمي فسبقنا أخي يعني أبا العباس فأخذ اللواء فخطا به خطوات أحصيها فاعدها ثم سقط وسقط اللواء من يده فاخذه رسول الله. ثم رجع الى موضعه فقال أين عبد الله فقمت انا وعمي فزحمت فالقيته وتقدمت فأخذت اللواء فخطيت به خطوات أحصيها وأعدها ثم سقطت وسقط اللواء من يدى وقدانقضت تلك الخطا وانا ميت فى يومي » ومات لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ وهو ابن ٦٨ سنة . ودفن ببئر ميمون وصلى عليه ابنه صالح فكانت ولايته ٢٢ سنة وخلف من الولد الذكور ستة محمد المهدى وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية . وصالح ويعقوب وأمها الطلحية . . (١) . . وكان ابنه جعفر الاكبر قد توفي في حياته وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية .

وكان الغالب عليه ابو ايوب الخوزى . وكان ابو ايوب كاتبًا لسليمان بن حبيب المهلبي الذى كان ابو جعفر عامله فى أيام بني أمية فعتب على ابي جعفر فأمر بضربه وحبسه فتخلصه ابو ايوب فحفظ ذلك له فاستوزره ثم سخط عليه وقتله واستصفى

(١) بياض في الأصل وسقط بقية أولاده الذين خلفهم . وقد جملهم ابن الاثير في حوادث سنة ١٥٨ من الكامل ستة ايضًا . محمد المهدى . وصالح . ويعقوب وجعفر الاصغر أمه أم ولد كردية . ويقال له ابن الكردية . وسليمان وعيسى أمهما أم أخيها يعقوب فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله . وكان له القاسم مات قبله وله عشر سنين أمه أم ولد تعرف بأم القاسم . كما أن جعفر الاكبر مات قبله ايضًا . وله من البنات العالية أمها امرأة من بني امية . (م . ص)

ماله . وقتله سنة ١٥٤ ولم يعرف أن أحداً غلب عليه بعد . وكان له سمار منهم : هشام بن عمرو التغلبي ؛ وعبد الله بن الربيع الحارثي ؛ واسحاق بن مسلم العقيلي والحارث بن عبد الرحمان الحرشي .

وكان أول من ولى القضاة الأمصار من قبله ، وكان يوليهم أصحاب المعاون وكان قضاته عثمان بن عمر التيمي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ؛ ثم عبد الله بن صفوان الجمحي ، وعلى الكوفة شريك بن عبد الله النخعي ، وعلى البصرة عمر بن عامر السلمي ثم سوار بن عبد الله العنبري . وعلى مصر عبد الله بن لهيعة الحضرمي . وعلى شرطه عبد الجبار بن عبد الرحمان الأزدي . الى أن عزله وولاه خراسان واستعمل أخاه عمر بن عبد الرحمان ثم عزله لما عصى اخوه وفتك . واستعمل موسى بن كعب التميمي ثم المسيب بن زهير الضبي ، وكان في أول أمره خليفة موسى بن كعب ثم مات موسى وكان كعب بن مالك على حرسه . ثم عثمان بن نهيك . ثم استعمل مكانه ابا العباس الطوسي ، وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه . ثم حجبه الربيع مولاه وغلب على اكثر اموره .

وأقام الحج للناس في أيامه في سنة ١٣٦ : اسماعيل بن علي « وقيل » ابوجعفر وكان معه ابومسلم ؛ سنة ١٣٧ اسماعيل بن علي ، سنة ١٣٨ فضل بن صالح ابن علي ، سنة ١٣٩ وهو عام الخصب العباس بن محمد بن علي ؛ سنة ١٤٠ ابوجعفر المنصور ، سنة ١٤١ اسماعيل بن علي وهو على دمشق وحمص وقنسرين ، سنة ١٤٢ اسماعيل بن علي ، ١٤٣ عيسى بن موسى بن محمد بن علي ؛ سنة ١٤٤ العباس ابن عبد المطلب ؛ سنة ١٤٦ عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ، سنة ١٤٧ ابو جعفر المنصور ، سنة ١٤٨ جعفر ابنه ، سنة ١٤٩ محمد بن ابراهيم بن علي سنة ١٥٠ عبد الصمد بن علي ، سنة ١٥١ محمد بن ابراهيم ؛ سنة ١٥٢ ابو جعفر المنصور . ١٥٣ المهدي وهو ولي عهد ابيه . ١٥٤ محمد بن ابراهيم . سنة ١٥٥

عبد الصمد بن علي . سنة ١٥٦ العباس بن محمد . سنة ١٥٧ ابراهيم بن يحيي بن محمد ابن علي . سنة ١٥٨ خرج ابو جعفر يريد الحج فمات وأقام الحج ابراهيم .

وغزا بالناس في أيامه ، سنة ١٣٨ صالح بن علي على جند الشام ؛ والعباس بن محمد بن علي على خراسان ، ولم يغز بلاد الروم منذ غزا الغمر بن يزيد في سنة ١٢٥ الى هذه الغاية ، واقام صالح بن علي والياً على الشام والثغور وهو يغزي بلاد الروم امراء مّن قبله عليهم ابنه الفضل بن صالح وغيره ، سنة ١٤٢ العباس بن محمد ، سنة ١٤٣ العباس ايضاً ، سنة ١٤٥ حميد بن قحطبة ؛ سنة ١٤٦ محمد بن ابراهيم سنة ١٤٧ السري بن عبد الله بن الحارث ، سنة ١٤٨ الفضل بن صالح ، سنة ١٤٩ يزيد بن أسيد ، سنة ١٥٥ يزيد بن أسيد ، سنة ١٥٧ زفر بن عاصم الهلالي .

وكان الفقهاء في زمانه : يحيي بن سعيد الأنصاري ؛ محمد بن عبد الرحمان ، ابن ابي طوالة ، هشام بن عروة بن الزبير ، محمد بن عمر بن علقمة ، موسى بن عبيدة ، ابن ابي صعصعة ، ربيعة الرأى وهو ابن ابي عبد الرحمان ، محمد بن عبد الرحمان بن ابي ذئب ، عثمان بن الأسود ، حنظلة بن ابي سفيان ، عبد الملك بن جريج ، عبد العزيز بن ابى الرواد ، ابراهيم بن يزيد « محمد بن يزيد الايدى » ابو سيار النسارى واسمه هرار بن مرة ؛ سليمان بن مهران الكاهلي ، الحسن بن عبد الله النخعي ، ابو حيان يحيي بن سعيد التميمي ، مجالد بن سعيد ، محمد بن السائب الكلبي ، الأجلح ابن عبد الله الكندى ، البراء بن ابى زائدة الهمداني ، يونس بن ابى اسحاق السبيعي الحسن بن عمر الفقيمي . محمد بن عبد الرحمان بن ابى ليلى . الحجاج بن ارطاة ابو حنيفة النعمان بن ثابت . محمد بن عبد الله العرزمي . الحسن بن عمارة . مسعر بن كدام . ابو حمزة الثمالي . سفيان بن سعيد الثورى . عبد الجبار بن عباس الهمداني يحيي بن سلمة بن كهيل . عبد الله بن عون المزني . خالد بن مهران . ابو المعتمر سليمان التيمي . عمرو بن عبيد . سوار بن عبد الله . ابو الأشهب العطاردى ، حميد

الطويل ، شعبة بن الحجاج العبدي ، حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، عبد الله بن محرز ، عمرو ابن قيس الكندي ، الأوزاعي عبد الرحمان بن عمرو ، غالب بن عبد الله العقيلي .

أيام المهـــدي

وهو محمد بن عبد الله المنصور — وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن يزيد الحميري — وبويع في اليوم الذي توفي فيه المنصور ، وأخذ الربيع له البيعة بمكة على من حضر من الهاشميين والقواد ، وكان صالح بن المنصور حاضراً وموسى بن المهدي فأنفذ اليه الخبر مع منارة مولى ابي جعفر ووصيته ، فسار منارة اثني عشر يوماً الى بغداد والمهدي بها فاحضر القواد والهاشميين والصحابة فبايعوا .

وكانت الشمس يومئذ في الميزان اربعاً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والقمر في الجوزاء عشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل في الميزان ثماني عشرة درجة وخمسين دقيقة ، والمشترى فى الجدى سبع عشرة درجة واربعين دقيقة ، والمريخ فى الجوزاء خمس درجات وأربعين دقيقة راجعاً ، والزهرة في الميزان خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، وعطارد في العقرب ثماني عشرة درجة وعشر دقائق ، والرأس في الثور تسع درجات وعشر دقائق .

وقرأ المهدى وصية أبي جعفر وكانت نسختها (بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين الى المهـدى محمد ابن أمير المؤمنين ولي عهـد المسلمين حين أسند وصيته اليه بعده واستخلفه على الرعية من المسلمين وأهل الذمة وحرم الله وخزائنه وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، أن أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد ، والعمل بطاعته في العباد ، ويحذرك الحسرة والندامة ، والفضيحة في القيامة ، قبل حلول الموت ، وعاقبة الفوت حين تقول « رب لولا أخرتني الى أجل قريب » هيهات ابن منك المهل ، وقد انقضى عنك الأجـل ، وتقول رب ارجعني لعلي أعمل صالحاً ، فحينئذ ينقطع عنك اهلك ، ويحل بك عملك ، فـترى

ما قدمته يداك ، وسعت فيه قدماك ، ونطق به لسانك ، واستركبت عليه جوارحك ، ولحظت له عينك ، وانطوى عليه غيبك ، فتجزى عليه الجزاء الاوفى إن شراً فشراً ، وإن خيراً فخيراً ، فليكن تقوى الله من شأنك ؛ وطاعته من بالك استعن بالله على دينك ، وتقرب به الى ربك ، ونفسك فخذ منها ولا تجعلها للهوى وكن لعمل الشر قامعاً ؛ فليس أحد اكثر وزراً ولا أعز اثماً ولا أعظم مصيبةً ولا أجل رزيةً منك لتكاثف ذنوبك وتضاعف اعمالك ؛ إذ قلدك الله الرعيةً تحكم فيهم بمثل الذرة فيقتضون منك أجمعون وتكافى على افعال ولاتك من الظالمين فان الله يقول « إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » فكأني بك وقد أوقفت بين يدى الجبار ، وخذلك الأنصار ؛ وأسلمك الأعوان ، وطوقت الخطايا ، وقرنت بك الذنوب ، وحل بك الوجل ، وقعد بك الفشل ، وكلت حجتك ، وقلت حيلتك ، وأخذت منك الحقوق ، واقتاد منك المخلوق ، في يوم شديد هوله ، عظيم كربه « تشخص فيه الأبصار لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » فما عسيت أن يكون حالك يومئذ إذا خاصمك الخلق ، واستقضى عليك الحق ، إذ لا خاصة تنجيك ؛ ولا قرابة تحميك ، تطلب فيه التباعة ولا تقبل فيه الشفاعة ، ويعمل فيه بالعدل ، ويقضى فيه بالفصل ، قال الله « لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » فعليك بالتشمير لدينك ، والاجتهاد لنفسك فأفكك عنقك . وبادر يومك . واحذر غدك . واتق دنياك فانها دنيا غدارة موبقة . ولتصدق لله نيتك . وتعظم اليه فاقتك . وليتسع انصافك . وينبسط عدلك ويؤمن ظلمك . وواس بين الرعية في الاحتكام . واطلب بجهدك رضا الرحمان وأهل الدين فليكونوا اعضادك ، وأعط حظ المسلمين من أموالهم ، ووفر لهم فيئهم وتابع أعطياتهم عليهم ، وعجل بنفقاتهم اليهم ، سنة سنة وشهراً وشهراً ، وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج ، واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة ، وليكن أهم

أمورك اليك تحفظ أطرافك ، وسد ثغورك ، وإكاش بعوثك ، وارغب الى الله عز وجل في الجهـاد والمحاماة عن دينه ، واهلاك عدوه ، بما يفتح الله على المسلمين ويمكن لهم في الدين ، وابذل فى ذلك مهجتك ، ونجدتك ومالك ، وتفقد جيوشك ليلك ونهارك ، واعرف مراكز خيلك ، ومواطن رحلك ؛ وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك ، وعليه فليكن ثقتك واقتدارك وتوكلك ، فانه يكفيك ويغنيك وينصرك ، وكفى به مؤيداً ونصيراً ﴾

وأمره بعد ذلك بأمور يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصية ، وأظهر جزعاً شديداً على المنصور ؛ ووردت الوفود عليه يعزونه فجعل كل قوم يقولون بما أمكنهم حتى دخل شبيب بن شيبة فعزاه ثم قال ﴿ يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لك إذقسم لك الدنيا إلا باسناها وأرفعها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا بمثل مارضي الله لك من الدنيا ؛ وعليك بتقوى الله فانها عليكم نزلت ، ومنكم اخذت ؛ واليكم ردت ﴾

وقدم الربيع مستهل المحرم ومعه مفاتيح الخزائن ؛ فجلس المهدي للناس فى النصف من المحرم وأمر الربيع فاحضر دفتر القبوض ووجه الى كل من كان ابو جعفر قبض شيئاً من ماله فاحضره وأقبل عليهم فقال ﴿ إن أمير المؤمنين المنصور كان بما حمله الله من أموركم وقلده من رعايتكم يدبر عليكم كما يدبر الوالد البر على ولده وكان أنظر لكم منكم لأنفسكم ، وكان يحفظ عليكم مالا تحفظون على أنفسكم فحرس لكم من اموالكم مالم يأمن ذهابه ؛ وهذه أموالكم مبارك لكم فيها فخلوا أمير المؤمنين من إبطائها عنكم ، ثم أمر باخراج من فى المحابس من الطالبيين وغيرهم من سائر النـاس فاطلقهم وأمر لهم بجوائز وصلات وأرزاق دارة ، ثم أطلق سائر الناس ولم يطلق احـداً إلا وكساه ووصله على قدره حتى بلغ الى عبد الله بن مروان وكان فى الحبس من أيام أبي العباس فأمر بتخلية سبيله وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال له عيسى بن علي إن فى أعناقنا بيعة له وقد كان هذا الرجل ولي عهد أبيه وأنت أعلم وقد كان وهب لكاتبي

جوهراً قيمته ثلاثون الفاً ، وكان سبب الجوهر الذي ذكره عيسى أن امرأة عبدالله ابن مروان وهي أم يزيد قدمت الكوفة رجاء أن تجد من تكلمه في زوجها وقيل لها لو كلمتِ عيسى بن علي فجاءت الى كاتبه عباس بن يعقوب فكلمته ووهبت له جوهراً كان بقي عندها وسألته أن يكلم عيسى فيتكلم فيه فأخذ الجوهر ولم يكلمه فقال عبد الله بن الربيع الحارثي لما فعل المهدي ما فعل من رد الأموال وإطلاق المحبسين وأمن الخائفين وصلات المعدومين سمعت المنصور يقول للمهدي لما ودعه عند خروجه الى مكة : اني تركت الناس ثلاثة اصناف فقيراً لا يرجو إلا غناك ، وخائفاً لا يرجو إلا أمنك ، ومسجوناً لا يرجوالفرج إلا منك ، فاذا وليت فاذقهم طعم الرفاهية لا تمدد لهم كل المد .

ودخل الحارث بن عبد الرحمان على المهدي فذكر ما حضر من أمر المنصور ومكر الربيع وقال لقد رأيت تدبيره ما لا يهتدي اليه أحد ، قال وما ذاك ؟ قال لما توفي المنصور صير الربيع صالحاً أخاك في صدر المجلس وقدمه على جميع من حضر فلما دفن قدم ابنك موسى وقال لأخيك كنت اولى بالتقدم لغيبة أخيك المهدى فلما صار ابوك تحت الأرض وولي الأمر ابوهذا كان اولى بالتقدم منك ، فقال المهدي : إن ساس الملك احد فليسسه مثل الربيع .

وخلع المهدى عيسى بن موسى من ولاية العهد واشترى ذلك بعشرة آلاف الف درهم وبايع لابنه موسى بولاية العهد من بعده سنة ١٥٩ ثم بايع لابنه هارون بولاية العهد بعد موسى .

وحج المهدى سنة ١٦٠ فجرد الكعبة وكساها القباطي والخز والديباج وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها الى أسفلها وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد الحرام وزاد فيه زيادات واشترى من الناس دورهم ومنازلهم وأحضر الصناع والمهندسين من كل بلد وكتب الى واضح مولاه وعامله على

مصر في حمل الأموال الى مكة واتخاذ الآلات وما يحتاج اليه من الذهب والفسيفساء وسلاسل القناديل والخروج بها حتى يسلمها الى يقطين بن موسى ومحمد بن عبد الرحمان وصيّرت الكعبة في الوسط وزاد مما يلي الكعبة الى باب الصفا تسعين ذراعاً ؛ ومن الكعبة الى باب بني شيبة ستين ذراعاً ، وصير ذرعه مكسراً مائة الف ذراع وعشرين الف ذراع ، وطول المسجد من باب بني جمح الى باب بني هاشم الى عند العلم الأخضر اربعمائة ذراع واربع اذرع ، وفيه من الأساطين مما حمل في البحر من مصر اربعمائة واربع وثمانون أسطوانة ، طول كل اسطوانة عشر أذرع ، وصير فيه اربعمائة طاق وثمانية وتسعين طاقاً ، وجعل في المسجد الأبواب ثلاثة وعشرين باباً ، فكان المهدي آخر من زاد في المسجد الحرام ، وبنى العلمين اللذين يسعى بينهما وبين الصفا والمروة ، وبينهما من الذرع مائة واثنتا عشرة ذراعاً ؛ فصار بين الصفا والمروة لما أخرج المسجد الى الموضع الذي هو فيه الساعة سبعمائة واربع وخمسون ذراعاً ؛ ووسع المسجد الذي لرسول الله (ص) وزاد فيه مثل ما كان عليه ؛ وحمل اليه عمل الرخام والفسيفساء والذهب ؛ ورفع سقفه وألبس خارج القبر الرخام .

وبنى الثغر المعروف بالحدث سنة ١٦٣ وكان فيه دفع للعدو وتسديد ، وذلك ان الروم أغاروا على مرعش فسبوا وقتلوا خلقاً فلما بنى المهدى الحدث عظم ارتفاق اهل الثغور به ، وأغزى هارون ابنه في هذه السنة ومعه جماعة من القواد والجند وخرج يشيعه الى جيحان ففتح هارون في تلك الغزاة سمالو وعدة حصون ؛ ثم أغزاه سنة ١٦٤ الى القسطنطينية فطلب منه الروم الصلح فصالحهم وانصرف .

وعزل عقبة بن سلم الهنائي عن اليمامة والبحرين لما بلغه من قتله ما قتل من ربيعة وقال لا يراني الله ابوء باثمه ولا أرضى فعله ، فلما قدم عقبة بن سلم لقيه الحسن بن قحطبة وقال له يا عقبة أدخلت نفسك النار فقال ما أنصفتني يا أبا الحسن أدخلت نفسي النار لأنفي عنك العار ، وقدم غلام من أهل اليمامة من ربيعة كان عقبة بن سلم قتل أباه

وعمه وخالين له وخمسة أخوة فوقف له على باب المهدي فلما جاز عقبة في موكبه ضربه بسكين مسمومة فقتله وأخذ الغلام الى المهدي فسأله عن قصته فقصها عليه فاراد تخليته فتكلم القواد وقالوا والله ما فيه درك من عقبة ولكنه إن ترك وثب كل يوم كلب من الكلاب على قائد فقتله ، فأمر المهدي بضرب عنقه .

واضطربت خراسان وتحركت السغد وفرغانة وخرج يوسف البرم وهو رجل من موالي ثقيف ببخارا يدعو الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاتبعه على ذلك خلق من الناس فحارب السلطان ، وخرج أحمد بن أسد الى فرغانة ففتح حتى وصل الى كاسان وهي المدينة التي ينزلها الملك وكان يزيد بن مزيد الشيباني يحارب يحيى الشاري فكتب اليه المهدي أن ينكفئ فيمن معه الى يوسف البرم فلقيه فكانت بينهما وقعات عدة ثم هزمه يزيد فرفع علماً احمر وآمن من يصير تحته فصار أصحاب يوسف كلهم تحته وأسر يوسف فحمله الى المهدى فلما دخل اليه كلمه بكلام غليظ فشتمه المهدى فقال لبئس ما أدبك أهلك فضرب عنقه وصلبه .

فكتب الى عمر بن العلاء وكان بطبرستان أن يصير الى جرجان فيخرج من بها من المحمرة (١) بعد أن يدعوهم الى الطاعة فصار الى جرجان ففرق جمع المحمرة وقتل عبد القاهر وفض الجمع .

ووجه المهدى رسلاً الى الملوك يدعوهم الى الطاعة فدخل اكثرهم في طاعته فكان منهم ملك كابل شاه يقال له ﴿ حنحل ﴾ وملك طبرستان ﴿ الاصبهبد ﴾ وملك السغد ﴿ الاخشيد ﴾ وملك طخارستان ﴿ شروين ﴾ وملك باميان ﴿ الشير ﴾

---

(١) المحمرة على صيغة اسم الفاعل مشددة فرقة من الخرمية وهم يخالفون المبيضة والمسودة واحدهم محمر . وفي التهذيب ويقال للذين يحمرون راياتهم خلاف زى المسودة من بني هاشم (المحمرة) كما يقال للحرورية (المبيضة) لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء ، قاله الزبيدى في التاج بمادة (حمر) . (م ص)

وملك فرغانة ﴿ ورران ﴾ وملك أسروشنة ﴿ أفشين ﴾ وملك الخرلخية [جيغويه] وملك سجستان ﴿ رتبيل ﴾ وملك الترك ﴿ طرخان ﴾ وملك التبت [جهورن] وملك السند ﴿ الراى ﴾ وملك الصين ﴿ بغبور ﴾ وملك الهند ﴿ واراح ﴾ وهو فور ، وملك التغزغز ﴿ خاقان ﴾ .

واستعمل المهدي روح بن حاتم المهلبي على السند فقدمها والزط قد تحركوا بها فلم يقم إلا يسيراً حتى عزل وولي نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ؛ ثم ضمت السند الى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي ، واستعمل عليها عبد الملك بن شهاب المسمعي فولي أقل من عشرين يوماً وردت السند الى نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ؛ ثم استمهل المهدي الزبير بن العباس من ولد قثم بن العباس بن عبد المطلب ولم يبلغ البلد فاستعمل المهدي (مصحح) «١» بن عمرو التغلبي وكانت العصبية بالسند أول ما وقعت فاستعمل ليث بن طريف مولاه فقدم المنصورة فاقام بها شهراً والزط قد كثروا فجرد عليهم السيف فافناهم .

وشخص المهدي الى البصرة سنة ١٦٥ يريد الحج فخبر بقلة الماء في الطريق فاقام وبلغه أن أمر السند قد اضطرب فوجه الى الليث بجيش من البصرة وسار راجعاً الى بغداد وخرج يريد الشام وعسكر بالبردان فأتاه الخبر بوفاة عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس فانصرف الى بغداد حتى حضر جنازته ومشى فيها ثم رجع الى معسكره وخرج حتى صار الى الثغر ثم صار الى بيت المقدس فاقام أياماً وانصرف فلما صار بجند قنسرين لقيته تنوخ بالهدايا وقالوا نحن أخوالك يا أمير المؤمنين فقال من هؤلاء قيل تنوخ حتى تنتمي الى قضاعة ووصف له حالهم وكثرة عددهم ، وقيل له إنهم كلهم نصارى فقال لا أرضاكم ﴿ انتم (٢) الى خؤولتي ﴾ وارتد منهم رجل فضرب عنقه

«١» كذا فى الأصل وسماه ابن الأثير في الكامل فىحوادث سنة ١٥٩ و١٦٠ و ١٦١ (بسطام بن عمرو التغلبي) (٢) لعل الصحيح (أن تنتموا) الى خؤولتي

فخافوا فثبتوا على الاسلام .

وتوفي عيسى بن موسى سنة ١٦٧ فولى المهدى ابنه موسى بن عيسى الكوفة وما كان الى ابيه من الأعمال ، وتوفي يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى وكان عامل ابي جعفر على اليمن فاستعمل المهدى مكانه رجاء بن سلام بن روح بن زنباع الجذامي ثم ولي علي بن سليمان بن علي وهو الذى كتب اليه في اشخاص الغطريف بن عطاء اخي الخيزران أم موسى وهارون ابنيه ، وكان الغطريف غلاماً لرجل من أهل جُرَش فاعتقه وكان يواحر نفسه بنطر كروم فبعث الى عامله على جرش في حمله فوجده في كرم عليه جبة صوف فكساه وحباه وحمله الى المهدى فرفع منزله ، ثم صرف علي وولي عبد الله بن سليمان ؛ ثم صرفه وولى منصور بن يزيد بن منصور الحميرى ، ثم صرفه وولى عبدالله بن سليمان بن علي ؛ وصرفه وولى سليمان بن يزيد الحارثي ثم عبدالله بن محمد بن ابراهيم الزينبي ، وهو ابن بنت سليمان ؛ ثم ابراهيم بن سليمان العبدى ، ثم الغطريف ابن عطاء خال موسى وهارون ، ثم الربيع بن عبد الله الحارثي .

وأمر المهدى بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الأجرة ، وجعل سعيد الحرشي بذلك فكان أول ما جبيت اسواق بغداد ، فكان المهدى ، فيقال إنه قام اليه رجل فقال عندى نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن نصيحتك هذه لنا ام لعامة المؤمنين أم لنفسك ، قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعي أعظم عورة ولا أفحش لوماً من قابل سعايته ولن تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفي غيظك او عدواً فلا نعاقب لك عدوك ، ثم أقبل على الناس فقال : لا أعلم ما تنصح لنا متنصح إلا بما لله فيه رضى وللمسلمين صلاح ؛ فانما لنا الأبدان وليس لنا القلوب من استتر عنا لم نكشفه ومن أبدانا طلبنا توبته ؛ ومن أخطأ علينا أقلناه عثرته ، إني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع العاجلة ، والقلوب لا تبقى لوال لا يعطف إذا استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا

استرحم ، من قلت رحمته واشتدت سطوته ، وجب مقته وكثر مبغضوه .

وكان المهدي قد ألحّ في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل خلقاً كثيراً فبلغه أن صالح بن ابي عبيد الله كاتبه زنديق فاحضره فلما صح عنده أمره استتابه فقال لا رغبة عما انا عليه ولا حاجة في غيره ، فأمر المهدي أبا عبيد الله أباه أن يقوم فيضرب عنقه فقام فاخذ السيف ثم دنا من ابنه فلما رفعه رجع فقال يا أمير المؤمنين إني قمت سامعاً مطيعاً وإنه أدركني ما يدرك الرجل في ولده ، فامره فجلس ، ثم أمر بضرب عنقه بين يديه ثم أملى عليه كتاباً وهو ينظر الى ابنه مقتولاً ثم قال إن كنت كرهت قتل عدو لله كافر به فابعدك الله ، فلما قام ابو عبيد الله قال بعض الجلساء ما أحسب هذا يطيب قلبه ابداً ؛ فقال كذلك والله أظنه وإنه لقريب من ابنه ، ثم كانت السخطة عليه وصير مكانه يعقوب بن داود وأتى بصالح بن عبد القدوس فاستتابه فتاب فلما خرج من عنده ذكر له قوله :

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

قال : وإنك لتقول هذا ؟ فرده فضرب عنقه ولم يستتبه .

ووثب أهل الحوف بمصر سنة ١٦٨ فخرج اليهم موسى بن مصعب فكان العامل بها فقاتلهم قتالاً شديداً وكان صاحب عله هاشم بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج السكوني فنكس العلم وانهزم ومال أهل الحوف على موسى بن مصعب فقتلوه فولى المهدي الفضل بن صالح الهاشمي فلم يرد البلد إلا بعد وفاة المهدي .

وكان الغالب على المهدي صدر خلافته معاوية بن عبد الله المعروف بابي عبيد الله مولى الأشعريين ، ثم وقف منه على خيانة وصير مكانه يعقوب بن داود ، وكان يعقوب جميل المذهب ميمون النقيبة محباً للخير كثير الفضل حسن الهدى ؛ ثم عزله وسخط عليه فحبسه فلم يزل محبوساً حتى مات المهدى وصير مكانه محمد بن الليث صاحب البلاغة ، وكان علي بن يقطين والحسن بن راشد يغلبان على اموره ؛ وكان على شرطته

نصر بن مالك ثم مات نصر فولى أخاه حمزة بن مالك ، ثم عزله وولى عبد الله بن مالك ؛ وكان على حرسه محمد بن ابراهيم ، ثم عزله واستعمل مكانه أبا العباس الطوسي ، وكان حاجبه الربيع مولاه ، وكان قضاته ابن علاثة العقيلي ، وعافية بن يزيد الأزدى ، وعلى الكوفة شريك بن عبد الله ، وعلى البصرة عبيد الله بن الحسن العنبرى ؛ وعلى المدينة عبد الله بن محمد بن عمران التيمي — وكان اول قاض قضى بها من قبل خليفة — وعلى مصر عبد الله بن لهيعة الحضرمي ، ثم استعمل ابن اليسع الكندى من أهل الكوفة ، ثم غوث بن سليمان الحضرمي من أهل مصر ، ثم المفضل بن فضالة اقتباني .

وأصاب الناس فى آخر سنة ١٦٨ ودخول سنة ١٦٩ وباء وموت كثير وظلمة وتراب أحمر كانوا يجدونه فى فرشهم وعلى وجوههم .

وخرج المهدي من بغداد لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ١٦٩ الى الجبل فنزل قرية يقال لها « الرذ » من أرض ماسبذان وخرج يتصيد فاقام سائر يومه يطرد واتبعت الكلاب ظبياً وأمعن فى الطلب واقتحم الظبي باب خربة ومرت الكلاب واقتحم به الفرس فى أثره فصدمه باب الخربة وحمل الى مضاربه فتوفي لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ وهو ابن ثمان وأربعين « وحكي » أنه أصبح ذات يوم فقال لعلي بن يقطين والجماعة جلسائه « أصبحت اليوم جائعاً » فاتي بخبز ولحم بارد فأكل وأكل القوم معه ؛ ثم قال إني داخل هذا البهو فنائم فيه فلا تنبهوني حتى أنتبه فدخل فنام ونام القوم فى الرواق فما راعهم إلا بكاؤه فتبادروا اليه وسألوه عن حاله فقال أرأيتم ما رأيت ؟ قالوا ما رأينا شيئاً قال : رأيت شيخاً لو رأيته بين مائة الف لعرفته وهو آخذ بعضادة البهو وهو يقول :

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * وملك الى قبر علته جنادله

فلم يبق إلا ذكره وحــديثه * تنادي عليه معولات حلائله

فلم يلبث بعد ذلك إلا عشرة أيام حتى توفي ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً ، وصلى عليه ابنه علي بن ريطة ، ودفن بالرذ ، وخلف من الولد الذكور ثمانية : موسى ، وهارون ، وعلي ، وعبيد الله ، واسحاق ، ويعقوب وابراهيم ، ومنصور .

وأقام الحج للناس فى أيامه ، سنة ١٥٩ يزيد بن منصور الحميري ، سنة ١٦٠ المهدي وأمر بالتوسعة فى المسجد الحرام ومسجد رسول الله [ص] سنة ١٦١ موسى بن المهدى ، سنة ١٦٢ ابراهيم بن جعفر بن ابي جعفر ، سنة ١٦٣ علي بن المهدي وأمه ريطة بنت ابي العباس ، سنة ١٦٤ خرج المهدي يريد الحج فسار من الكوفة أربع مراحل ومعه خلق عظيم فعطش الناس وبلغه قلة الماء فى الطريق فرجع من العقبة وحج بالناس صالح بن ابي جعفر ، سنة ١٦٥ صالح بن ابي جعفر ، سنة ١٦٦ محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، ١٦٧ ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، سنة ١٦٨ علي بن المهدي .

وغزا بالناس في أيامه ، سنة ١٥٩ جاءت الروم الى سميساط فسبوا خلقاً كثيراً فوجه اليهم صغيراً مولاه فاستنقذ المسلمين ، وغزا بالناس العباس بن محمد فبلغ أنقرة ، سنة ١٦٠ غزا ثمامة بن الوليد العبسي ، سنة ١٦١ غزا عيسى بن علي ولقيه جيش الروم فحاصروه ، سنة ١٦٢ الحسن بن قحطبة الطائي ؛ سنة ١٦٣ هارون ابن المهدي ففتح سمالو ؛ سنة ١٦٤ هارون ايضاً فبلغ خليج القسطنطينية ، سنة ١٦٦ ثمامة بن الوليد ، ١٦٧ الفضل بن صالح ، سنة ١٦٨ محمد بن ابراهيم .

وكان الفقهاء في أيامه ، محمد بن عبد الرحمان بن ابي ذئب ؛ ابراهيم بن محمد ابن ابى الحسن ، سعيد بن عبد العزيز الجمحي ، عبد العزيز بن ابى حازم ، عبد الحميد المدني ؛ يونس بن ابى اسحاق السبيعي ، الحجاج بن ارطاة النخعي ؛ سفيان بن

سعيد الثوري ، شريك بن عبد الله النخعي ، يحي بن سلمة بن كهيل ، سلمة الأحمر ابراهيم بن سعد الزهري ، ابو مخنف لوط بن يحي ؛ سفيان بن الحسن الحماني جعفر بن عتاب ، يحي بن ابي زائدة ، علي بن مسهر ، محمد بن مروان السدي ، زياد ابن الطفيل ، عبد الرحمان بن مالك ، مالك بن الفضيل ، ابو محمد بن (.....) محمد بن جابر اليمامي ، ابو الأشهب جعفر بن حيان العطاردي ، سلمة بن علقمة ، سعيد ابن اياس ؛ خالد بن دينار ، جرير بن حازم الأزدي ، شعبة بن الحجاج ، حماد ابن سلمة ، مهدي بن ميمون ؛ موسى بن علي بن رباح ؛ عبد الله بن لهيعة ، جعفر ابن الغطريف ، بقية بن الوليد الحمصي ، عبد السلام بن عبد الملك الدمشقي .

أيام موسى بن المهدي

وبويع لموسى الهادى بن محمد المهدي — وأمه أم ولد يقال لها الخيزرانة — بماسبذان وكان غائباً بجرجان وأخذ له أخوه هارون البيعة وكتب اليه بالخبر فوافاه الرسول وهو نصير الوصيف بعد وفاة ابيه بثمانية أيام ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبع عشرة درجة ، والقمر في الأسد اثنتين وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، وزحل في الدلو درجة وأربعين دقيقة راجعاً ، والمشترى في العقرب أربع عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والمريخ في السرطان ثماني وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والزهرة فى السنبلة ثماني درجات وثلاثين دقيقة ، وعطارد فى السنبلة تسع درجات وخمسين دقيقة والرأس في الميزان تسعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة .

وارتحل من جرجان بعد ثلاثة أيام الى العراق فنزل بعيسا اباذ ، وكان المهدى بنى هذا الموضع فاستتمه موسى ، وكان به منزله ، وولى الغطريف بن عطاء خاله خراسان وأعمالها فقدم خراسان وكانت هادئة الأمور ساكنة والملوك في الطاعة فظهرت منه أمور قبيحة وضعف شديد فاضطربت البلاد وتحرك جماعة من الطالبيين وصاروا الى ملوك النواحي فقبلوهم ووعدوهم بالنصر والمعونة ؛ وذلك إن موسى ألح

في طلب الطالبيين وأخافهم خوفاً شديداً وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطية ، وكتب الى الآفاق في طلبهم وحملهم فلما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم عزم الشيعة وغيرهم الى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي — وكان له مذهب جميل وكمال مجد — وقالوا له أنت رجل أهل بيتك وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه ، فقال إني وأهل بيتي لا نجد ناصرين فننتصر ، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم فقال لهم إن الشعار بيننا أن ينادي رجل ﴿ من رأى الجمل الأحمر ﴾ فما وافاه إلا أقل من خمسمائة ، وكان ذلك في سنة ١٦٩ بعد انقضاء الموسم فلقيه سليمان بن ابي جعفر ، والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى بفخ فانهزم من كان معه وافترقوا وقتل الحسين بن علي وجماعة من أهله ، وهرب خاله إدريس بن عبد الله بن الحسن الحسن بن علي فصار الى المغرب فغلب على ناحية تتاخم الأندلس يقال لها ﴿ فاس ﴾ فاجتمعت عليه كلمة أهلها ﴿ فذكر ﴾ أهل المغرب أن موسى (١) وجه اليه من اغتاله بسم في مسواك فمات وصار إدريس بن أدريس مكانه وولده بها الى هذه الغاية يتوارثون تلك المملكة .

فاضطربت اليمن على الربيع بن عبد الله الحارثي مولى موسى فاستعمل الحصين بن كثير العبدي ثم صرفه واستعمل مكانه أيوب بن جعفر الهاشمي ، ثم رد الربيع بن عبد الله الحارثي على البلد خلا صنعاء ، فلم تزل البلاد مضطربة أيام موسى كلها .

وقدم الفضل بن صالح مصر فلم يهج أحداً من أهل الحوف الذين قتلوا موسى بن مصعب عامل المهدي ، فسكنهم وكف عن طلبهم فلم يقم إلا يسيراً حتى خرج درة ابن الأصبغ بن عبد العزيز بناحية ﴿ أهناس ﴾ من قرى صعيد مصر في خلق عظيم فقطع الطريق وأخاف السبيل ، ثم تغلب فجبى الخراج فوجه الفضل بن صالح

(١) الصحيح أن الذي اغتال الامام إدريس (ع) هو هارون الملقب بالرشيد .
(عن هامش الأصل)

بقائد يعرف بسفيان ورجل من أهل الفيوم يعرف بعبد الله بن علي المرادي فلقيا دحية بموضع يقال له ﴿ صحراء بويط ﴾ وناوشاه الحرب فانهزم دحية فدخل [قرموسا] وهو الأتون الذي يعمل فيه الفخار فاخذاه أسيراً وأتيا به الفضل فضرب عنقه وصلبه وبعث برأسه الى موسى .

وشجرت بين موسى وبين أخيه الوحشة فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر ولي العهد ودعا القواد الى ذلك فتوقف عامتهم وأشاروا عليه أن لا يفعل وسارع بعضهم وقووا عزيمته في ذلك وأعلموه أن الملك لا يصلح إن صار الى هارون ، فكان ممن سعى في خلعه ابو هريرة محمد بن فروخ الأزدي القائد من الأزد ، وقد كان موسى وجه به في جيش كثير يستنفر من بالجزيرة والشام ومصر والمغرب ويدعو الناس الى خلع هارون فمن أبى جرد فيهم السيف ؛ فسار حتى صار الى الرقة فاتاه الخبر بوفاة موسى وأخذ موسى يحيي بن برمك فحبسه وأشرف عليه بالقتل عدة مرار ﴿ فحدثني ﴾ بعض المشايخ عن يحيي بن خالد قال حبسني موسى بسبب الرشيد وتربيتي إياه وكاني معه ، وكان الرشيد دفع الينا مولوداً في الخرق فغذته ثدي نسائنا وربي في حجورنا فقال بلغني أنك ترضى هارون للخلافة ونفسك للوزارة والله لآتين على نفسه ونفسك قبل ذلك ، وحبسني في بيت ضيق لا أقدر أن امد رجلي فيه فأقمت اياماً فانا ليلة في حبسي على تلك الحال إذ بالأبواب تفتح فقلت تذكرني فأراد قتلي وسمعت كلام الخدم فارتعت لذلك ففتح علي الباب وأنا أتشهد فقيل لي هذه السيدة يعنون (الخيزران) فخرجت فاذا بها واقفة على الباب فقالت إن هذا الرجل قد خفت منذ الليلة وأحسبه قد قضى فتعال انظره فازداد جزعي وطمتي ، وقالت كما أقول فجئت فوجدته محول الوجه الى الحائط وقد قضى ، فمضيت الى هارون حتى أخرجته من الموضع الذي كان فيه محبوساً فأصبح القواد فبايعوا وأصبحت أدبر الملك .

وكان الغالب على موسى الفضل بن الربيع . وعلى شرطه عبد الله بن خازم التميمي

ثم عزله وولى عبد الله بن مالك الخزاعي ، وعلى حرسه علي بن عيسى بن ماهان وحاجبه الفضل بن الربيع ، وكانت خلافته اربعة عشر شهراً ؛ وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ وهو ابن ست وعشرين سنة ، وصلى عليه أخوه هارون ودفن بعيسا باذ ، وكان له من الولد الذكور سبعة : جعفر . واسماعيل وعبد الله . وسليمان . وعيسى . وموسى الأعمى . وولد له بعده العباس . وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٦٩ سليمان بن ابي جعفر .

أيام هارون الرشيد

وولي هارون الرشيد بن محمد المهدي — وأمه الخيزران — في اليوم الذي توفي فيه أخوه موسى وهو لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ ، ومن شهور العجم فى أيلول ، وكانت الشمس يومئذ فى السنبلة عشرين درجة ، والقمر فى الحوت خمساً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل فى الدلو إحدى عشرة درجة راجعاً والمشتري فى القوس سبع عشرة درجة ؛ والمريخ فى القوس ثماني وعشرين درجة وعشر دقائق والزهرة في السنبلة خمس درجات واربعين دقيقة ، والرأس في الميزان ثماني درجات وست دقائق ؛ وولد المأمون في الليلة التي استخلف فيها الرشيد فبشر به فلذلك سماه المامون ؛ وولد محمد بن هارون بعده بستة أشهر ، ووجه موسى بن عيسى في الليلة التي ولي فيها ليقيم الحج للناس ثم بدا له في الخروج فخرج هو فلحقه في الطريق فأقام الحج وأعطى أهل مكة والمدينة عطايا كثيرة وفرق فيهم أموالاً ثم انصرف فصار الى قبر المهدي بماسبذان فتصدق عنه باموال عظيمة وجعلها رسماً في كل سنة .

وولى الفضل بن يحيى خراسان فشخص اليها وقد خالف أهل الطالقان فافتتح الطالقان وزحف صاحب الترك في خلق عظيم ولقي عسكر الفضل والتحمت بينهما الحرب فضرب وجه صاحب الترك واستنام (١) واستباح الفضل عسكره وغنم

(١) كتب في الهامش عن نسخة (استأسر) بدل (استنام) [م ص]

أمواله وفيه يقول الشاعر :

للفضل يوم الطالقان وقبله * يوم أناخ به على خاقان
ما مثل يوميه اللذين تواليا * في غزوتين تواليا يومان

وكان الامام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن قد هرب الى خراسان ودخل أرض الديلم فكتب هارون الى صاحب الديلم يطلبه منه ويتهدده فطلبه فلما رأى يحيى ذلك طلب الأمان من الفضل فآمنه وحمله الى الرشيد فحبسه فلم يزل محبوساً حتى مات ﴿ وقيل ﴾ إن الموكل به منعه من الطعام أياماً فمات جوعاً ﴿ وخبرني ﴾ رجل من موالي بني هاشم قال كنت محبوساً في الدار التي فيها يحيى بن عبد الله فكنت الى جانب البيت الذي هو فيه فربما كلمني من خلف حائط قصير فقال لي يوماً إني قد منعت الطعام والشراب منذ تسعة أيام فلما كان اليوم العاشر دخل الخادم الموكل به ففتش البيت ثم نزع ثيابه ثم حل سراويله فاذا بانبوبة قصب قد شدها في باطن فخذه فيها سمن بقر كان يلحس منه الشيء بعد الشيء يقيم به رمقه فلما أخذها لم يزل يفحص برجله حتى مات ﴿ فحدثني ﴾ ابو جميل قال : خرجت الى البصرة في أيام المأمون فركب معنا في السفينة خادم فكان يخبرنا انه من خدم الرشيد ثم حدثنا بحديث يحيى ابن عبد الله وأنه الذي تولى قتله بمثل ما تقدم ذكره فلما كان في الليل قام اليه رجل كان في السفينة فدفعه في الماء والسفينة تسير فغرقه .

وبايع هارون لابنه محمد بالعهد من بعده سنة ١٧٥ ومحمد ابن خمس سنين وأعطى الناس على ذلك عطايا جمة ، وأخرج محمداً الى القواد فوقف على وسادة فحمد الله وصلى على نبيه ، وقام عبد الصمد بن علي فقال ﴿ أيها الناس لا يغرنكم صغر السن فانها الشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ وجعل الرجل من بني هاشم يقول في ذلك حتى انقضى المجلس ونثرت عليهم الدراهم والدنانير وفأر المسك وبيض العنبر .

واستعمل هارون على السند سالماً اليونسي مولى اسماعيل بن علي مكان الليث

مولى أمير المؤمنين فاحسن السيرة ولم يلبث أن ولي اسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي وقدم البلد وكان عفيفاً ثم عزله وولى طيفور بن عبد الله بن منصور الحميري فهاجت بين اليمانية والنزارية حرب فوجه جابر بن الأشعث الطائي على غربي النهر ومكران ، ثم ولى سعيد بن سلم بن قتيبة فوجه أخاه كثير بن سلم فأساء السيرة وكان مذموماً ، وصير الرشيد السند الى عيسى بن جعفر بن المنصور فبعث اليها محمد بن عدي الثعلبي فلما قدم بدأ بالعصبية والتحامل وضرب القبائل بعضها ببعض وخرج من المنصورة يريد الملتان فلقيه أهلها فقاتلوه فهزموه ونهبوا ما معه من السلاح ومر منهزماً لا يلوي على شيء حتى صار الى المنصورة والتحمت العصبية بين اليمانية والنزارية واتصلت فولى الرشيد عبد الرحمن « . . . (١) . . . » ثم ولى ايوب بن جعفر بن سليمان ، ثم ولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٨٤ فوجه اليها أخاه المغيرة فرفعت النزارية رؤوسهم وعزموا على أن يقسموا البلاد ارباعاً ربعاً لقريش وربعاً لقيس وربعاً لربيعة (٢) ويخرجوا اليمانية ، ولما قدم المغيرة أغلق اهل المنصورة الأبواب ومنعوه الدخول إلا أن يعاهدهم أن لا يستعمل فيهم العصبية أو يخرجوا جميعاً عن المدينة ويدخلها وخرج من به رمق ودخلها المغيرة فتحامل على النزارية فقاتلوه فهزموه ، وسار داود ابن يزيد لما بلغه الخبر حتى قدم البلد فجرد فيهم السيف فقتل من النزارية خلقاً عظيماً وصار الى المنصورة فاقام يقاتلهم عشرين يوماً ولم تزل الحروب بينهم عدة شهور ففتحها ثم سار الى سائر مدن السند فلم يزل يفتح ويخرب الى ان استقامت له البلاد .

وولى هارون سليمان بن ابي جعفر دمشق فوثب به أهلها بسبب القلة البلور التي كانت في محرابهم فأخرجوه وانتهبوا كلما كان معه ، وخرج رجل من بني مرة يقال له

(١) بياض في الأصل وفيه سقط ولعله ، عبد الرحمان ﴿ بن عبد الملك بن صالح الهاشمي ﴾ .

(١) كذا في الأصل ، فانه ذكر ثلاثة ارباع ولم يذكر الرابع . (م ص)

عامر بن عمارة ويكنى أبا الهيذام بحوران من ارض دمشق فقتل اليمانية وذلك فى سنة ١٧٦ فوجه اليهم الرشيد السندي وجماعة من القواد فقتل ابو الهيذام وفرق جمعه ، وخرج هارون يريد الشام فلما بلغه قتل ابي الهيذام مضى الى الثغر فاغزى هرثمة بن اعين من بلاد الروم وأمر ببناء طرسوس فى سنة ١٧١ فاحكم بناءها وجعل لها خمسة ابواب وحولها سبعة وثمانين برجاً ولها نهر عظيم يشق في وسطها عليه القناطر المعقودة ، وكان ابتداء بنائها على يد ابي سليمان مولاه ثم انصرف الى العراق يريد الحج واستخلف على الشامات والجزيرة جعفر بن يحيي بن خالد فظهرت العصبية بحمص فصعد جعفر بن يحيي منبرها فخطب وحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وقال ﴿ يا أهل الشام أحذركم عواقب البطر ووبال ما لا يشكر من النعم وملمة كل خطب يدفع الى ندم فان السعيد من سعد بغيره والشقي من شقي بنفسه واتعظ به غيره والمغبون من غبن عقله والمفتون من فتن في دينه والمحروم من حرم حظه من ربه والخاسر من باع آخرته بدنياه وآجله بعاجله وإنما يخشى الله من عباده العلماء ولم يعط الله من عباده إلا اولي النهاء ﴾ في كلام كثير

وخرج الوليد بن طريف الحروري بالجزيرة سنة ١٧٩ وكان عبد الملك بن صالح يتولاها ويتولى بعض الشام فحصره الوليد بالرقة فوجه الرشيد موسى بن خازم التميمي في جيش فهزمه الوليد فوجه بمعمر بن عيسى العبدي فكانت بينهما وقائع ثم مات معمر وهو في محاربته فتوجه اليه يزيد بن مزيد الشيباني فواقعه يوماً واحداً ثم قال له في اليوم الثاني ابرز يا وليد ولا يقتل الناس بيني وبينك فبرز له فقتله يزيد واحتز رأسه وبعث به الى الرشيد وتفرق أصحابه ، ثم اجتمعت طائفة منهم مع رجل يقال له خراشة فمالوا نحو الجزيرة مما يلي ديار ربيعة .

ولم يزل يزيد بن حاتم المهلبي على افريقية منذ أيام المنصور الى أيام الرشيد ثم توفي واستخلف على افريقية ابنه داود بن يزيد بن حاتم فلم يقم فيهم بالعدل وقاتلوه فهزموه فولى الرشيد روح بن حاتم المهلبي فقدم البلد فسكنهم ثم مات فولى الرشيد نصر بن

حبيب المهلبي ثم عزله ، وولى الفضل بن روح فثار عليه عبد الله بن الجارود واجتمع معه أهل المغرب فحاربوه فقاتلوه وقتلوا عساكره وظفروا به فحبسوه واصحابه ، وغلب على البلد عبد الله بن الجارود فطلب الأمان وسأل أن يقضى له حوائج سماها فاجابوه الى كل ما سأل وانصرفوا الى الرشيد بخبره ، ووجه الرشيد هرثمة بن أعين الى الشام ومصر والمغرب يتقراها ويصلحها فلم يزل يمر ببلد بلد فيصلح ما يريد إصلاحه حتى صار الى مصر فى سنة ١٧٩ وقد كانوا وثبوا على عاملهم وصار هرثمة الى المغرب فلما بلغ طرابلس من أرض المغرب أعطى جندها أرزاقهم الفائتة وآمنهم جميعاً حتى قدم القيروان سنة ١٧٩ فآمن الناس وسكنهم وخرج عليه قوم فى ناحية من النواحي فوجه اليهم جيشاً ففرقهم وأقام هرثمة حتى أصلحها ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى استقامت أحوالها وحمل من رأى حمله منها ثم انصرف ، وولى الرشيد افريقية محمد بن مقاتل العكي فثار عليه تمام بن تميم التميمي حتى حصره فى القيروان ثم فتح أهل القيروان « الباب » لتمام فدخل المدينة وطلب محمد بن مقاتل الأمان فآمنه ، وخرج ابن مقاتل الى العراق وتغلب تمام على البلد ، ثم ثار عليه أهل خراسان وأهل الشأم فحاربوه فانهزم منهم ، وقدم ابراهيم بن الأغلب فولاه أهل المغرب عليهم فضبط عليهم ، وبلغ الرشيد ذلك فكتب اليه بعهده على افريقية وبعث اليه بالعهد مع يحيي بن موسى الكندي ؛ وكان ابراهيم ابن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أخرجوا من مصر الى افريقية ، وكان يتولى شرطة صاحب افريقية .فلما توفي ابن مقاتل واستخلف ابراهيم على البلد وضبطه وحسنت طاعة أهله وكان يحمل الى صاحب افريقية من مصر في كل سنة ستمأئة دينار فكتب ابراهيم ابن الأغلب الى الرشيد يعلمه أنه يقوم بالبلد بغير مال فولاه اياه فدام أمره وأمر ولده الى هذه الغاية .

وكان الرشيد ولى اليمن العباس بن سعيد مولاه فضج منه أهل اليمن وحكي عنه مذاهب قبيحة فصرفه الرشيد وولّى مكانه ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الامام ، ثم

صرفه وولى عبد الله بن مصعب الزبيري ؛ ثم صرفه وولى احمد بن اسماعيل بن علي مكانه ، ثم صرفه وولى حماداً البربري مولاه. فجار على اهل اليمن وغلظ عليهم ؛ ووثب الهيصم بن عبد المجيد الهمداني باليمن سنة ١٧٩ وغلب عليها فكان معقله بجبل يقال له ﴿ مِسور ﴾ وكان معه عمر بن ابي خالد الحميري مقيماً بعشتان (١) وكان معه الصباح بناحية يقال لها ﴿ حَراز ﴾ فلقوا حماداً البربري فكانت بينهما وقائع قتل فيها نيف وعشرون الفاً من الناس وأسر حماد عمر بن ابي خالد فوجه به الى الرشيد واتصلت الحرب بينه وبين هيصم تسع سنين ثم صار الى حماد رجل من أهل البلد فاعلمه أن الهيصم قد نزل من قلعته وصار الى قرية من القرى متنكراً يتجسس الأخبار فوجه معه الى تلك القريه بقائد يقال له ﴿ حراد ﴾ فأخذ الهيصم فقال الهيصم والله إن القتل لشيء ما أنكره وما خلقت الرجال إلا الموت والقتل ، فحمله حماد على جمل وأدخله الى صنعاء ثم وجه به الى الرشيد فانشده فى شعر طويل :

فشفاء ما لا تشتهيـ * ـه النفس تعجيل الفراق

فدعا بالهيصم فامر بضرب عنقه وانحرف حماد البربري الى صبّاح فتضرع صباح الى الأمان فاعطاه الأمان ﴿ وقيل ﴾ لم يعطه إياه ولكنه أسره ووجه به الى الرشيد مع سمائة رجل من أصحاب الهيصم فضرب أعناقهم جميعاً وصلب الهيصم وصباحاً معاً ، وأقام حماد البربري على اليمن ثلاث عشرة سنة وسام أهلها سوء العذاب حتى صاح قوم منهم بالرشيد وهو بمكة نحن نعوذ بالله وبك يا أمير المؤمنين اعزل عنا حماداً البربري إن كنت تقدر ، فقال لا ولا كرامة ، وكان حماد عبداً لهارون فاعتقه في أول خلافته ، ثم عزل الرشيد حماداً واستعمل مكانه عبد الله بن مالك فلم يزل فى البلد محمود السيرة جميل المذهب حتى توفي هارون .

* *
*

(١) عشتان بلدة من أرض صعدة . (مراصد الاطلاع)

وفاة موسى بن جعفر عليه السلام

وتوفي موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام — وأمه أم ولد يقال لها حمدة — (١) سنة ١٨٣ وسنه ثمان وخمسون سنة ، وكان ببغداد في حبس الرشيد ، قتله السندي بن شاهك فاحضر مسروراً الخادم واحضر القواد والكتاب والهاشميين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيين ثم كشف عن وجهه فقال لهم أتعرفون هذا ؟ قالوا نعرفه حق معرفته هذا موسى بن جعفر فقال هارون أترون أن به أثراً وما يدل على اغتيال ؟ قالوا لا ، ثم غسل وكفن وأخرج ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي ، وكان موسى بن جعفر عليه السلام من أشد الناس عبادة ، وكان قد روى عن أبيه ❊ قال ❊ الحسن بن أسد سمعت موسى ابن جعفر يقول : ما أهان الدنيا قوم قط إلا هنأهم الله إياها وبارك لهم فيها ، وما أعزها قوم قط إلا بغضهم الله إياها ❊ وقال ❊ إن قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً فهم الآمنون يوم القيامة إن كنت لأرى فلاناً منهم ❊ وذكر ❊ عنده بعض الجبابرة ❊ فقال ❊ أما والله لئن عز بالظلم في الدنيا ليذلن بالعدل في الآخرة ❊ وقيل ❊ لموسى بن جعفر وهو في الحبس لو كتبت الى فلان يكلم فيك الرشيد ❊ فقال ❊ حدثني أبي عن آبائه أن الله عز وجل أوحى الى داود يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي دوني عرفت ذلك منه إلا قطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحته ❊ وقال ❊ موسى بن جعفر حدثني أبي أن موسى ابن عمران قال يارب أي عبادك شر قال الذي يتهمني ، قال يارب وفي عبادك من يتهمك ؟ قال نعم الذي يستخيرني ثم لايرضى بقضائي .

وكان له من الولد ثمانية عشر ذكراً وثلاث وعشرون بنتاً ، فالذكور : علي الرضا ، وابراهيم ، والعباس ، والقاسم ، واسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن

(١) كذا في الأصل ، والمشهور أن اسمها (حميدة) البربرية (م ص)

وأحمد ، ومحمد ، وعبيد الله ، وحمزة ، وزيد ، وعبد الله ، واسحاق ، والحسين والفضل ، وسليمان .

وأوصى موسى بن جعفر أن لا تتزوج بناته فلم تتزوج واحدة منهن إلا أم سلمة فانها تزوجت بمصر تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد حتى حلف أنه ما كشف لها كنفا وأنه ما أراد إلا أن يحج بها .

وبايع الرشيد لابنه المأمون بعد محمد بولاية العهد في هذه السنة ، وهي سنة ١٨٣ وأخذت له البيعة على الناس كلهم حتى أهل الأسواق فكان بين البيعة للمأمون والبيعة لمحمد ثماني سنين ، وكان يبعث بالمأمون ومحمد الى الفقهاء والمحدثين فيسمعان منهم ويحضر لهما أهل الكلام والنظر ، فكان محمد بطيء الحفظ ، وكان المأمون سريع الحفظ ، وأخذ الرشيد العمال والتناء والدهاقين وأصحاب الضياع والمبتاعين للغلات والمقبلين ؛ وكان عليهم أموال مجتمعة فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سلم فطالبهم بصنوف من العذاب ، وكان سنة ١٨٤ واعتل الرشيد فى تلك السنة علة شديدة أشفى منها فدخل اليه الفضيل بن عياض فرأى الناس يعذبون فى الخراج فقال ارفعوا عنهم إني سمعت عن رسول الله ﴿ ص ﴾ يقول من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة فامر بأن يرفع العذاب عن الناس فارتفع العذاب من تلك السنة .

وأقام الرشيد بالرافقة حتى بناها وكان مقامه بها سنة ١٨٦ ، وحج في تلك السنة ومعه محمد والمأمون وجلة بني هاشم والقواد والكتاب فلم يتخلف منهم أحد له ذكر وقدر ، وقدم الرشيد المدينة فأعطى اهل المدينة ثلاثة أعطية وكسى كثيرة ثم صار الى مكة فلم يفعل مثل ذلك ، ولما صار الى مكة صعد المنبر فخطب ثم نزل فدخل البيت ودعا بمحمد والمأمون فالى على محمد كتاب الشرط على نفسه ، وكتب محمد الكتاب وأحلفه على ما فيه وأخذ عليه العهود والمواثيق وفعل بالمأمون مثله وأخذ عليه مثل ذلك .

نسخة العهد

وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله هارون امير المؤمنين كتبه محمد بن هارون في صحة من بدنه وعقله وجواز من أمره أن امير المؤمنين هارون ولاني العهد من بعده وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً ، وولى أخي عبد الله ابن امير المؤمنين العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعدي برضى مني وتسليم طائعاً غير مكره ، وولاه خراسان بثغورها وكورها واجنادها وخراجها وطرازها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها في حياته وبعد موته ، وشرطت لعبد الله أخي علي الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها وما أقطعه هارون أمير المؤمنين من قطيعة وجعل له من عقدة او ضيعة من ضياعه وعقده او ابتاع من الضياع والعقد وما أعطاه في حياته من مال او حلي أو جوهر أو متاع أو كسوة أو رقيق قليلا أو كثيراً فهو لعبد الله ابن أمير المؤمنين أخي موفراً عليه مسلماً له وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً باسمه واصنافه ومواضعه أنا وأخي عبد الله بن هارون فان اختلفنا في شيء منه فالقول فيه قول عبد الله أخي لا أنتقصه صغيراً ولا كبيراً من ماله ولا من ولايته خراسان وأعمالها ولا أعزله عن شيء منها ولا أستبدل به غيره ولا أخلعه ولا أقدم عليه فى العهد والخلافة احداً من الناس جميعاً ولا أدخل عليه مكروهاً فى نفسه ولا دمه ولا خاص ولا عام من أموره وولايته ولا أمواله ولا قطائعه ولا عقده ولا أغير عليه شيئاً بسبب من الأسباب ولا آخذ احداً من كتابه وعماله وولاة أموره ممن صحبه وأقام معه بمحاسبة في ولاية خراسان وأعمالها وغيرها مما ولاه هارون أمير المؤمنين فى حياته وصحته من الجباية والأموال والطراز والبريد والصدقات والعشر والعشور وغير ذلك من ولايتها ولا آمر بذلك احداً ولا أرخص فيه لغيري ولا أحدث نفسي فيه بشيء أمضيه عليه ولا التمس قطيعته ولا أنقص شيئاً

مما جعل له هارون امير المؤمنين وأعطاه في حياته وخلافته وسلطانه من جميع ما سميت في كتابي هذا وأخذ له علي وعلى جميع الناس البيعة ولا أرخص لأحد من الناس كلهم في خلعه ولا مخالفته ولا أسمع من أحد من البرية في ذلك قولاً ولا أرضى به في سر ولا علانية ولا أغمض عليه ولا أتغافل عنه ولا أقبل من بر من العباد ولا فاجر ولا صادق ولا كاذب ولا ناصح ولا غاش ولا قريب ولا بعيد ولا أحد من ولد آدم ذكراً وأنثى مشورة ولا حيلة ولا مكيدة في شيء من الأمور سرها وعلانيتها وحقها وباطلها وباطنها وظاهرها ولا سبب من الأسباب أريد بذلك إفساد شيء مما أعطيت عبد الله بن هارون امير المؤمنين من نفسي وشرطت في كتابي هـذا علي وأوجبت على نفسي وشرطت وسميت وإن أراد أحد من الناس شراً أومكروهاً أوخلعاً أو محاربة أو الوصول الى نفسه ودمه أو حرمه أو ماله أو سلطانه أو ولايته جميعاً أو فرادى أو مسرين ذلك أومظهرين له أن أنصره وأحوطه وأدفع عنه كما أدفع عن نفسي ومهجتي ودمي وشعري وبشري وحرمي وسلطاني وأجهز الجنود اليه وأعينه على كل من أعنته وخالفه ويكون أمري وأمره في ذلك واحداً ابداً ما كنت حياً ولا أخذله ولا أسلمه ولا أتخلى عنه ، وإن حدث بهارون حدث الموت وأنا وعبد الله بحضرة امير المؤمنين أو أحدنا أو كنا غائبين عنه مجتمعين كنا أو مفترقين وليس عبد الله بن هارون في ولايته بخراسان فعلي لعبد الله بن هارون امير المؤمنين أن أمضيه الى خراسان وأسلم له ولايتها واعمالها كلها وجنودها ولا أعوقه عنها ولا أحبسه قبلي ولا في شيء من البلدان دون خراسان وأعجل إشخاصه اليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها مفرداً بها مفوضاً اليه اعمالها كلها وأشخص معه جميع من ضم اليه امير المؤمنين من قواده وجنوده واصحابه وكتابه ومواليه وخدمه ومن تبعه من صنوف الناس بأموالهم واهليهم ولا أحبس عنه احداً منهم ولا أشرك معه في شيء منها احداً ولا أبعث اليه أميناً ولا كاتباً ولا بنداراً ولا أضرب على يديه في قليل ولا كثير ، وأعطيت امير المؤمنين هارون وعبد الله بن هارون

على ما شرطت لهما على نفسي من جميع ما سميت وكتبت في كتابي هذا عهد الله وميثاقه وذمة امير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ونهى عن نقضها وتبديلها ، فان أنا نقضت شيئاً مما شرطت لهارون ولعبد الله بن هارون امير المؤمنين او بدلت أو حدثت في نفسي أن انقض شيئاً مما أنا عليه أو قبلت من احد من الناس فبرئت من الله ومن ولايته ومن دينه ومن محمد رسول الله ولقيت الله يوم القيامة كافراً به ومشركا ، وكل امرأة هي في اليوم لي أو تزوجها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج والسنة ، وعلي المشي الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة نذراً واجباً في عنقي حافياً راجلا لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك ؛ وكل مال هو لي اليوم او أملكه الى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة الحرام ، وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه الى ثلاثين سنة حر لوجه الله عز وجل ، وكلما جعلت لأمير المؤمنين ولعبد الله بن هارون امير المؤمنين وكتبته وشرطته لهما وحلفت عليه وسميت في كتابي هذا لازم لي الوفاء به ولا أضمر غيره ولا أنوي إلا اياه فان أضمرت او نويت غيره فهذه العهود والايمان المؤكدة كلها لازمة لي واجبة علي ، وقواد امير المؤمنين وجنوده وأهل الآفاق والأمصار وعوام المسلمين بُراء من بيعتي وخلافتي وعهدي وهم في حل من خلعي واخراجي من ولايتي عليهم حتى أكون سوقة من السوق وكرجل من عرض الناس ولا حق لي عليهم ولا ولاية ولا بيعة لي في اعناقهم وهم في حل من الأيمان التي أعطوني وبراء من تبعتها ووزرها في الدنيا والآخرة ﴾ . (وكتبه محمد بن هارون بخطه)

الشهود على العهد

شهد سليمان ابن أمير المؤمنين المنصور ، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن جعفر وعبيدالله بن المهدي ، وجعفر بن موسى امير المؤمنين ، واسحاق بن عيسى بن علي ، وعيسى ابن موسى امير المؤمنين ، واسحاق بن موسى امير المؤمنين ، وأحمد بن اسماعيل بن

علي ، وسليمان بن جعفر بن سليمان ، وعيسى بن صالح بن علي ، وداود بن عيسى ابن موسى ، وداود بن سليمان بن جعفر ، ويحيي بن عيسى بن موسى ، ويحيي بن خالد ، وخزيمة بن خازم ، وهرثمة بن أعين ، وعبد الله بن الربيع ، والفضل بن الربيع ، والعباس بن الفضل ، والقاسم بن الربيع ، ودقاقة بن عبد العزيز ، وسليمان ابن عبد الله بن الأصم (. . . . .) ومحمد بن عبد الرحمان قاضي مكة ، وعبد الكريم الحجبي ، وابراهيم بن عبد الرحمان الحجبي ، وأبان مولى أمير المؤمنين والحارث مولى امير المؤمنين ، وخالد مولى أمير المؤمنين ، ومحمد بن منصور ، واسماعيل ابن صبيح . (وكتب في ذي الحجة سنة ١٨٦)

نسخة الشرط

الذي كتبه عبد الله ابن امير المؤمنين بخطه في البيت « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله هارون امير المؤمنين كتبه له عبد الله بن هارون امير المؤمنين في صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نيته فيما كتب فى كتابه هذا ومعرفته بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين ؛ إن أمير المؤمنين ولاني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد بن هارون امير المؤمنين وولاني في حياته وبعد موته ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها من الصدقات والعشر والعشور والبريد والطرز وغير ذلك ، واشترط لي على محمد بن هارون امير المؤمنين الوفاء بما عقد لي من الخلافة والولاية للعباد والبلاد بعده وولاية خراسان وجميع اعمالها لا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين او ابتاع لي من الضياع والعقد والدور والرباع أو ابتعت لنفسي من ذلك ؛ وما أعطاني امير المؤمنين هارون من الاموال والجوهر والكسى والمتاع والدواب في سبب محاسبة لاصحابي ، ولا يتبع لاحد منهم ابداً ، ولا يدخل علي ولا على احد كان معي ومني ولا عمالي ولا كتابي ؛ ومن استعنت به من جميع الناس مكروهاً في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير ولا كبير

فاجابه الى ذلك وأقرّ به وكتب بذلك كتاباً وكتبه على نفسه ورضي به هارون أمير المؤمنين وعرف صدق نيته ، فشرطت لعبد الله هارون امير المؤمنين وجعلت له على نفسي أن أسمع لمحمد ابن امير المؤمنين وأطيعه ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشه ، وأوفي ببيعته وولايته ولا أغدر ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ، وأحسن موازرته ومكانفته ، وأجاهد عدوه فى ناحيتي ما وفى لي بما شرط لي ولعبد الله هارون أمير المؤمنين ورضي لي به وقبلته ولا أنتقص شيئاً من ذلك ولا انتقص أمراً من الأمور التي شرطها لي عليه امير المؤمنين فان احتاج محمد ابن أمير المؤمنين الى جند وكتب إلي يأمرني باشخاصهم اليه او الى ناحية من النواحي او عدو من اعدائه وخالفه وأراد نقص شيء من سلطانه الذي أسنده هارون امير المؤمنين الينا وولاناه أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر في شيء كتب به الي وإن أراد محمد ابن امير المؤمنين أن يولي رجلا من ولده العهد من بعدي فذلك له ما وفى بما جعل لي امير المؤمنين هارون واشترط لى عليه وشرطه على نفسه في أمري وعلي إنفاذ ذلك والوفاء به ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم قبله احداً من ولدي ولا قريباً ولا بعيداً من الناس اجمعين إلا أن يولي هارون امير المؤمنين أحداً من ولده العهد بعدي فيلزمني ومحمداً الوفاء بذلك ، وجعلت لأمير المؤمنين هارون ولمحمد ابن امير المؤمنين علي الوفاء بما شرطت وسميت فى كتابي هذا ما وفى لي محمد ابن امير المؤمنين بجميع ما اشترط لي هارون امير المؤمنين في نفسي وما اعطاني امير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في الكتاب الذي كتبه له ، وعلي عهد الله وميثاقه وذمة امير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والايمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ؛ فان انا نقضت شيئاً مما شرطت وسميت في كتابي هذا أو غيرت أو بدلت او نكثت او غدرت فبرئت من الله ومن ولايته ومن دينه ومن محمد رسول الله ولقيت الله يوم القيامة كافراً به مشركا ، وكل امرأة هي اليوم لي او أتزوجها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتة

طلاق الحرج ، وكل مملوك لي او املكه الى ثلاثين سنة أحرار لوجـه الله ، وعلي المشي الى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة نذراً واجباً علي وفي عنقي حافيـاً راجلاً لا يقبل الله مني إلا الوفاء به ، وكل مال هو لي اليوم او أملكه الى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة ، وكلما جعلت لعبد الله هارون امير المؤمنين وشرطت فى كتابى هذا لازم لي ولا أضمر غيره ولا أنوي سواه .

وشهد الشهود الذين شهدوا على أخيه محمـد ابن امير المؤمنين ، وأقام الرشيد الحج للناس وأمر بتعليق هاذين الكتابين فعلقا أيام الموسم على باب الكعبة وقرئا على الناس عدة مرار وجعلا فى الكعبة ، وانصرف الرشيد فنزل الحيرة فاقام اياماً ثم مضى على طريق البرية فنزل بموضع من الأنبار يقال له ﴿ الحرف ﴾ بدير يقال له ﴿ العُمر ﴾ وأقام يومـه .

وقتل جعفر بن يحيى بن خالد وزيره في تلك الليلة بغير امر متقدم قبـل ذلك واصبح فحمله الى بغداد فقطع ثلاث قطع وصلب على جسر بغداد ولبغداد يومئذ ثلاثة جسور ؛ وحبس يحيى بن خالد بن برمك وولده واهل بيته واستصفى اموالهم وقبض ضياعهم وقال لو علمت يمني بالسبب الذي له فعلت هذا لقطعتها ؛ واكثر الناس في اسباب السخط عليهم مختلفين .

وحدث اسماعيل بن صبيح قال : بعث الي الرشيد يوما وهو ببغداد فدخلت فلم أر فى المقاصير والأروقة احداً حتى انتهيت اليه فقال : يا اسماعيل هل رايت فى الدار احداً فقلت : لا والله قال فطف المجالس والأروقة والمقاصير فطفت فلم اجد احداً فقال : عد ثالثة فعدت ثم قال خذ ذلك الكرسي فاخذته وخرج وفى يده عمود حتى صار الى وسط الصحن ثم قال ضع الكرسي فوضعته فجلس عليه والعمود فى يده ثم قال اجلس فاوحشت نفسي خيفة وجلست فقال إني اريد ان افشي اليك سراً والله لئن سمعته من احد من الناس لأضربن عنقك فتراجعت نفسي وقلت إن كنت يا امير المؤمنين

قلته لأحد أو تقوله فلا حاجة بي اليه فقال ماقلته لأحد ولا أقوله اني أريد أوقع بآل برمك ايقاعاً ما أوقعته بأحد وأجعلهم أحدوثة ونكالاً الى آخر الأبد فقلت وفقك الله يا أمير المؤمنين وأرشد أمرك ، ثم قام فعاد وأخذت الكرسي فرددته وقلت إنما أراد أن يعرف ما عندي فيهم فبعث بي اليهم وكان يفعل ذلك كثيراً ، ثم حال الحول وحال حول ثان ثم حال ثالث فلما كان رأس الحول الرابع قتلهم ؛ وكان قتل جعفر في صفر سنة ١٨٨ بدير العمر ، وكان يحيي بن خالد قد نزل هذا الدير منصرفاً من الحج قبل أن يحل بهم الأمر بحول كامل فدخل الى الدير الذي قتل ابنه جعفر فيه فطافه فظهر له ﴿ قس ﴾ فقال له مذ كم بنيت هذه البيعة فقال مذ ستمائة سنة وهـذا قبر صاحبها فوقف على قبر عليه كتابة فقرأها فاذا عليه .

ان بني المنذر عام انقضوا * بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفاريهم * وعنبر يقطبه القاطب
والقطن والكتان أثوابهم * لم يجنب الصوف لهم جانب
فاصبحوا حشاً لدود الثرى * والدهر لا يبقى له صاحب
أضحوا وما يرجو لهم راغب * خيراً ولا يرهبهم راهب
كأنمـا جنتهم لعبة * سار الى (سنها) راكب (١)

قال فتغير وجه يحيي وقال اعوذ بالله من شرك يا قس فغـاب القس بين عينيه فطلبه فلم يقدر عليه ، واقام يحيي وولده فى الحبس عدة سنين ، وكتب يحيي الى الرشيد يستعطفه ويذكر له حرمته وتربيته فوقع على ظهر رقعته ﴿ إنما مثلك يا يحيي

(١) كذا فى الأصل ، وقد رواه الحموي فى معجم البلدان بمادة (دير هنـد الكبرى) ج ٤ ص ١٨٤ كما يلي :
كأنهم كانوا بها لعبة * سار الى اين بها راكب
وروى الأبيات ثمانية باختلاف يسير .

ما قال الله عز وجل « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

واغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة فى هذه السنة وهي سنة ١٨٨ ومعه عبد الملك ابن صالح الهاشمي وعلى امره ابراهيم بن عثمان بن نهيك فحاصر حصن سنان وقرة واصاب الناس جوع شديد وعوز وغلاء ، وطلب الروم الصلح على ان يدفعوا اليه ثلاثمائة وعشرين مسلماً فقبل وانصرف واخذ الرشيد أحمد (١) بن عيسى بن زيد العلوي فحبسه بالرافقة سنة ١٨٨ فهرب احمد بن عيسى من الحبس وصار الى البصرة وكان يكاتب الشيعة يدعوهم الى نفسه فاذكى الرشيد عليه العيون وجعل لمن جاء به الأموال فلم يقدر عليه فاخذ حاضر صاحبه وكان المدبر لأمره فحمل الى الرشيد فلما صار ببغداد وهو بباب الكرخ قال « ايها الناس انا حاضر صاحب احمد بن عيسى ابن زيد العلوي وقد اخذني السلطان » فمنعه الموكلون به من الكلام فلما دخل على الرشيد سأله عنه وتهدده فقال والله لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها عنه واغلظ في الجواب وقال انا شيخ قد جاوزت التسعين أفأختم عملي بأن ادل على ابن رسول الله حتى يقتل ؟ فامر الرشيد فضرب حتى مات وصلب ببغداد وطفئ احمد بن عيسى ولم يعرف خبره بعد ذلك .

وحبس الرشيد عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي فى هذه السنة وهي سنة ١٨٨ وذلك إن ابنه عبد الرحمان وكاتبه قمامة بن يزيد وكان مولى لعبد الملك رفعا عنه انه يؤهل نفسه للخلافة وانه يراسل رؤساء القبائل والعشائر بالشأم والجزيرة وكان نبيلا فصيحا حسن البيان فقال ما سبب حبسي فان كان لذنب اعترفت به او لبلاغ تنصلت منه ، فاحضره الرشيد فقال هذا ابنك عبد الرحمان يذكر ما كنت تدبره من المعصية

(١) احمد هذا : هو ابن عيسي بن زيد ابن الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . (م . ص)

والشقاق ، فقال ليس يخلو ابني ان يكون مأمورا فمذورا أو عدوا محذوراً وقدقال الله تعالى ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ قال فهذا قامة بن يزيد كاتبك يذكر مثل ذلك وقد سأل أن يجمع بينه وبينك ، قال من كذب علي واشاط بدمي لغير مأمون أن يبهتني .

﴿ وحدثني ﴾ بعض أشياخنا قال أخرج الرشيد يوماً عبد الملك بن صالح بن علي فاقبل عليه فقال ﴿ كأني أنظر الى شؤبوبها قد همع ، والى عارضها قد لمع ، والى الوعيد قد أورى ناراً فاقلع عن براجم بلا معاصم ، ورؤس بلا غلاصم ، فمهلاً مهلا بني هاشم لا تستوعروا السهل ، وتستسهلوا الوعر ، ولا تبطروا النعم ، وتستجلبوا النقم ، فمن قليل يندم ذو الحكم رأيه ؛ وينكص ذو الحزم على عقبيه ، وتستبدلون الذل بعد العز ، والخوف بعد الأمن ﴾ فقال : عبد الملك أفذاً أتكلم ام توأماً — يعني واحداً أو اثنين — فقال فذاً ؛ قال فخف الله فيما ولاك ، واحفظه في رعاياك التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر موضع الشكر ، ولا العقاب بدل الثواب ولا تقطع رحمك التي أوجب الله عليك والزمك حقها ، ونطق الكتاب بان عقوقها كفر ؛ واردد الحق على محقه ، ولا تصرف الحق الى غير أهله ، فلقد جمعت عليك الألسن بعد افتراقها ، وسكنت القلوب بعد نفارها ؛ وشددت أواخي ملكك باشد من ركن يلملم ، فكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرجته * بلساني وبياني وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل

قال ثم خرج فاتبعه الرشيد بصره وقال : أما والله لولا الابقاء على بني هاشم لضربت عنقك .

وخرج هارون الرشيد الى الري سنة ١٨٩ فلما صار بقرميسين بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون وكان بين البيعة للمأمون وبيعة القاسم ست سنين ، ثم سارحتى

نزل الري وكتب الى محمد ابنه وكان ببغداد يأمره بالخروج الى الري والقيام بما خلف بها ، وكتب الى ﴿ بندار هرمز ﴾ صاحب طبرستان فخرج و ﴿ شروين ﴾ صاحب طخارستان ؛ فخرج بندار هرمز على يدي هرثمة بن اعين واخرج ابنه [قارن] فصيره في معسكر الرشيد من الري واستخلف عبد الله بن مالك الخزاعي على قومس وطبرستان ودنباوند وسار الى بغداد فمر بها نهاراً ولم ينزلها فلما صار الى الجسر امر بتحريق جثة جعفر بن يحيي وقتل الوليد بن حشم .

وولى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان مكان منصور بن يزيد بن منصور الحميري سنة ١٨٩ وضم اليه جماعة من القواد فيهم . رافع بن الليث الليثي وأمره أن لا يستعمله على بلد قاصياً ، فلما قدم علي بن عيسى خراسان استعمل رافع بن الليث على سمرقند فلم يحل عليه الحول حتى خلع ونادى بالمعصية وحارب وبلغ الرشيد ان ذلك عن تدبير من علي ابن عيسى فوجه هرثمة بن أعين في أربعة آلاف كأنه مدد لعلي بن عيسى حتى دخل المدينة ثم صار الى دار الامارة وأدخل الجند الذين معه الدار وأخرج الكتاب فدفعه الى علي بن عيسى فلما قرأه قال أسامع انت مطيع قال نعم فدعا بقيد ثقيل فقيده ثم أخرجه من ساعته وخرج معه حتى جاز من عمل مرو وبعث به مع رسل من قبله الى الرشيد وأمر الرشيد بحبسه وحبس ولده وقبض أمواله فلم يزل محبوساً حتى مات الرشيد

وكانت ارمينية قد انتقضت بعد وفاة المهدي فلم تزل منتقضة أيام موسى ؛ فلما ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمي ارمينية قام بها سنة وشهرين وضبطها وصلحت البلاد وأعطى أهلها الطاعة ، ثم ولى الرشيد يوسف بن راشد السلمي مكان خزيمة بن خازم فنقل الى البلد جماعة من النزارية ، وكان الغالب على ارمينية اليمانية فكثرت النزارية في ايام يوسف ؛ ثم ولى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فنقل اليها ربيعة من كل ناحية حتى هم اليوم الغالبون عليها ، وضبط البلد أشد ضبط حتى لم يكن أحد يتحرك ثم ولى عبد الكبير بن عبد الحميد من ولد زيد بن الخطاب العدوي وكان منزله حران

فصار اليها في جماعة من أهل ديار مضر ولم يقم إلا أربعة اشهر حتى صرف ، وولى الفضل ابن يحيي بن خالد البرمكي فسار اليها بنفسه فلما قدم توجه الى ناحية [الباب والأبواب] فغزا قلعة حمزين فهزمه أهل حمزين فانصرف ما يلوي على شيء حتى أتى العراق واستخلف على البلد عمر بن ايوب الكناني ، فلما صار الفضل الى العراق وجه أبا الصباح على خراج إرمينية وسعيد بن محمد الحراني اللهبي على حربها فوثب أهل بردعة على ابى الصباح فقتلوه وانتقضت ارمينية ، وظهر فيها ابو مسلم الشاري فولى الفضل خالد بن يزيد بن أسيد السلمي ارمينية ووجه اليه عبـــد الملك بن خليفة الحرشي في خمسة آلاف فلقوا أبا مسلم الشاري برويان فهزمهم وانصرف ابو مسلم الى قلعة الـكلاب فاخذها واستعمل الرشيد على ارمينية العباس بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي فلماصار الى بردعة وثب به البيلقانية فتحصن منهم في ربض بردعة ووجه معدان الحمصي الى ابي مسلم الشاري فى ستة آلاف والتقيا وكانت بينهما وقعة وقتل معدان الحمصي فصار ابو مسلم الشاري الى دبيل فحصرها اربعة اشهر ثم انصرف فصار الى البيلقان فنزلها وقوي أمر ارمينية ووجه الرشيد يحيي الحرشي فى أثني عشر الفا ويزيد بن مزيد الشيباني فى عشرة آلاف وأمر يزيد بن مزيد أن يقصد ارمينية وأمر الحرشي أن يأخذ على آذربيجان وكان قد تغلب بآذربيجان مهلهل التميمي فلقيه الحرشي فقاتله وهزمه وأصلح البلاد ، ثم صار الى ارمينية ليجتمع ويزيد بن مزيد على محاربة ابي مسلم الشاري فوافى البـلد وقد مات ، وقام من بعده السكن بن موسى البيلقاني مولى (. . . .) وكان منزله البيلقان فلما بلغه قدوم يحيي الحرشي وجه اليه الخليل بن السكن في خيـــار خيله فلقي الحرشي فاسره الحرشي وزحف الى البيقان فلما بلغ السكن الخبر خرج هاربا فصار الى قلعة الـكلاب وصار أهل البيلقان الى الحرشي فطلبوا الأمان فادخلوا المدينة فآمن اهلها وهدم حصنها وسار السكن الى يزيد بن مزيد فى ثمانية آلاف مستأمنا منه وحمله الى الرشيد ، ولما سكن البلد ولى الرشيد موسى بن عيسى الهـــاشمي فاقام بارمينية سنة فعاد انتقاضها فاضطربت

نواحيها وكتب الى الرشيد بذلك فقال الرشيد ما أرى لها إلا الحرشي فعزل موسى بن عيسى ووجه الحرشي عاملاً عليها فوضع فيهم السيف حتى استقامت ، ثم ولى الرشيد أحمد بن يزيد بن أسيد السلمي فلما قدم وثب به من كان فى البلد من اهل خراسان ممن قدم مع الحرشي وقبل الحرشي وقاتلوه وتعصبوا عليه وقالوا لا سمع لك ولا طاعة ، فولى الرشيد سعيد ابن سلم بن قتيبة الباهلي فلما قدم البلد تلاءمت الناس شهوراً ثم تعبث بالبطارقة فخالفه عليه « الباب والأبواب » ووثبوا بعامله وكان النجم بن هاشم صاحب الباب والأبواب ، فقتله سعيد بن سلم فوثب ابنه حيون بن النجم فقتل عامل سعيد على الباب والأبواب وكشف رأسه للمعصية وكتب الى خاقان ملك الخزر فزحف اليه ملك الخزر فى خلق عظيم فاغار على المسلمين فقتل وسبى خلقاً عظيماً وسار حتى أتى جسر الكر وسبى خلقاً من المسلمين وقتل عالماً وحرق البلاد وقتل النساء والصبيان فلما بلغ الرشيد خبره وجه بنحاب وأمره أن يعرض على سعيد بن سلم ويقيمه للناس فلما وافى البلد أعطاه سعيد مالاً فمال النحاب الى اخذ المال فبلغ الرشيد ذلك فوجه نصر بن حبيب المهلبي عاملا على البلد فلم يلبث الا يسيراً حتى عزله وولى علي بن عيسى بن ماهان فلما قدم ساءت سيرته ووثب به اهل شروان واضطرب البلد فولى الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ورد علياً الى خراسان وجمعت ليزيد بن مزيد ارمينية وآذربيجان فلما قدم تلاءمت الناس وأصلح البلاد وساوى بين النزارية واليمانية وكتب الى أبناء الملوك والبطارقة يبسط آمالهم فاستوى البلد ، ثم ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمي فاخذ البطارقة وأبناء الملوك فضرب أعناقهم وسار فيهم أسوء سيرة فانتقضت جرجان والصنارية (١) فانفذ اليهم جيشاً فقتلوه فوجه اليهم سعد بن الهيثم بن شعبة بن ظهير التميمي فى جيش عظيم فقاتل أهل جرجان والصنارية حتى أجلاهم عن البلد وانصرف الى تفليس ، فاقام خزيمة بن خازم أقل من سنة ثم عزله وولى سليمان بن يزيد بن الأصم

(١) الصنارية بالكسر قوم بارمينية ، قاله الزبيدي فى التاج بمادة (صنر)

العامري وكان شيخاً عنيفاً ،مغفلاً فضعف حتى لم يكن له أمر يجوز حتى كاد أن يغلب على البلد ؛ وولى الرشيد العباس بن زفر الهلالي فانتقضت عليه الصنارية فقاتلهم وضعف عنهم فوجه الرشيد محمد بن زهير بن المسيب الضبي وكان آخر عمال الرشيد على ارمينية .

وخلع أهل حمص سنة ١٩٠ ووثبوا على واليهم فخرج الرشيد نحوهم فلما صار بمنبج لقيه وفدهم يعطون بايديهم ويسألون الاقالة فعفا عنهم ونفذ الى بلاد الروم فغزا الصائفة وفتح هرقلة والمطامير .

وحجت أم جعفر بنت جعفر بن المنصور في هذه السنة وهي سنة ١٩٠ فنال الناس عطش شديد وغارت زمزم حتى لم يوجد فيها من الماء إلا القليل وحفرت زمزم فنزل فيها عدة أذرع فكأن الماء زاد يسيراً وكان مقدار رشاء زمزم ثماني عشرة ذراعا فحفر فيها تسع أذرع لتزيد فكان أول ما حفر زمزم .

واجتمع عند الرشيد عمه وعم أبيه وعم جده ، سليمان بن جعفر عمه ، والعباس بن محمد عم أبيه ، وعبد الصمد بن علي عم جده ، فقال عبد الصمد بن علي (أحمد الله يا امير المؤمنين على نعمه عليك فقد جمع لك ما لم يجمع لخليفة قبلك ثم جمع لك عمك وعم أبيك وعم جدك)

وكان الغالب على الرشيد يحيي بن خالد بن برمك ، وجعفر والفضل ابناه صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي ، فاقاموا على تلك الحال وأمور المملكة اليهم سبع عشرة سنة ، ثم كان الفضل بن الربيع يغلب عليه ، واسماعيل بن صبيح ، وعلى شرطه القاسم بن نصر بن مالك ، ثم عزله وولى خزيمة بن خازم ؛ ثم عزله وولى المسيب بن زهير الضبي ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن مالك ، ثم عزله واستعمل علي بن الجراح الخزاعي ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن خازم ، وكان على حرسه جعفر بن محمد بن الأشعث ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن مالك ثم هرثمة بن أعين ، وكان حاجبه الفضل بن الربيع .

وخرج هارون الى خراسان في شعبان سنة ١٩٢ فنزل قرميسين فصار بها شهر رمضان وضحى بالري فلما صار الى جرجان كتب الى عيسى بن جعفر بالخروج اليه فخرج اليه عيسى فلما صار في بعض الطريق توفي ﴿ فحدثني ﴾ شيخ من آل المهلب كان مع عيسى بن جعفر قال : دخلنا اليه يوماً وقد اشتدت علته فسمعناه يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ذهبت والله نفسي فقلنا له إنك بحمد الله اليوم صالح فقال أني دققت ما يخرج من أذني فوجدته رمياً حتى أغمي عليه وسمع النساء بكاء الرجال فغلبن الخدم وخرجن فافاق ورفع رأسه فنظر اليهن وقال :

قد كن يخبأن الوجوه تستراً * فاليوم حين بدون للنظار

ثم قضى من ساعته ، فلما بلغ الرشيد خبر وفاته اشتد جزعه عليه فدخل على جارية فقالت يا أمير المؤمنين ان عيسى كان يريد بك ما صار اليه فاحاقه الله به ، وهذا مسرور وحسين يعلمان ذلك فقالا صدقت فتسلى ودعا بالطعام ، وصار هارون الى طوس فنزل قرية يقال لها ﴿ سناباذ ﴾ وهو شديد العلة فتوفي مستهل جمادى الأولى سنة ١٩٣ وهو ابن ست وأربعين سنة ؛ وصلى عليه ابنه صالح بن هارون ، وكان المأمون قد نفذ الى مرو قبل ذلك بثلاثة وعشرين يوماً وجاء نعيه من طوس الى مدينة السلام يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى .

وخلف من الولد اثني عشر ذكراً : عبد الله المأمون ، ومحمد الأمين ، والقاسم وابا اسحاق المعتصم ، وأبا عيسى ، وابا العباس ، وعلياً ، وصالحاً ، وابا يعقوب وأبا علي ، وأبا احمد ، وأبا أيوب ، وكل مكنى من بني هاشم فاسمه محمد .

وأقام الحج في ولايته ، سنة ١٧٠ هارون الرشيد ، سنة ١٧١ عبد الصمد بن علي ؛ سنة ١٧٢ يعقوب بن المنصور ، سنة ١٧٣ الرشيد ، سنة ١٧٤ وسنة ١٧٥ الرشيد ، سنة ١٧٦ سليمان بن ابي جعفر ، سنة ١٧٧ ، الرشيد ، سنة ١٧٨ محمد ابن ابراهيم بن محمد بن علي ، سنة ١٧٩ الرشيد ؛ وكان قد اعتمر فلم يزل معتمراً

حتى حج فانصرف الى البصرة ؛ سنة ١٨٠ موسى بن عيسى وجهه هارون من الرقة سنة ١٨١ الرشيد ، سنة ١٨٢ موسى بن عيسى ؛ سنة ١٨٣ العباس بن موسى سنة ١٨٤ ابراهيم بن المهدي ، سنة ١٨٥ منصور بن المهدي ، سنة ١٨٦ الرشيد ١٨٧ عبد الله بن العباس بن محمد ، سنة ١٨٨ الرشيد وهي آخر حجة حجها ولم يحج بعده خليفة ؛ سنة ١٨٩ العباس بن موسى بن عيسى ؛ سنة ١٩٠ عيسى بن موسى الهادي ؛ سنة ١٩١ الفضل بن العباس بن محمد بن علي ، سنة ١٩٢ العباس بن عبد الله بن جعفر بن ابي جعفر .

وغزا بالناس في ايامه ، سنة ١٧١ يزيد بن عنبسة الحرشي عاملا من قبل اسحاق ابن سليمان ، ١٧٢ محمد بن ابراهيم ، ١٧٣ ابراهيم بن عثمان ، سنة ١٧٤ سليمان ابن ابي جعفر ، سنة ١٧٥ عبد الملك بن صالح ﴿ وقيل ﴾ إنه لم يدخل بلاد الروم ولما صار الى الدرب وجه الفضل بن صالح ، ١٧٦ هاشم بن الصلت ، سنة ١٧٧ داود بن النعمان من قبل عبد الملك ؛ سنة ١٧٨ يزيد بن غزوان ، سنة ١٧٩ الفضل ابن محمد ؛ سنة ١٨٠ اسماعيل بن القاسم ، سنة ١٨١ هارون الرشيد فافتتح حصن الصفصاف ، سنة ١٨٢ ابراهيم بن القاسم من قبل عيسى بن جعفر ، سنة ١٨٣ الفضل ابن عباس ، سنة ١٨٤ محمد بن ابراهيم ، سنة ١٨٥ ابراهيم بن عثمان ، سنة ١٨٦ ابراهيم بن عثمان ايضاً ، ١٨٧ القاسم بن الرشيد ؛ وعبد الملك بن صالح ؛ وابراهيم ابن عثمان بن نهيك ، وفيها قتل الرشيد ابراهيم بن عثمان ، سنة ١٨٩ الفضل بن العباس ، سنة ١٩٠ الرشيد فافتتح هرقلة والمطامير ، وأغزى حميد بن معيوف بالبحر وكان أهل قبرس قد نقضوا الصلح فغزاهم فقتل وسبى ، ١٩١ خرج الرشيد يريد الغزو فلما صار بالحدث أغزاهم مع هرثمة بن أعين وأقام بالثغر حتى انصرف هرثمة .

وكان الفقهاء في أيامه ؛ محمد بن عمران بن ابراهيم ، مالك بن انس ، ابراهيم ابن محمد بن أبي الحسن الأسلمي ، ابو البختري بن وهب القرشي ، عبد الله بن جعفر

المديني ؛ اسماعيل بن جعفر ابو عقيل ، ابو معشر السندي ، سعيد بن عبد العزيز الجمحي ؛ عبد العزيز بن ابي حازم ، عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عبد الرحمان بن عبد الله العمري ، سليمان بن فليح (. . . .) عطاء بن يزيد ، سفيان بن عيينة شريك بن عبد الله النخعي ؛ سلمة الأحمر ، ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ؛ ابراهيم ابن سعد الزهري ، سفيان بن الحسن الحماني ، جعفر بن عتاب ، ابن ابي زائدة علي بن مسهر ؛ عبد الله بن ادريس الأودي ، محمد بن مروان السدي ، جرير بن عبد الحميد الكوفي ، شعيب بن صفوان صاحب ابن شبرمة ، جعفر بن سليمان ؛ محمد ابن الحسن ، علي بن هاشم ، عبد الله بن الأصلح الكندي ، الصلت بن الحجاج القاسم بن مالك المزني ، علي بن ظبيان ، ابو شهاب الكوفي ، محمد بن مسروق القاضي ، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكيع بن الجراح ، يحي بن الهاني (١) عمرو بن هشام ؛ حماد بن زيد ؛ ابو عوانة . يزيد بن زريع . عبيد الله بن الحسن المعتمر بن سليمان . داود بن الزبرقان . عباد بن عباد المهلبي . حمزة بن نجيح . خالد ابن يزيد . محمد بن راشد . عمران بن خالد صاحب عطاء . محمد بن يزيد الواسطي عبد المنعم بن نعيم . عمر بن جميع . يوسف بن عطية . عبد العزيز بن عبد الصمد .

أيام محمد الأمين

وبويع لمحمد الأمين بن هارون الرشيد — وأمه أم جعفر بنت جعفر بن المنصور — ولم يكن في الخلفاء هاشمي الأبوين غير علي بن أبي طالب عليه السلام ومحمد . وكانت البيعة له بطوس في اليوم الذي توفي فيه الرشيد وهو يوم الأحد مستهل جمادى الاولى سنة ١٩٣ . واخذ له الفضل بن الربيع بيعة من حضر من الهاشميين والقواد . وقدم

(١) كذا في الأصل . والظاهر أن الصحيح (الهنائي) وهو يحي بن ابي اسحاق الذي روى عن انس بن مالك وروى عنه عتبة بن حميد الضبي . ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (ج ١١ ص ١٧٨) (م . ص)

رجاء الخادم الى محمد ببغداد يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى وكان ذلك من شهور العجم في آذار وكانت الشمس يومئذ في الحمل ثلاث درجات وثلاثاً وخمسين دقيقة ، وزحل فى القوس ست درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والمشتري فى القوس ست درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والمريخ فى الدلو ستاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة فى الحوت سبع درجات وثلاثين دقيقة ، والرأس فى السرطان اثنتين وعشرين درجة .

فبايع الناس فى هذا اليوم ببغداد ، وخرج اسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله ابن العباس فصعد المنبر فحمد الله وصلى على محمد ، ثم قال ﴿ نحن أعظم الناس رزية وأحسن الناس بقية رزء نا (١) رسول الله فلم يكن احد أشد رزءً منا ، وعوضنا خلفاً ابنه فمن ذا له مثل عوضنا ﴾ ثم نعاه الى الناس وذكّرهم العهد ثم نزل فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وذكر ما فضله الله به ، ثم قال ﴿ وأفضت خلافة الله وميراث نبيه الى أمير المؤمنين الرشيد ، فعمل بالحق ، وساس بالعدل ، وحج بيت الله ، وجاهد فى سبيل الله . وبذل مهجته في طاعة الله ، وباشر الجهاد طالباً لرضا الله جل وعز ؛ حتى أعز الله دينه ، وأقام حقه ، ووقم العدو وآمن السبل ، ونصح العباد ؛ وعمر البلاد ؛ وقد اختار له ما عنده ، وأكرمه بلقائه ؛ فعند الله نحتسبه ، وإياه نسأل حسن الخلافة من بعده ، والمعونة على ما حملني من أمركم ، وأرغب اليه في التسديد والتوفيق لما يرتضيه فيكم ﴾

ثم حض على الطاعة وأمر بالمناصحة ونزل ، وقدم الفضل بن الربيع الخزائن وبيوت الأموال ووصية الرشيد مستهل جمادى الآخرة ، وكان محمد بن هارون قد أمر باظهار الحج فقال له الفضل بن الربيع إن أباك قد أمرني أن أقول لك أنه لن يحج بعدي من خلفاء بني العباس فاقام ، وحجت أمه أم جعفر معتمرة شهر رمضان وقد كانت تقدمت

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصحيح رزء نا (خليفة) رسول الله (الخ)

في حفر « عين المشاش » في أيام الرشيد فقدمت مكة وقد فرغ منها فبنت المصانع وجعلت الحياض والسقايات ، ووجه محمد بعشرين الف مثقال ذهباً فجعلت صفائح على باب الكعبة ومسامير الباب والعتبة .

وأخرج عبد الملك بن صالح من الحبس وولاه جميع ما كان اليه من الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور ؛ ورد عليه أمواله وضياعه ودفع الليه ابنه عبد الرحمان وكاتبه قمامة فحبس قمامة في حمام قد أحكم وأوقد أشد وقود وطرح معه سنانير فلم يزل فيه حتى مات ، وحبس ابنه فلم يزل محبوساً ، وقال عبد الملك حين أخرج من الحبس وذكر ظلم الرشيد له « والله إن الملك لشيء ما نويته ولا تمنيته ولا قصدت اليه ولا ابتغيته ولو أردته لكان أسرع الي من السيل الى الحدور ومن النار الى يابس العرفج وإني لمأخوذ بما لم أجن . ومسؤول عما لا أعرف . ولكنه والله حين رآني للملك قمناً . وللخلافة خطراً . ورأى لي يداً تنالها إذا مدت . وتبلغها اذا بسطت ونفساً تكمل لخصالها . وتستحقها بخلالها . وإن كنت لم أختر تلك الخصال . ولا اصطنعت تلك الخلال . ولم أترشح لها في سر . ولا أشرت اليها في جهر . ورآها تحن إلي حنين الوالدة . وتميل إلي ميل الهلوك . وخاف أن تنزع الي أفضل منزع وترغب في خير مرغب . عاقبني عقاب من قد سهر في طلبها . ونصب في التماسها وتفرد لها بجهده . وتهيأ لها بكل وسعه . فان كان إنما حبسني على أني أصلح لها وتصلح لي . وأليق بها وتليق بي . فليس ذلك بذنب فاتوب منه . ولا تطاولت اليه فاحط نفسي عنه . وإن زعم أنه لا صرف لعقابه . ولا نجاة من عذابه . إلا بأن أخرج له من الحلم والعلم . والحزم والعزم . فكما لا يستطيع المضيع أن يكون حافظاً كذا لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا . وسواء (١) عليه عاقبني على عقلي ام عاقبني

(١) وسواء عليه عاقبني على علمي وحلمي . أم عاقبني على نسبي وسني وسواء « الخ » (كذا روى في هامش الأصل هذه الزيادة عن نسخة) (م . ص)

على طاعة الناس لي ولو أردتها لاعجلته عن التفكير ، وأشغلته عن التدبير ، ولم يكن لما كان من الخطاب إلا اليسير ، ومن بذل المجهود إلا القليل ﴾

وأخرج علي بن عيسى بن ماهان من الحبس ورد عليه أمواله وولاه شرطته وقدمه وآثره ؛ وولى أسد بن يزيد بن مزيد إرمينية فقدمها وقد غلب على ناحية من البلد يحيى بن سعد الملقب ﴿ كوكب الصبح ﴾ واسماعيل بن شعيب مولى مروان بن محمد بن مروان وكانا بناحية جُرزان فاحتال لهما حتى أخذهما ثم منّ عليهما وخلى سبيلهما ، وكان حسن السيرة سخياً ، ثم عزله محمد وولى ارمينية اسحاق بن سليمان الهاشمي فوجه اليها ابنه الفضل خليفة له ، ولم يزل الفضل بها أيام المخلوع .

وولى محمد بن سعيد بن السرح الكناني اليمن وكان من أهل فلسطين فاقام بها ثلاث سنين ثم عزله ، وولى جرير بن يزيد البجلي فخرج سعيد بن السرح من اليمن باموال عظام حتى صار الى فلسطين فاتخذ الدور والضياع فلم يزل جرير بن يزيد على اليمن حتى بويع المأمون .

وقد وجه الرشيد هرثمة بن أعين في جيش الى رافع بن الليث الى سمرقند وقد استكثف جمع رافع واستمال اهل الشاش وفرغانة واهل خجندة واشروسنة والصغانيان وبخارا وخوارزم وختل وغيرها من كور بلخ وطخارستان والسغد وما وراء النهر والترك والخرلخي والتغزغز وجنود التبت وغيرهم ، واستنصر بهم على قتال السلطان وقتل المسلمين ؛ وصار الى مدينة سمرقند فتحصن بها فلم يزل هرثمة محارباً له حتى قتل خلق من أصحابه ثم استمان رافع بجيغويه الخرلخي ، وكان جيغويه هذا قد أسلم على يد المهدي فجعل يخادع هرثمة ويوهمه أنه معه ومعونته وهواه لرافع ، ثم أظهر المعصية والخلع فقوى امر رافع بمكانه ؛ وأحرق السواد بالنار ، وتبرأ من أهله . ودعا لغير بني هاشم . وأخذ هرثمة با كظامهم حتى ضرع رافع الى الأمان فآمنه فخرج اليه بولده وأهل بيته وأمواله . وذلك في المحرم سنة ١٩٤ فكتب المأمون الى محمد

بالفتح وأعلمهم ما كان من تدبيره واجتهاده حتى فتح الله عليه فأفسد قوم قلب محمد على المأمون وأوقعوا بينهما الشر . وكان الذي يحرضه علي بن عيسى بن ماهان والفضل ابن الربيع وزينا له أن يبايع لابنه بولاية العهد من بعده ويخلع المأمون ففعل ذلك وبايع لابنه موسى . وذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٩٤ . وجمع العهود التي كتبها الرشيد بينهما فخرقها وجرت الوحشة بينهما . وكتب محمد الى المأمون يأمره بالقدوم عليه في جميع القواد فكتب اليه يعلمه أنه لا سمع عليه في هذا ولا طاعة . فكتب الى من بخراسان من القواد فاجابوه بمثل ذلك وقالوا إنما يلزمنا لك الوفاء إذا وفيت لأخيك وانت فقد نقضت العهود وأحدثت الاحداث واستخففت بالأيمان والمواثيق .

ووجه محمد الى أم عيسى بنت موسى الهادي امرأة المأمون يطلب منها جوهراً كان عندها للمأمون فمنعته وقالت ما عندي شيء أملكه . فوجه من هجم على منزلها فانتهب كل ما فيه وأخذ ذلك الجوهر فلما انتهى ذلك الى المأمون جمع القواد الذين قبله فقال لهم « قد علمتم ما كان أبي شرط علي وعلى أخي محمد وقد نكث ونقض العهود وأوجد السبيل الى خلعه بنكثه ونقضه وتعرضه لأموالي وأسبابي وأعمالي وتحريقه الشروط والعهود التي عليه واستخفافه بحق الله فيما نكث من ذلك واشتغاله بالخصيان » فاتفق رأيهم على مراسلته فان رجع وإلا خلعوه . وبلغ محمد ذلك فجمع قواده وذكر لهم خلع المأمون اياه وندبهم الى الخروج اليه فاختاروا عصمة بن أبي عصمة السبيعي فسير معه جيشاً كثيفاً فخرج حتى صار الى حد خراسان . ثم وقف وكتب اليه يحركه على المسير فامتنع فقال أخذت علينا البيعة أن لا ندخل خراسان وأخذت عليك أن لا تدخلها ولا ترسل أحداً اليها فان جاءني انسان من قبل المأمون الى هاهنا قاتلته وإلا لم أجز الحد . فوجه محمد علي بن عيسى بن ماهان والياً على خراسان وأمره باشخاص المأمون ومن معه وضم اليه من القواد والجند أربعين الف مرتزق وحملت اليه الأموال ودفع اليه قيد فضة وقال إذا قدمت خراسان قيد بهذا القيد المأمون واحمله الى ما قبلي . فلما

أتى المأمون الخبر ندب طاهر بن الحسين بن مصعب البوشنجي للخروج وقبل ما كان ولاه كورة بوشنج ، وأزاح علته بالكراع والأموال ونفذ فلقي علي بن عيسى بالري في سنة ١٩٥ وعلي بن عيسى في خلق عظيم وطاهر بن الحسين في خمسة آلاف ، فخرج علي بن عيسى في نفر يسير يدور حول العسكر وبصر به طاهر بن الحسين فأسرع اليه في جماعة من أصحابه فلاقى علياً وهو على برذون أصفر وعليه طيلسان كحلي طويل فدافع عنه من كان معه حتى قتل جماعة وركض فاتبعه طاهر وحده فضربه بسيفه حتى أثخنه وسقط الى الأرض فنزل واحتز رأسه ورجع الى معسكره ونصب الرأس على رمح ونادى في عسكر علي بن عيسى قتل الأمير ؛ وبلّغ اصحابه به خبره فانهزموا واسلموا الخزائن والكراع فلم يبت طاهر حتى حوى جميع ما كان في عسكره فاستأمن اليه كثير من اصحابه ، وكتب طاهر بالفتح الى المأمون الى مرو ووجه بالرأس اليه مع رجل من أصحابه فلما دخل على ذي الرئاستين سأله عن الخبر فذهل وانقطع كلامه فلم يقدر على إجابته فهال ذلك الفضل ففتح الخريطة وقرأ الكتاب ، ثم قال أين الرأس فطلب مامعه فلم يوجد وسأل عنه فلم يتكلم فوجه في طلبه فوجده قد سقط على مقدار ميلين فحمل وأدخل الى مرو ، وقرئ الفتح على الناس ، وبويع المأمون بالخلافة وخلع محمداً فاعطى جميع أهل خراسان الطاعة للمأمون ﴿ فحدثني ﴾ احمد بن عبد الرحمان الكلبي قال سُلم على المأمون بالخلافة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال : ﴿ أيها الناس إني جعلت لله على نفسي إن استرعاني اموركم أن أطيعه فيكم ولا أسفك دماً عمداً لا تحله حدوده وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالاً ولا اثاثاً ولا نحلة تحرم علي ، ولا أحكم بهواي في غضبي ولا رضاي إلا ما كان في الله له ، جعلت ذلك كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ، إني أفي رغبةً في زيادته إياي في نعمي ورهبةً من مسألته إياي عن حقه وخلقه ؛ فان غيرت أو بدلت كنت للعبر مستأهلا وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وارغب اليه في المعونة على طاعته

وأن يحول بيني وبين معصيته ﴾ .

ولما بلغ محمداً قتل علي بن عيسى بن ماهان وانهزام عسكره ومصيرهم الى حلوان وخلع أهل خراسان له واجتماع كلمتهم على المأمون وأن طاهراً قد قوي بما صار في يده من الأموال والسلاح والكراع ، وكتب اليه المأمون أن لا يعرج دون بغداد وأن يقصدها . وجه عبد الرحمان بن جبلة اليه وأمره أن يضم اليه من بحلوان من القواد والجند الذين كانوا مع علي بن عيسى فلقي طاهراً بهمذان في ذي القعدة سنة ١٩٥ فقتله طاهر واستباح كلما في عسكره . فوجه محمد عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي فرجع من حلوان .

ووثب بالشام رجل يقال له علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية يدعو الى نفسه . فوجه اليه محمد بالحسين بن علي بن ماهان . فلما صار الحسين الى الرقة أقام ولم ينفذ اليه . وتوفي داود بن يزيد المهلبي عامل السند فاستخلف ابنه . ووثب مالك بن لبيد اليشكري بالسواد فدعا المأمون .

وبلغ محمد بن ابي خالد القائد وكان شيخ قواد الحربية والمطاع فيهم أن محمداً قد عزم على قتله والفتك به فجمع اليه اهل الحربية والأبناء ثم وثبوا بمحمد فوجه اليهم محمد (. . .) فتحاربوا بموضع ببغداد يقال له باب الشام فكانت تلك الحرب أول حرب وقعت ببغداد في تلك السنة .

وكان عامل محمد بمصر حاتم بن هرثمة بن أعين فعزله وولى جابر بن الأشعث الخزاعي سنة ١٩٥ فلما قدم جابر بن الاشعث لم يدع للمأمون على المنابر كما كان يدعى بعد محمد فشغب الجند وقالوا لاطاعة فاعطاهم عطاءين . وقدم يحيى بن الأشعث ابن محمد المديني بكتاب المأمون فامتنع جابر بن الاشعث من البيعة له وأقام على طاعة محمد فوثب السري بن الحكم البلخي — وكان أحد قواد مصر — وجماعة معه ودعوا الجند الى البيعة للمأمون ووعدوهم رزق سنتين فاجابوا الى ذلك وأخرجوا جابر بن

الأشعث من دار الامارة وصيروا مكانه عباد بن محمد ، وكان عباد خليفة هرثمة بن أعين في البلد فدعا للمأمون بالخلافة في رجب سنة ١٩٦ (. . «١» .) قوم فوجه اليهم عبد بن حكيم بن كون ومحمد بن صعير فكانت بينهم وقعة ثم سلموا وبايعوا ، وكتب محمد الى رجل يقال له ربيعة بن قيس الحرشي بولاية مصر فجمع اليه اهل الحوف وغيرهم وقاتل عباد بن محمد وزحف اليه حتى صار الى قرب الفسطاط فكانت بينهم وقعات وغلب عباداً على البلد الى أن وجه المأمون بالمطلب بن عبدالله الخزاعي عاملا على مصر .

وتوفي عبد الملك بن صالح بالرقة في هذه السنة وهي سنة ١٩٦ ، وكان عامل محمد بن هارون على الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور ، واضطرب البلد بعد وفاته وتغلب كل رئيس قوم عليهم وصار الناس حزبين حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون فلم يبق بلد إلا وفيه قوم يتحاربون لاسلطان يمنعهم ولا يدفعهم وأخذ طاهر من ناحية الجبل الى الأهواز وقتل محمد بن يزيد بن حاتم عامل محمد وجيلويه الكردي ، وتوجه زهير بن المسيب الضبي الى فارس فاخذها وبايع بها ، وصار طاهر الى واسط لثلاث خلون من رجب بعد أن بايع أهل البصرة للمأمون على يد منصور بن المهدي ، وبالكوفة على يد الفضل بن موسى بن عيسى ، وبالموصل على يد المطلب بن عبد الله ، وبمصر على يد عباد بن محمد ، وبالرقة على يد الحسين بن علي بن ماهان ؛ فاخرجه من كان بها من الزواقيل وغيرهم ، فقدم بغداد لثمان خلون من رجب سنة ١٩٦ فانكر مذهب محمد وبلغه عنه ما يكره فدعا الجند ببغداد الى بيعة المأمون فاجابوه فوثب على محمد فحبسه وأمه وولده فلما حبسهم طالبه الجند بارزاقهم فاعتل عليهم فقبضوا عليه واخرجوا محمداً وأمه وولده من الحبس وبايعوه وضربوا عنق الحسين ابن علي فسألوا محمداً في أرزاقهم فاعطاهم خمسمائة خمسمائة وقارورة غالية وعقد اربعمائة لواء لقواد شتى واستعمل عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى

«١» بياض في الأصل وفيه سقط ولعله (وشغب) قوم (الخ)　　(م ص)

هرثمة وهرثمة يومئذ معسكر بالنهروان فالتقوا في شهر رمضان فهزمهم وأسر علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به الى المأمون وزحف بجيشه حتى صار بموضع يقال له ﴿ نهربين ﴾ على فرسخ أو فرسخين ، وصار طاهر بنهر (صرصر) على أربعة فراسخ من بغداد ؛ وكان طاهر في الجانب الغربي وهرثمة في الجانب الشرقي وحرب بغداد قائمة في الجانبين جميعاً إلا أن الأسواق قائمة والتجار على حالهم لا يهاجون ويجتمع على التاجر الواحد جماعة من أصحاب المأمون وجماعة من أصحاب محمد فلايكون بينهم تنازع ، ووثب الأبناء والحربية بمحمد ودعوا للمأمون وكاتبوا طاهراً وأعطوه الرهائن فدخل طاهر بغداد فاشتق الجانب الغربي الى باب الأنبار وكان محمد قد حبس سليمان بن ابي جعفر وابراهيم بن المهدي لأمر بلغه فلما صار هرثمة على باب بغداد أخرجهما من الحبس ووجه بهما مع جماعة من بني هاشم الى هرثمة يدعونه الى طاعته ويجعل له ما أراد من الأموال والقطايع فقال لهم هرثمة لولا أن لا تقتل الرسل لضربت أعناقكم فانصرفا الى محمد وخلى سبيلهما ، ووثب اهل شرقي بغداد بمحمد ودعوا للمأمون واجاوا خزيمة بن خازم التميمي فصار الى الجسر فقطعه ودخل زهير بن المسيب من كلواذى في السفن وفيها المنجنيقات والعرّادات فصار محمد الى قصره المعروف بـ ﴿ الخلد ﴾ في غربي بغداد فتحصن به فرماه زهير بالمنجنيق ودخل هرثمة من باب خراسان من معسكر المهدي وهو الجانب الشرقي من بغداد ودخل طاهر من معسكره الى مدينة ابي جعفر وأحدقوا بالخلد فخرج محمد من باب خراسان حتى أتى دجلة يريد هرثمة فبلغ اصحاب طاهر ذلك فوثبوا بهرثمة وهو في حراقة له حتى غرقوه وأخرجوه بعد ساعة وخرج محمد في غلالة وسراويل حتى جلس على الشط والعسكر يمر به ولا يعرفه حتى مر به مولى لشكلة فعرفه فحمله الى منزله ثم اتى طاهر بن الحسين يخبره فوقعت بين طاهر وبين هرثمة وزهير منازعة فأمر طاهر قريشاً الدنداني مولاه فضرب عنقه ونصب رأسه على رمح ومضى به الى معسكره بالبستان ثم بعث به إلى المأمون فكان

مقتله يوم الأحد من المحرم سنة ١٩٨ وسمعت من يقول لخمس خلون من صفر .

وكتب طاهر الى المأمون كتاباً بخطه ﴿ أما بعد فان المخلوع وإن كان قسيم امير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة لمفارقته عصمة الدين وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين يقول الله عز وجل فيما قص علينا من نبأ نوح يانوح « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ولا طاعة لاحد في معصية الله ولا قطيعة اذا ما كانت القطيعة في ذات الله وكتابي هذا الى امير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع وأسلمه بغدره ونكثه وأحصد لأمير المؤمنين أمره وأنجز له ما كان ينتظره من سابق وعده والحمد لله الراجع الى أمير المؤمنين حقه الكائد له فيمن خان عهده ونقض عقده حتى رد به الألفة بعد فرقتها وجمع به الأمة بعد شتاتها فاحيي به أعلام الدين بعد دثور سرائرها ﴾ ثم كتب كتاباً بالفتح يشرح فيه خبره منذ يوم شخص من خراسان وما عمل في بلد بلد ويوم يوم جعلناه في كتاب مفرد .

وكانت خلافته منذ يوم توفي فيه الرشيد الى أن قتل اربع سنين وسبعة أشهر وأحد وعشرين يوماً ، ومنذ مات هارون الى أن خلع ثلاث سنين ، وكان سنه يوم قتل سبعاً وعشرين سنة وثلاثة اشهر ﴿ وقيل ﴾ ثماني وعشرين سنة ، وخلف من الولد الذكور اثنين موسى وعبد الله .

وكان الغالب عليه اسماعيل بن صبيح الحراني والفضل بن الربيع ، وعلى شرطه محمد بن المسيب ، ثم عزله وولاه ارمينية وصير مكانه محمد بن حمزة بن مالك ، ثم عزله وصير مكانه عبدالله بن خازم التميمي ؛ وكان على حرسه عصمة بن ابي عصمة ، وحجابته الى الفضل بن الربيع يقوم بها ولد الفضل .

وأقام الحج للناس في ولايته ، سنة ١٩٣ داود بن عيسى بن موسى ، سنة ١٩٤ علي بن هارون الرشيد ، سنة ١٩٥ داود بن عيسى ، سنة ١٩٦ العباس بن موسى بن عيسى وهو على مكة ، سنة ١٩٧ العباس .

وغزا بالناس فى سنة ١٩٤ الحسن بن مصعب من قبل ثابت بن نصر ، سنة ١٩٥ ثابت بن نصر الخزاعي ، سنة ١٩٦ ثابت بن نصر ، سنة ١٩٧ ثابت بن نصر

وكان الفقهاء فى ايامه ، محمد بن عمر بن واقد ، يحيي بن سليمان الطائفي ، ابو معاوية محمد بن حازم المكفوف ، اسباط مولى قريش ، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عبدالرحمان بن مسهر ، محمد بن كثير الكوفي صاحب التفسير ، سفيان بن عيينة ، وكيع بن الجراح ، عبد الله بن نمير ، يزيد بن اسحاق ، اسماعيل بن علية عبد الوهاب الثقفي ، يحيي بن سعيد القطان ، يزيد بن مالك ، الوليد بن مسلم صاحب الأوزاعي ، اسحاق الأزرق ، زيد بن هارون ، علي بن عاصم ، حماد بن عمرو سلم بن سالم التميمي .

أيام المأمون

وبويع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد — وأمه أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية — في سنة ١٩٥ على ما ذكرنا في أمره وأمر محمد ، وبايع له عامة أهل البلدان سنة ١٩٦ ، فلما كان في المحرم سنة ١٩٨ وقتل محمد اجتمع عليه أهل البلدان ولم يبق أحد إلا أعطى طاعته وادعى كل ممتنع في بلد أنه إنما كان في طاعة المأمون وعلى الميل اليه .

وكانت الشمس يومئذ في الميزان درجة وثلاثا وخمسين دقيقة ، والقمر فى الأسد ستا وعشرين درجة وعشرين دقيقة راجعا ، والمشتري في الحمل ثماني عشرة درجة وعشر دقائق راجعا ، والمريخ في الأسد اربع درجات وأربعين دقيقة ، والزهرة في الأسد اربعا وعشرين درجة ، وعطارد في السنبلة ثلاثا وعشرين درجة وعشر دقائق ، والرأس في الحمل اربعا وعشرين درجة وخمسين دقيقة .

ووجه المأمون المطلب بن عبد الله الخزاعي الى مصر عاملا عليها سنة ١٩٨ فاقام سبعة اشهر ثم ولى العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي مصر سنة ١٩٩ فوجه بابنه

عبد الله بن العباس فحبس المطلب بن عبد الله واستخلف ابراهيم بن تميم على الخراج ، وصير شرطته الى عبد العزيز بن الوزير الجروي وساءت سيرة عبد الله بن العباس فوثب السري بن الحكم واستمال الجند ثم حارب عبدالله حتى أخرجه من البلد وأخرج المطلب من الحبس فبايع له ونزل دار الامارة وبيت عبد الله بن العباس وأخذ كل ما كان معه من الأموال ، ومضى عبد العزيز الجروي الى تنيس فاقام متغلباً عليها وعلى ما والاها من كور أسفل الأرض وغلب السري بن الحكم على قصبة الفسطاط والصعيد ، وتغلب العباس بن موسى بن عيسى على الحوف في قيس فخذلته فأقام ببلبيس خمسة وثلاثين يوماً

وفي سنة ١٩٨ وجه المأمون الحسن بن سهل الى العراق عاملاً عليها وعلى غيرها من البلد وقد كان وثب الأصفر المعروف بـ ﴿ أبي السرايا ﴾ واسمه السري بن منصور الشيباني بالكوفة ومعه محمد بن ابراهيم العلوى المعروف بـ ﴿ ابن طبا طبا ﴾ ثم توفي محمد بن ابراهيم فاقام ابو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد فاخذ البصرة العباس ابن محمد بن موسى الجعفري ؛ وقدم زيد بن موسى بن جعفر بن محمد من الكوفة وقد كان خلع بها فصار الى البصرة مع العباس بن محمد الجعفري ، وأخذ واسط محمد بن الحسن المعروف بـ ﴿ السلق ﴾ وأخذ اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر ، وأخذ الحجاز محمد بن جعفر ؛ وتغلب على نصيبين وما والاها أحمد بن عمر بن الخطاب الربعي وبالموصل السيد بن أنس ، وبميا فارقين موسى بن المبارك اليشكري ، وبارمينية عبد الملك بن الجحاف السلمي ومحمد بن عتاب ، وبآذربيجان محمد بن الرواد الأزدي ويزيد ابن بلال اليمني ومحمد بن حميد الهمداني وعثمان بن افكل وعلي بن مر الطائي ؛ وبالجبل ابو دلف العجلي ومرة بن ابي الرديني وعلي بن البهلول ومحمد بن زهرة وسنان وزيد ابن . . . . . ﴿ وبالسلسلة وحص حساس ﴾ (١) وناحيتها بسطام بن السلس الربعي ، وبكفرتوثا ورأس عين حبيب بن الجهم ، وبكيسوم وما والاها من ديار

(١) كذا في الأصل ، وكتب في الهامش بدله عن نسخة (وبسيسية وحصن سنان)

مضر نصر بن شبث النصري ، وكان اصعب القوم شوكة وأشدهم امتناعاً ، وبقورس وما والاها من كور قنسرين عثمان بن ثمامة العبسي ، وبالحاضر الذي الى جانب حلب منيع التنوخي ، وقد كان يعقوب بن صالح الهاشمي يحارب الحاضر فلم يبق منهم أحد وافترقوا ايدي سبا فصار اكثرهم الى مدينة قنسرين وخرب يعقوب الحاضر حتى الصقه بالأرض وكان فيه عشرون الف مقاتل فهو خراب الى اليوم ؛ فكان بمعرة النعمان وتل منس وما والاها من اقاليم حمص الحواري بن حنطان التنوخي ؛ وبحماة وماوالاها حراق البهراني ، وبشيزر وما والاهـا بنو بسطام ؛ وبمدينة حمص بنو السمط وبالمصيصة وأذنة وما والاها من الثغور الشامية ثابت بن نصر الخزاعي ، وكان عاملا للأمين فلما كان من أمره ما كان تغلب على البلد ، وأقام بدمشق والأردن وفلسطين جماعة من سائر القبائل ، وبمصر السري بقصبة الفسطاط والصعيد ، وباسفل الأرض عبد العزيز الجروي ، وبالحوفين القيسية واليمانية ، وغلبت لخم وبنو مدلج على الاسكندرية ورئيس لخم رجل يقال له ﴿ أحمد بن رحيم اللخمي ﴾ ثم غلب الاندلسيون وكان ابتداء أمر الأندلسيين أنهم قدموا من الأندلس في أربعة آلاف مركباً فارسوا في ميناء الاسكندرية في الرمل وكانوا زهاء ثلاثة آلاف رجل فاقاموا على ساحل البحر وما (. . . .) ثم وثب بعض أعوان السلطان على رجل منهم فوقعت عصبية فوثب الأندلسيون على الفضل بن عبد الله أخي المطلب بن عبد الله وقتلوا صاحب شرطته وصاروا الى الحصن وحاربوا أهل الاسكندرية حتى أجلوهم عن منازلهم فخلوا الديار والأموال ورأسوا عليهم رجلا يقال له ابو عبد الله الصوفي يسفك الدماء ويقتل المسلمين ثم عزلوه وصيروا عليهم رجلاً يقال له الكناني وأجلوا بني مدلج ولخما عن البلد فصار البلد كله لهم ، وكان ببرقة مسلم بن نصر الأعور الأنباري .

فلما ولى المأمون الحسن بن سهل العراق وجه خليفته ذا العلمين علي بن ابي سعيد وكتب المأمون الى طاهر بن الحسين أن يمضي الى الجزيرة فيحارب نصر بن شبث

فلما قدم ذو العلمين العراق غاظ ذلك على طاهر وقال ما أنصفني أمير المؤمنين ثم نفذ الى الجزيرة لحارب نصراً وقدم الحسن بن سهل العراق فنزل النهروان وتوجه هرثمة الى ابي السرايا والتقوا بناحية الكوفة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ فكانت بينهم وقائع فانصرف هرثمة وزحف زهير بن المسيب الضبي اليه فهزمه ابو السرايا ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فوجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن ابي خالد في جيش عظيم فلقي أبا السرايا بموضع يقال له « الجامع » بين بغداد والكوفة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب من هذه السنة فقتله ابو السرايا وأسر أخاه هارون بن محمد ابن ابي خالد وجماعة من اصحابه ، وبلغ زهيراً الخبر فانصرف من قصر ابن هبيرة الى بغداد فرجع هرثمة في جيوش عظيمة فلقي أبا السرايا فلم يزل هرثمة حتى صار الى الكوفة فقاتله قتالاً شديداً حتى قتل عامة اصحاب ابي السرايا ودخل هرثمة الكوفة وخرج ابو السرايا منهزماً حتى صار الى واسط ثم الى الأهواز فلقيه الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بـ « المأموني » فهزمه وانصرف ابو السرايا راجعاً منهزماً الى « روستقباذ » وهو عليل شديد العلة من بطن به وبلغ حماداً الخادم المعروف بالكند غوش مكانه فهجم عليه فاخذه وأخذ معه محمد بن محمد العلوي وأبا الشوك مولاه فصار بهم الى الحسن بن سهل وهو بالنهروان فلما أدخل عليه قال له ابو السرايا استبقني أصلح الله الأمير قال لا أبقى الله علي إن أبقيت عليك فامر به فضربت عنقه وقطع بنصفين وصلب على جسري بغداد وأتي بمحمد بن محمد العلوي فقربه وأدناه وقال له لا خوف عليك لعن الله من غرك وولى خالد بن يزيد بن مزيد الكوفة .

وصار الحسن بن سهل الى المدائن ووجه الى محمد بن الحسن السلق (١) عبد الله

(١) كذا في الأصل ، وضبطه الزبيدي في التاج بمادة سلق (السليق) كأمير وقال « هم بطن من العلويين وهم بنو الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر الخطيب الحسني فيهم كثرة بالعجم ، وبطن آخر من بني الحسين منهم ينتهون الى محمد بن —

ابن سعيد الحرشي فالتقوا بواسط في شرقي دجلة فهزم ﴿ السلق ﴾ وفض جمعه ، ووجه عيسى بن يزيد الجلودي الى محمد بن جعفر العلوي وقد تغلب بمكة واخرج داود بن عيسى الهاشمي فلما قدم الهاشمي مكة لم يحاربه واستأمن اليه فاخذه الجلودي وخرج به بنفسه الى المأمون وهو بمرو وخلف ابنه بمكة فلما صار بجرجان توفي محمد بن جعفر وورد كتاب المأمون على الجلودي يأمره بالرجوع الى الحجاز فرجع .

ووجه حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان الى اليمن وابراهيم بن موسى بن جعفر العلوي متغلب بها فحاربه ابراهيم بمن معه من اليمن وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين ، وكان حمدويه قد استخلف على مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي فخرج ابراهيم بن موسى من اليمن يريد مكة وبلغ يزيد بن محمد فخندق عليه مكة وأرسل الى الحجبة فاخذ السرأر الذهب الذي كان بعث به المأمون من خراسان وصنم ملك التبت وضربه دنانير ودراهم وفرض فرضاً من الأعراب ودفع اليهم المال وصار ابراهيم الى مكة فوافقه يزيد في اصحابه وبعث ابراهيم بن موسى بعض اصحابه فدخل من الجبل فانهزم يزيد ولحقه بعض اصحابه فقتله ودخل ابراهيم الى مكة فغلب عليها وأقام بها حمدويه في ناحية من اليمن .

وأشخص المأمون الرضا علي بن موسى بن جعفر عليه السلام من المدينة الى خراسان وكان رسوله اليه رجاء بن ابي الضحاك قرابة الفضل بن سهل ، فقدم بغداد ثم أخذ به على طريق ماه البصرة حتى صار الى مرو ، وبايع له المأمون بولاية العهد من بعده ، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ وألبس الناس الأخضر مكان السواد وكتب بذلك الى الآفاق وأخذت البيعة للرضا ودعي له على المنابر وضربت الدنانير والدراهم باسمه ولم يبق احد إلا لبس الخضرة إلا اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي

— عبد الله بن محمد بن الحسن بن الحسين الأصغر ، لقب بالسليق ؛ قال ابو نصر البخاري لقب بذلك لسلاقة لسانه وسيفه » (م . ص)

الهاشمي فانه كان عاملا للمأمون على البصرة فامتنع من لبس الخضرة وقال هذا نقض لله وله ، وأظهر الخلع فوجه اليه المأمون عيسى بن يزيد الجلودي فلما أشرف على البصرة هرب اسماعيل من غير حرب ولا قتال ودخل الجلودي البصرة فأقام بها ، وصار اسماعيل الى الحسن بن سهل فحبسه وكتب في امره الى المأمون وكتب بحمله الى مرو فحمل فلما صار بالقرب من مرو أمر المأمون أن يرد الى جرجان فيحبس بها فاقام بجرجان محبوساً ممنوعاً منه ثم رضي عنه بعد حين ؛ ووجه ببيعة الرضا مع عيسى الجلودي الى مكة وابراهيم بن موسى بن جعفر بها مقيم وقد استقامت له غير أنه يدعو الى المأمون فقدم الجلودي ومعه الخضرة وبيعة الرضا فخرج ابراهيم فتلقاه وبايع الناس للرضا بمكة ولبسوا الأخضر ، وكان حمدويه بن علي بن عيسى لما خرج ابراهيم الى مكة استمال جماعة من أهل اليمن ثم خلع فكتب المأمون الى ابراهيم بن موسى بولاية اليمن وأمر الجلودي بالخروج معه ومعونته على محاربة حمدويه فخرج ابراهيم حتى صار الى اليمن فلم يخرج الجلودي معه فلحقه ابن حمدويه فحاربه فقتل من أصحابه خلقاً وانهزم ابن حمدويه وصار ابراهيم الى صنعاء فخرج حمدويه فحاربه محاربة شديدة فقتل من أصحاب ابراهيم خلقاً عظيماً وانهزم ابراهيم فلم يرد وجهه شيء دون مكة ، وانصرف الجلودي الى البصرة وقد تغلب عليها زيد بن موسى ونهب دوراً واموالا كثيرة للناس وكان معه جماعة من القيسية وغيرهم فلما قرب الجلودي حاربوه يومهم ذلك ثم انهزموا وانهزم زيد فاخذه عيسى وحمله الى المأمون فمن عليه وأطلق سبيله .

وشخص هرثمة من العراق الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بغير إذن من المأمون فلما دخل على المأمون « . . (١) . . » قال من نقرس ولا يمكنني أمشي فى محفة وكلم المأمون بكلام غليظ ودخل معه يحيى بن عامر بن اسماعيل الحارثي فقال السلام عليك يا أمير الكافرين فاخذته السيوف فى مجلس المأمون حتى قتل فقال

(١) بياض فى الأصل وفيه سقط ولعله (مم تأخرك) قال (أخ) (م ص)

هرثمة فنمت هذه المجوس على أوليائك وأنصارك فامر المأمون بسحب رجل هرثمة وحبسه فاقام في محبسه ثلاثة ايام ومات .

وخرج بخراسان منصور بن عبد الله بن يوسف البرم فوجه اليه المأمون (١) وبادر عبد الله فقتله ، ووثب محمد بن ابي خالد وأهل الحربية بالحسن بن سهل حتى أخرجوه من بغداد وأسروا زهير بن المسيب الضبي وذلك انه كان مع محمد بن ابي خالد (. . . .) وأتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن أنصار دولتكم وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس وقد أخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا فهلم نبايعك فانا نخاف أن يخرج هذا الأمر عنكم فقال لهم قد بايعت للمأمون وكان محمد بن صالح اول هاشمي بايع المأمون ببغداد ولست لكم بصاحب وصار الحسن بن سهل الى واسط فاتبعه محمد بن ابي خالد والحربية والأبناء فالتقوا بقرية ابي قريش دون واسط فكانت بينهم وقعة منكرة وأصاب محمد بن ابى خالد سهم فاثخنه فحمل الى جبل وأقام أياماً وتوفي فحمل الى بغداد وقام عيسى بن ابى خالد بالعسكر وقد كان محمد بن أبى خالد أسر زهير بن المسيب الضبي فلما أدخل محمد بن ابى خالد الى بغداد ميتاً وثب الأبناء على زهير بن المسيب وهو محبوس فقتلوه وشدوا فى رجله حبلاً فجروه فى طرق بغداد ومثلوا به فاجتمع قواد الحربية فبايعوا لابراهيم بن المهدى المعروف بـ « ابن شكلة » لخمس ليال خلون من المحرم سنة ٢٠٢ ودعي له بالخلافة وسمي بـ « المرضي » ونزل الرصافة وصلى بالناس ببغداد في مسجد المدينة وعسكر بكلواذى ومعه الفضل بن الربيع وعيسى بن محمد بن ابى خالد وسعيد بن الساجور وابو البط ، وكتب بالولايات وعقد الألوية واستقامت له الأمور وأطاعه الأبناء وأهل الحربية وما والاها إلا من كان في طاعة المأمون فانهم كانوا يحاربون مع حميد بن

(١) كذا فى الأصل ، وفى العبارة سقط وقد كتب فى الهامش وبادر (منصور بن) عبد الله . (م . ص)

عبد الحميد الطائي الطوسي ويصيحون ياعنقود يا مغني .

وكان ابراهيم أسود شديد السواد وبنصف وجهه شامة ، سمج المنظر وكانوا يدعونه عنقوداً لذلك ، ثم وثب أسد الحربي وكان من أصحاب ابراهيم في جماعة من الحربية فخلعوا ابراهيم ودعوا للمأمون وأخذ عيسى بن أبي خالد أسد الحربي وابناً له فقتلهما وصلبهما ، وكان حميد بن عبد الحميد نازلاً بموضع يقال له خان الحكم بنهرصرصر فراسل عيسى بن ابي خالد ليجتمعا ثم صار حميد الى بغداد فصلى ابن ابي رجاء القاضي صلاة الجمعة وانصرف الى معسكره .

وخرج مهدي بن علوان الشاري بناحية عُكبرا فخرج اليه المطلب بن عبد الله فواقعه وقعة بعد وقعة ثم هزمه فانصرف المطلب منهزماً الى بغداد وخرج اليه ابو اسحاق بن الرشيد فواقعه وهزم مهدي ولم يزل يتبعه حتى أسره فمن عليه المأمون وألزمه بابه وألبسه السواد فلم يزل على باب المأمون حتى مات .

وخرج المأمون من مرو متوجها الى العراق سنة ٢٠٢ ومعه الرضا عليه السلام وهو ولي عهده وذو الرئاستين الفضل بن سهل وزيره ، وقد كتب للفضل الكتاب الذي سماه ﴿ كتاب الشرط والحباء ﴾ يصف فيه طاعته ونصيحته وعظته وعنايته وذهابه بنفسه عن الدنيا وارتفاعه عما بذل من الأموال والقطائع والجوهر والعقد ويشرط له على نفسه كلما يسأل ويطالب لا يدفعه ولا يمنعه ؛ ووقع فيه المأمون بخطه وأشهد على نفسه فلما صار المأمون بقومس قتل الفضل بن سهل وهو في الحمام دخل عليه غالب الرومي وسراج الخادم بالسيوف فقتلاها المأمون جميعاً وقتل قوماً معهما ، وقتل ذا العلمين علي ابن ابي سعيد وكان ابن خالة الفضل بن سهل وقال إنه الذي دس في قتله ووجه برأسه الى الحسن بن سهل الى العراق ، وقتل خلف بن عمر البصري المعروف بـ (الحف) وموسى البصري وعبد العزيز بن عمران الطائي وغالباً الرومي وسراجاً الخادم ، وأقصى قوماً من قواده سماهم الشامتة ، وأظهر عليه أشد جزع ، ولم يوجد للفضل مال ولا ضيعة

ولا فرس ولا آنية إلا خمسة أعبد وفرساً وبرذوناً ﴿ قال غسان ﴾ بن عباد قلت للفضل يوماً أيها الأمير لو أمرت أن يتخذ لك ضياع وعقد فقال ولم ويحك إن دام ما أنا فيه فالدنيا كلها ضيعتي وعقدي وإن زال فما أنا فيه لا يزول إلا باصطلام ﴿ قال أبو سمير ﴾ وكنت أسمع الفضل بن سهل في أيام المأمون كثيراً ما يقول :

لئن نجوت أو نجت ركائبي * من غالب ومن لفيف غالب

إني لنجاء من الكرائب

وهو لا يدري من غالب ولا يذهب إلا الى قريش حتى دخل عليه غالب الرومي صاحب ركاب المأمون فقتله ، فقال الفضل لك مائة الف دينار فقال ليس بأوان عَلق ولا رشوة فقتله .

وكان المأمون كلما أقام ببلد أقام فيه حتى يصلح حاله وينظر في مصالح أهله واستخلف على خراسان عند خروجه رجاء بن أبي الضحاك قرابة الحسن بن سهل وكانت خراسان قد استقامت وأعطى ملوكها جميعاً الطاعة وأسلم ملك التبت وقدم على المأمون الى (. . . . . .) بصنم له من ذهب على سرير من ذهب مرصع بالجوهر فارسله المأمون الى الكعبة يعرف الناس هداية الله لملك التبت ، ولم يبق ناحية من نواحي خراسان يخاف خلافها فلما فصل المأمون عن خراسان قلت مداراة رجاء بن ابى الضحاك وضعف في تدبيره ولم يكن بالحازم في أموره فخاف المأمون أن يضطرب خراسان فعزله وولى غسان بن عباد فاحسن السيرة واستمال ملوك النواحي .

وفاة على الرضا عليه السلام

ولما صار الى طوس توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام بقرية يقال لها ﴿ النوقان ﴾ أول سنة ٢٠٣ ولم تكن علته غير ثلاثة أيام فقيل إن علي بن هشام أطعمه رماناً فيه سم وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً ﴿ فحدثني ﴾ ابوالحسن ابن ابي عباد قال : رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً في مبطنة بيضاء وهو

بين قائمتي النعش يقول ﴿ إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن ﴾ وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله ، ثم انصرف في اليوم الرابع ، وكانت سن الرضا عليه السلام اربعاً وأربعين سنة (وقال) أبوالحسن بن ابي عباد سمعت الرضا يقول : إن مشي الرجال مع الرجل فتنة المتبوع ومذلة للتابع ﴿ وسمعته ﴾ يقول : إن في صحف إبراهيم ﴿ أيها الملك المغرور إني لم أبعثك لتبني البناء ولا لتجمع الدنيا ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر ﴾ [وقال] المأمون ما التقت فئتان قط إلا نصر الله أعظمهما عفواً ﴿ وقال ﴾ إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ فأما صاحب سيف وسوط فلا ، إن من تعرض لسلطان جائر فاصابته منه بلية لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر فيها .

وقدم المأمون مدينة السلام في شهر ربيع الأول سنة ٢٠٤ ولباسه لباس قواده وجنده والناس كلهم الخضرة فاقام جمعة ثم نزعها وأعاد لباس السواد ، وتغيب ابراهيم ابن المهدي فلم يدر اين هو وخرج من منزله ومعه عبد الله بن صاعد كاتبه وامرأة من أهله فلما صار فى الطريق قال لعبد الله بن صاعد ارجع الى أمي فسلها أن تدفع الجوهر الذي عندها ؛ فرجع عبد الله ومضى هو فخفي موضعه ، وهرب الفضل بن الربيع الى البصرة فاستتر عند يزيد بن المنجاب المهلبي وأمر المأمون ان يقبض ضياعه وامواله وعقاراته ثم صار الى باب المأمون طالباً للأمان وقد كان بلغ المأمون أنه مات وشهد عنده بذلك جماعة فلما قيل للمأمون هذا الفضل بن الربيع قال إن كان بعث من الآخرة فقد بعث الرشيد معه ثم أدخله فاعطاه الأمان ومنّ عليه وأحضره ليلة فقال هبك تعتذر فى محمد بانه كانت له فى عنقك بيعة من الرشيد فما عذرك فى ابن شكلة وإنما محله محل المغنين والسفهاء إذ قويت عزمه على ما خرج اليه من خلعي بعد أن صارت بيعتي فى عنقك فقال : يا أمير المؤمنين ما أجد قلبي مكانه وقد عظم جرمي عن الاعتذار وجل ذنبي عن الاقالة وما أرجو الحياة إلا من سعة عفوك فهب دمي لجرمتي بآبائك فأمسك عنه

وردّ عليه ضيعة من ضياعه مبلغ ما لها ثلاثمائة الف درهم وستون الف قدّرها لقوته وقوت عياله ، فانزل المأمون محمد بن صالح بن المنصور دار الفضل بن الربيع وزوجه بخديجة ابنة الرشيد وأمر له بالفي الف درهم مكافاة على ما كان من مسارعته الى بيعته وطاعته والامتناع من بيعة ابراهيم وأعفاه من الركوب الى بابه والى دار العامة فكان يركب مكانه كاتبه جعفر بن وهب .

وزوج محمد بن الرضا عليه السلام ابنته أم الفضل وأمر له بألفي الف درهم وقال إني أحببت أن اكون جداً لمرء ولده رسول الله وعلي بن ابي طالب عليهما السلام فلم تلد منه ، وولى صالح بن الرشيد البصرة فاستخلف أبا الرازي محمد بن عبد الحميد ؛ وولى أبا عيسى بن الرشيد الكوفة فاستخلف محمد بن الليث ، وكان طاهر بن الحسين بالجزيرة في محاربة نصر بن شبث فوجه اليه بعهده على الجزيرة والشام ومصر ، وولى دينار بن عبد الله الجبال وقد كان الحسن بن سهل ولى الجبل بأمر المأمون الحسن بن عمرو الرستمي فخلع ايضاً وأظهر المعصية فلما قدم دينار حاربه فاسره وأسر علي بن البهلول ووجه المأمون بنصر بن حمزة بن مالك الخزاعي الى الثغر ، وقد ولى الرشيد اباها ثابت ابن نصر بن مالك الخزاعي وخيف معصيته فتسلمها منه نصر بن حمزة وتولى الثغور ولم يلبث ثابت بن نصر إلا أقل من جمعة حتى مات فقيل إن نصر بن حمزة بن مالك سقاه السم .

ووجه المأمون بعيسى بن يزيد الجلودي عاملاً على اليمن وبها حمدويه بن علي بن عيسى متغلباً قد أظهر المعصية بعد خروج ابراهيم بن موسى بن جعفر العلوي فلما صار الى مكة أشخص ابراهيم بن موسى الى بغداد وولى مكانه عبيد الله بن الحسن العلوي بعهد من المأمون ونفذ الجلودى الى اليمن ، وزحف اليه حمدويه فالتقوا لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٢٠٥ فدعاه الى الطاعة فامتنع وشبت الحرب بينهم فقتل من اصحاب حمدويه خلق عظيم وانهزم حمدويه حتى دخل مدينة صنعاء فاتبعه الجلودى

حتى صار الى الدار التي كان ينزلها فاخذه الجلودي وهو في ثوب جارية فقال له سوأة لك قائد ابن قائد يقاتل الخليفة ويفر من الموت هذا الفرار قد آمنك الله على دمك حتى تصير الى أمير المؤمنين فيحكم فيك برأيه وأشخصه الى المأمون .

ووثب الجند بطاهر بن الحسين وهو بالرقة يحارب نصر بن شبث فانصرف الى بغداد وولى مكانه يحيى بن معاذ فاقام بالرقة حتى توفي ، وولى المأمون طاهراً الشرط فاقام سنة ثم شكا الى احمد بن ابي خالد الأحول كاتب المأمون تبرمه المقام بالباب ومحبته الخروج من بغداد وكان بينهما مودة وخلة وجعل له ثلاثة آلاف الف درهم فاحتال احمد ابن ابي خالد أن كتب عن غسان بن عباد عامل خراسان كتاباً الى المأمون فيه ﴿ إن تعفني من خراسان ﴾ فقال المأمون والله ما أعرف في المملكة إلا خراسان وما أدري ما حمل هذا الجاهل على الاستعفاء إلا أن يكون ما رأى نفسه لها أهلاً ، فقال له احمد ابن ابي خالد فولها طاهراً فولى طاهر بن الحسين خراسان في أول سنة ٢٠٦ مكان غسان بن عباد فقدمها طاهر وقد خرج حمزة الشاري بها فوجه اليه بجيش بعد جيش ثم توفي حمزة فقام بعده ابنه ابراهيم بن النصر (١) التميمي فلم يزل أيام طاهر ؛ وقدم غسان بن عباد من خراسان فحجبه المأمون عنه أشهراً ثم كتب الحسن بن سهل فيه فاذن له فقال يا امير المؤمنين جعلني الله فداك ما ذنبي قال تستعفيني من خراسان وهي المملكة باسرها « . . (٢) . . » فحلف له على ذلك ووقف على تدبير احمد بن ابي خالد .

وولى المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة والشام ومصر والمغرب وصيّر اليه جميع أهلها وأمره بمحاربة المتغلبين بها فنفذ عبد الله في سنة ٢٠٦ بعد نفوذ أبيه الى خراسان بشهرين فصار الى الرقة فواقع نصر بن شبث النصري المتغلب بكيسوم وما والاها من ناحية الجزيرة وكتب الى سائر المتغلبين في النواحي من الجزيرة والشامات وأنفذ

(١) كذا في الأصل ولعله بن (حمزة) التميمي .

(٢) بياض في الأصل ، وفيه سقط ولعله (فقال لم أفعل) فحلف .

اليهم الرسل في المعاون فكتب القوم جميعاً أنهم في الطاعة وسألوه ان يكتب لهم الأمانات فقبل ذلك منهم .

ووجه المأمون خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني الى مصر ومعه عمر بن فرج الرخجي في جيش وأمرها أن يتكانفا على النظر فاذا فتحا البلاد نظر عمر بن فرج الرخجي في أمر الخراج وكان الى خالد المعاون والصلات فسارا من العراق وأخذا طريق البرية حتى صارا بفلسطين ثم قدما الى مصر وعلي بن عبد العزيز الجروي متغلب باسفل الأرض فلما قربا منه كتب اليهما أنه في السمع والطاعة وأنه لم يزل وابوه على ذلك وأن كتبهما لم تزل بهذا فصار خالد بن يزيد وعمر بن فرج الى ناحية أسفل الأرض فاقاما عدة شهور يكاتبان عبيد الله بن السري ثم زحف اليه خالد فاقام عمر بموضعه وخرج عبيد الله من الفسطاط لمحاربة خالد فلما التقيا خذل خالداً اصحابه الذين كان الجروي أنفذهم معه فحارب خالد ساعة في مواليه وعشيرته وكاثره عبيد الله وأسره فاقام عنده مكرماً في أحسن حال وأجلها ثم حمله في البحر وزوده وأجازه الى العراق وكان خالد يقول « ما شكرت أحداً شكري لعبيد الله بن السري لقد أحسن الي كل إحسان لولا أنه حملني في البحر » وأقام عمر بن الفرج باسفل الأرض إلى أن حضر وقت الحج فبذرقه (١) ابن الجروي الى مكة .

وكتب صاحب الخبر بخراسان يذكر أن طاهر بن الحسين صعد المنبر في يوم الجمعة فخطب الناس ولم يدع لأمير المؤمنين ، فدعا المأمون باحمد بن ابي خالد ليلاً فقال له بعثني بثلاثة آلاف الف درهم أخذتها من طاهر ، فقال أنا أخرج اليه فاكفيك أمره فامره أن يتجهز ثم ورد كتاب طاهر على أحمد بن ابي خالد يسأله أن يوجه اليه محمد بن فرخ العمركي — وكان أحب الناس الى طاهر وأوثقهم في نفسه — فقال احمد بن ابي خالد للمأمون يا امير المؤمنين إن محمد بن فرخ يقوم بما كنت أقوم به فأقطع عدة

(١) البذرقة بالذال المعجمة والمهملة ، الخفارة فارسي معرب (تاج العروس)

قطائع ووصل بمال عظيم ونفذ الى خراسان فما أقام عنده شهراً حتى توفي ﴿ فيقال ﴾ إن ابن أخي العمركي سقاه سماً فقتله ، وتوفي طاهر بن الحسين في سنة ٢٠٧ وهو ابن ٤٨ سنة فولى المأمون ابنه طلحة بن طاهر خراسان وأنفذ أحمد بن ابي خالد في الجيش الذي كان ضمه اليه فنفذ الى خراسان وقدم معه الأفشين حيدر بن كاوس الأشروسني وجماعة من أبناء ملوك خراسان .

وبلغ المأمون أن بشر بن داود المهلبي عامل السند قد خالف فوجه حاجب بن صالح عاملا مكانه فلما صار بمكران ألفى اخاً لبشر بن داود فقال له ﴿ سلم العمل إذ سبيل كتاب العمل أن يقرأه بشر ليكتب بالتسليم ﴾ وقال ﴿ إنما أنا من قبل بشر وبشر بالمنصورة وبينك وبينه يومان فاذا اجتمعت معه وكتب إلي بالتسليم سلمت اليك ﴾ فوقعت بينهما المنازعة وكتب الى المأمون يخبره أن بشراً قد خلع وأنه على محاربته فاحضر المأمون محمد بن عباد المهلبي وكان سيد أهل البصرة في زمانه فقال قد خالف بشر فقال معاذ الله ، قال فاخرج مع غسان بن عباد فوجه مع غسان بجماعة من القواد وبموسى بن يحيي بن خالد البرمكي وأمره ان يولي موسى البلد فلما صار غسان الى بلاد السند خرج اليه بشر وأعطاه الطاعة من غير حرب ولا منازعة فأشخصه وولى البلد موسى ابن يحيي فلم يزل موسى فى البلد حتى مات فصار ابنه عمران بن موسى مكانه ، ولما قدم بشر بن داود العراق ومن كان معه من آل المهلب أطلقهم المأمون جميعاً وأحسن اليهم .

وظفر المأمون بابراهيم بن المهدي ابن شكلة فى اول سنة ٢٠٨ ظفر به ليلا فجلس في تلك الليلة جلوساً عاماً وحبسه عند احمد بن ابي خالد بغير وثاق وأمره بالاحسان اليه ثم كتب ابراهيم من حبسه — وهو لا يشك أنه يقتله — كتاباً الى المأمون قال فيه ﴿ ولي الثأر يا أمير المؤمنين محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، من تناوله الاغترار بما مدّ له من الرخاء أمن عادية الدهر على نفسه وقد

جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان عفوت فبفضلك وإن أخذت فبحقك ﴾ فوقع المأمون في رقعته ﴿ القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة بينهما عفو الله وهو من اكثر ما نسأله ﴾ وخلى سبيله وعفا عنه ، وقال ﴿ إني شاورت جميع أصحابي في أمرك حتى شاورت أخي أبا اسحاق وابني العباس فكلهم أشار علي بقتلك فابيت إلا العفو عنك ﴾ فقال ﴿ أما أن يكونوا قد نصحوك في عظم الخلافة وتدبير الملك فقد فعلوا ولكنك أبيت أن تستجلب نصر الله من حيث دعوك ﴾ وكان المأمون شاور فيه اصحابه جميعاً فكل أشار بقتله فقال لهم ﴿ إن قتلته كنت متبعاً للملوك قبلي فيما فعلته بمن ناواها ونازعها ، وإن عفوت كنت أمة وحدي ﴾

ووثب ابن عائشة وهو ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس في جماعة معه منهم مالك بن شاهي النفري من أهل السواد ومحمد ابن ابراهيم الافريقي فدونوا الدواوين وأثبتوا اسماء الرجال وسموا العمال ، فظفر به المأمون فحبسه في المطبق فاستمال ابراهيم بن عائشة أهل المطبق حتى حملهم على الوثوب وأن يشغبوا وتنصروا وشدوا الزنانير في أوساطهم والصلب في أعناقهم ورفع محمد بن عمران صاحب البريد خبرهم فركب المأمون الى المطبق ليلا كما صح عنده الخبر وأحضر جماعة من قواده ودعا بابراهيم فضرب عنقه وقتل الذين كانوا معه وهم الافريقي وفرج البغواري وصلب ابن عائشة ببغداد ثلاثة ايام ثم انزله وكان ذلك في سنة ٢١٠

وشخص المأمون من بغداد الى فم الصلح وهو منزل الحسن بن سهل فتزوج بوران بنت الحسن بن سهل فعرس بها هناك فكان عرساً لم يُر مثله فانفق الحسن بن سهل على المأمون وجميع من معه من أهل بيته وكتابه واصحابه وجميع من حوى عسكره من الاتباع أيام مقام المأمون ونثر عليهم الضياع والقرى والجواري والوصفاء والخيل والدواب ، فكانت تكتب اسماء هذه الأنواع في رقاع صغار وتجعل في بنادق المسك وتنثر على الناس فكلما اخذ انسان بندقة نظر الى الرقعة فيها ثم قبضها من الوكلاء

ثم نثر على الناس الدراهم والدنانير وفأر المسك وقطع العنبر ، وأقام المأمون أربعين يوماً ثم انصرف .

وفتح عبد الله بن طاهر كيسوم فظفر بنصر بن شبث في هذه السنة وهي سنة ٢١٠ وحمله الى المأمون ﴿ فحكى ﴾ ابن منصور بن زياد وكان على بريد عبد الله بن طاهر وكتب بخبره الى المأمون (إن عبد الله بن طاهر يخرج في كل ليلة من عسكره ويخرج اليه نصر بن شبث فيجتمعان ويتحدثان) فدعا المأمون بعمرو بن مسعدة فامره أن يظهر علة يحتاج أن يقيم لها في منزله وأن يخرج على خمس عشرة دابة من دواب البريد ولا يعلم أحد حتى يصير الى عبد الله بن طاهر ويقول له يا بن الفاعلة لقد همّ أمير المؤمنين أن يأمر عبداً أسود ثم يوجهه مكانك ويجعلك سائساً له ، وأمر عمراً أن لا يسلم عليه ولا يسمع له جواباً فخرج عمرو فلما اجتمع مع عبد الله لم يسلم عليه حتى بلغه الرسالة على رؤوس الناس ثم انصرف ولم يسمع منه جواباً ، فلما كان يوم الأربعين من مصير عمرو وافى نصر بن شبث وسار عبد الله ليستقري الشأم بلداً بلداً لا يمر ببلد إلا أخذ من رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك والزواقيل (١) وهدم الحصون وحيطان المدن ، وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر وضمهم جميعاً ، ونظر في مصالح البلدان وحط عن بعضها الخراج فلم يبق مخالف ولا خالع إلا خرج من قلعته وحصنه ، وسار عبد الله بالقوم جميعاً الى مصر فلقيه علي بن عبد العزيز الجروي المتغلب كان باسفل الأرض فاعلمه أنه لم يزل هو وابوه في الطاعة فقبل قوله وسيره معه حتى نزل ببلبيس فواقع عبيد الله بن السري وقعات وجعل أصحاب عبيد الله يستأمنون شيئاً بعد شيء حتى لم يبق معه ممن كان يعتمد عليه احد فلما رأى ذلك طلب الأمان على أن يسوغ ما أخذ ويطلق له جباية الصعيد شهرين فاجابه الى ذلك وأعطاه الأمان وقال لو شرط أن أضع له خدي في الأرض يطأ عليه لفعلت ، وكان ذلك قليلاً عندي في جنب ما أوثره

(١) الزقل بالضم والزواقيل ، اللصوص . (تاج العروس)

من حقن الدماء ، فخرج اليه لعشر بقين من صفر سنة ٢١١ .

ودخل عبدالله بن طاهر الفسطاط وكتب بالفتح ، وأقر عبد الله بن طاهر عبيدالله ابن السري على الصعيد شهرين ثم سيره الى العراق ، ثم ولى العباس بن هاشم بن باتيجور البلد ، وكان قوم من الأندلس قد تغلبوا بالاسكندرية فزحف اليهم عبدالله فحاصرهم حصاراً شديداً ثم آمنهم وفتح الاسكندرية سنة ٢١٢ وولاها الياس بن اسد الخراساني وانصرف الى الفسطاط ثم صار الى العراق وحمل معه الجروي وجماعة من أهل مصر والشأم واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجلودي .

فكان احمد بن محمد العمري من ولد عمر بن الخطاب قد وثب باليمن وأخرج محمد بن نافع واحتوى على بيت المال فولى المأمون أبا الرازي محمد بن عبد الحميد اليمن فلما قدم ضرع العمري الى الأمان فاعطاه إياه ثم مكر به ابو الرازى فاخذه وجماعة من أهل بيته وولده فاوثقهم في الحديد وحملهم الى باب المأمون وأخذ أهل اليمن باداء خراجين جباهما ابن العمرى ووجه الى ابراهيم بن ابي جعفر الحميرى المعروف بالمناخي وكان في جبل له منيع يأمره بالمصير اليه فلم يصر اليه فزحف اليه يريده فلما صار الى الجبل سلك طريقاً ضيقاً وخرج ابن ابي جعفر فقتله وقتل خلقاً من اصحابه وأسر خلقاً فقطع أيديهم وأرجلهم وخلى سبيلهم ، وغلب ابراهيم بن ابي جعفر على اليمن وخرب مدينة السلطان ، وكان ذلك في سنة ٢١٢ .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن مالك الخزاعي في ذي الحجة وفيها كثر الحريق في الكرخ .

وكان المأمون قد ولى طاهر بن محمد الصنعاني إرمينية وآذربيجان * وقيل * بل وجه هرثمة بن أعين من همذان وهو متوجه الى العراق فصار الى ورثان من عمل آذربيجان وكاتب قواد إرمينية ووجوه جندها فبايعوا المأمون وكان العامل عليها من قبل المخلوع اسحاق بن سليمان فكان معه عمر والحزون ونرسى وعبد الرحمان بطريق

الران وجماعة من البطارقة وأقبل يريد برذعة ليوقع باهلها لاخراجهم ابنه فوجه اليهم طاهر عامل المأمون زهير بن سنان التميمي في خلق عظيم فالتقوا فاقتتلوا عامة يومهم ثم انهزم اسحاق بن سليمان وأصحابه وأسر ابنه جعفر بن اسحاق بن سليمان فوجهه ومن معه من الأسارى الى المأمون ولم يقم طاهر الصنعاني إلا أياماً حتى خرج عليه عبد الملك بن الجحاف السلمي خالعاً ووثب في أهل البيلقان فحصروا طاهراً في مدينة برذعة فاقام محصوراً عدة أشهر وبلغ المأمون فولى سليمان بن احمد بن سليمان الهاشمي فقدم البلد وطاهر محصور فاخرجه وصرفه وأعطى عبد الملك الأمان واستقامت البلاد ، ثم ولى حاتم بن هرثمة بن أعين إرمينية فقدم البلد وقد وقعت بين المعتزلة والجماعة العصبية فبعضهم يقتل بعضاً حتى كادوا يتفانون ثم اصطلحوا ولم يقم حاتم بن هرثمة في البلد إلا أياماً قلائل حتى أتاه خبر موت أبيه هرثمة والحال التي مات عليها فخرج من برذعة حتى نزل ﴿ كسال ﴾ فبنى فيها حصناً وعمل على أن يخلع وكاتب البطارقة ووجوه أهل إرمينية وكاتب بابك والخرمية وهوّن أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك والخرمية وغلب بابك في عمل آذربيجان وبلغ المأمون الخبر فولى يحيي بن معاذ بن مسلم مولى بني ذهل إرمينية (. . . .) ففعل ذلك وأوقع يحيي بن معاذ وقعات لم يظهر عليه في وقعة منها وكان المأمون قد أمر عيسى بن محمد بن ابي خالد القائد المحارب كان فى أيام المخلوع فلما لم يحمد أثر يحيي ولى عيسى إرمينية وآذربيجان وأمره أن يجهزهم ويعطيهم الأرزاق من ماله فجهزهم عيسى بن محمد من ماله وهم الذين كانت ناحيتهم بمدينة السلام وخرج فلم يبق ببغداد أحد من الجند الحربية الذين كانوا فى الفتنة فلما صار فى البلد أتاه محمد بن الرواد الأزدي وجميع رؤساء تلك البلاد فاحتشد لقتال بابك وأخذ فى مضيق فلقيه بابك فيه فهزمه فمر عيسى مولياً لا يقف على شيء فصاح به بعض شطار الحربية الى اين يا أبا موسى فقال ليس لنا فى قتال هؤلاء بخت إنما نحشى فى قتال المسلمين وانصرف من آذربيجان الى إرمينية وقد عصى سوادة بن عبد الحميد الجحافي فعرض عليه عيسى

أن وليه إرمينية فابى إلا محاربته فحاربه فهزمه بعد جهد واستقامت لعيسى بن محمد إرمينية واستعظم أمر بابك بالبذ فولى المأمون زريق بن علي بن صدقة الأزدي فلم يصنع شيئاً فولى ابن حميد الطوسي فلما بلغ زريقاً خبر صرفه خلع وأظهر المعصية ، وقدم محمد بن حميد البلد فحاربه زريق فقتل محمد أصحابه ثم طلب الأمان فآمنه وحمله الى المأمون ، وأقام محمد بن حميد حتى نقى البلاد ممن كان يخاف ناحيته فلما امكنه محاربة بابك عبأ لقتاله وزحف اليه فحاربه محاربة شديدة له في كل ذلك الظفر ثم صار الى موضع ضيق فيه حزونة فترجل ابن حميد وجماعة معه فحمل عليهم أصحاب بابك فقتل محمد وجماعة من وجوه أصحابه وانهزم العسكر وأقام على الجيش مهدي بن أصرم قرابة لابن حميد ، وكان ذلك فى أول سنة ٢١٤ ، ولما قتل محمد بن حميد ولى المأمون عبد الله بن طاهر وعقد له على كور الجبال وارمينية وآذربيجان وكتب الى القضاة وعمال الخراج بالانتهاء الى أمره فخرج عبد الله وأقام بالدينور وكتب الى مهدي بن أصرم ومحمد بن يوسف وعبد الرحمان بن حبيب القواد الذين كانوا مع محمد بن حميد أن يقيموا بمواضعهم ، وتوفي طلحة بن طاهر بخراسان فولى المأمون مكانه عبد الله ووجه اليه بعهده وعقده مع اسحاق ابن ابراهيم ويحيي بن اكثم قاضي القضاة فنفذ عبد الله الى خراسان في هذه السنة فولى المأمون آذربيجان ومحاربة بابك علي بن هشام ، وولى عبد الأعلى بن احمد بن يزيد بن أسيد السلمي ارمينية فقدم البلد وقد تغلب على جرزان محمد بن عتاب وانضمت اليه الصنارية فحاربه فهزمه ابن عتاب ولم يكن له ضبط ولا معرفة بالحرب فولى المأمون خالد بن يزيد بن مزيد فاخرج من كان فى الحبس بالعراق من عشيرته وشخص الى الجزيرة فانضم اليه خلق عظيم من ربيعة ثم صار الى البلد فلما قدم خلاط أتاه سوادة بن عبد الحميد الجحافي فآمنه ثم صار الى النشوى وقد كان تغلب بها يزيد بن حصن مولى بني محارب فهرب يزيد بن حصن وأتى « كسال » فاقام بها وبعث الى محمد بن عتاب وأتاه فى الأمان مظهراً للطاعة فآمنه خالد ثم قال الصنارية في طاعتك فقال له محمد بن عتاب ما هم لي

في طاعة فزحف اليهم خالد فوافهم بجرزان فهزمهم وأخذ مواشيهم ثم دعا الى الصلح وصالحهم على ثلاثة آلاف رَمَكة (١) وعشرين الف شاة فلم يلبثوا إلا قليلا حتى . . (٢) . . ووثب معهم القيسية وشغبوا على خالد وكان في القوم علي بن يحيى الأرمني فاسره خالد وأسر جماعة ووجه بهم الى المأمون فصيرهم في ناحية ابى اسحاق المعتصم وضمهم اليه وفرض لهم ؛ ثم ولى المأمون عبد الله بن مصاد الأسدي مكان خالد وأشخص خالداً اليه فخاف خالد أن يكون قد سعى عنده فلما قدم ضمه الى اخيه المعتصم وقدم عبد الله بن مصاد الأسدي البلد فلم يقم إلا يسيراً حتى مات واستخلف ابنه علياً فاضطرب البلد ، وولى المأمون الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بـ [المأموني] فقدم والبلد مضطرب فقاتل أهل قلعة « الماهس » ففتحها وانصرف الى دبيل فأقام بها وكتب الى اسحاق بن اسماعيل بن شعيب التفليسي في حمل الأموال فدافعه اسحاق وردّ رسله فزحف الى تفليس فلما قرب منه خرج اليه فاعطاه مالاً فانصرف عنه .

وعقد المأمون لأخيه ابي اسحاق على مصر والمغرب ولابنه العباس على الجزيرة سنة ٢١٤ فقدم العباس الجزيرة وقد وثب بلال الشاري فاجتمع هو وابو اسحاق وجماعة من معهما من القواد عليه فظفروا به فقتلوه ووثبت القيسية واليمانية بمصر بناحية الحوف فحاربهم عيسى بن يزيد الجلودى فهزموه غير مرة فوجه ابو اسحاق بعمير بن الوليد عاملاً على مصر مكان الجلودى فحاربهم واكثر فيهم النكاية ثم قتل فامر المأمون ابا اسحاق أن ينفذ اليهم فسار اليهم من الرقة فدعاهم الى الأمان فأبوا عليه فقاتلهم فظفر بهم وأسر عبد الله بن جليس الهلالي رئيس القيسية وعبد السلام الجذامي رئيس اليمانية فضرب أعناقهما وصلبهما على جسر مصر وأسر منهم خلقاً عظيماً حملهم الى بغداد ووشى يحيى بن اكثم بالمعتصم الى المأمون وقال له إنه بلغني أنه يحاول الخلع فوجه اليه يأمره

(١) الرمكة محركة الفرس والبرذونة التي تتخذ للنسل ، الجمع رمك .
(٢) بياض في الأصل ولعله حتى (عصوا) ووثب . (م ص)

بالقدوم له وأن يكون مقيماً حتى يوافيه فسار على مائتي بغل اشتراها وحذفها واستخلف على الفسطاط عبدويه بن جبلة .

وخرج المأمون متوجهاً الى ارض الروم في المحرم سنة ٢١٥ فغزا الصائفة وافتتح أنقرة نصفاً بالصلح ونصفاً بالسيف وأخربها وهرب منويل البطريق منها وفتح حصن شمال ثم انصرف فنزل دمشق ثم أتاه الخبر أن اهل ﴿ البشرود ﴾ من كور مصر قد ثاروا فأمر أخاه أبا اسحاق أن يوجه الأفشين حيدر بن كاوس فوجه به وكف عاديتهم ، ونفذ الى برقة وقد خالف أهلهـا فافتتحها وأسر مسلم بن نصر بن الأعور وانصرف الى مصر سنة ٢١٦ وقد عاود اهل الحوف واهل البشرود المعصية فحاربهم .

وغزا المأمون أرض الروم سنة ٢١٦ ففتح اثني عشر حصناً وعدة مطامير ، وبلغه أن طاغية الروم قد زحف فوجه العباس ابنه فلقيه فهزمه وفتح الله على المسلمين ، ووجه اليه توفيل ملك الروم بالأسقف صاحبه وكتب اليه كتاباً بدأ فيه باسمه فقال المـأمون لا أقرأ له كتاباً يبدأ فيه باسمه ورده فكتب اليه توفيل بن ميخائيل لعبد الله ﴿ غاية الناس الشرف ﴾ (١) ملك العرب من توفيل بن ميخائيل ملك الروم من قبل . . . وسأل أن يقبل منه مائة الف دينار والأسرى الذين عنده وهم سبعة آلاف أسير وأن يدع لهم ما افتتحه من مدائن الروم وحصونهم ويكف عنهم الحرب خمس سنين فلم يجبه الى ذلك وانصرف الى كيسوم من أرض الجزيرة من ديار مضر .

وتوفيت أم جعفر بن ابي جعفر بن المنصور يوم الاثنين لأربع بقين من جمـادى الأولى سنة ٢١٦ وفي هذا اليوم ورد نعي عمرو بن مسعدة مات بأذنة ، وفي هـــذه السنة توفي طوق بن مالك الربعي في شهر رمضان .

واشتدت شوكة من كان يحارب الأفشين بمصر من أهل الحوف والبيما والبشرود وهي من كور اسفل الأرض فخرج المأمون الى كور مصر وقدم الافشين في محاربة أهل

(١) كذا فى الأصل ، ولعل فيه تحريفاً وسقطاً . (م . ص)

الحوف فزحف اليهم بنفسه فقتلهم وسبى البيا وهم قبط البشرود واستفتى في ذلك فقيها
بمصر يقال له الحارث بن مسكين مالكي فقال إن كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا يحل
دماؤهم وأموالهم ، فقال المأمون ﴿ أنت تيس ومالك أتيس منك ﴾ هؤلاء كفار
لهم ذمة إذا ظلموا تظلموا الى الامام وليس لهم ان يستنصروا با . . « ١ » . . ولا
يسفكوا دماء المسلمين فى ديارهم وأخرج المأمون رؤساءهم فحملهم الى بغداد .

ووشى محمد بن ابي العباس الطوسي واحمد بن ابي دؤاد بيحيي بن اكثم الى المأمون
تقربا الى ابي اسحاق فسخط عليه المأمون وأمر بنفيه من عسكره ونزع السواد عنه
وأخرجه الى بغداد وأمره أن لا يخرج من منزله فاخرج من مصر وأرسل موكلين
به ، وسخط ايضاً على عيسى بن منصور القائد الرافقي وأخرجه من عسكره وكان
السخط عليها فى يوم واحد ، وكان مقام المأمون بمصر سبعة وأربعين يوما قدم لعشر
خلون من المحرم وخرج لثلاث بقين من صفر سنة ٢١٧ ؛ وقدم دمشق منصرفا من
مصر فأقام أياما ثم شخص الى الثغر فنزل ﴿ أذنة ﴾ معسكراً بها وقد كان ابو سعيد
محمد بن يوسف الطائي وعبد الرحمان بن حبيب وغيرهما من اصحاب محمد بن حميد الطوسي
الذين كانوا بآذربيجان صاروا الى باب المأمون فرقوا على علي بن هشام ونسبوه الى
الخلاف والمعصية فكتب العباس بن سعيد الجوهري صاحب بريد علي بن هشام بمثل
ذلك فوجه المأمون بعجيف بن عنبسة وكان من أجل قواده وأحمد بن هشام واشخص
عجيف عليا الى أذنة فأمر المأمون بضرب عنقه وعنق أخيه الحسين بن هشام وكان
المتولي لذلك منهما بيده ابن اختهما احمد بن الخليل بن هشام ونصب رأس علي بن هشام
على قناة أياما ثم وجه به الى برقة فجعل فى المنجنيق ثم رمي به فى البحر .

وغزا المأمون بلاد الروم فى هذه السنة وهي سنة ٢١٧ وصار الى حصن من حصون
الروم يقال له ﴿ لؤلؤة ﴾ فأقام عليه حينا لم يفتحه فبنى عليه حصنين أنزل فيهما

---

(١) بياض فى الأصل ، وقد كتب فى الهامش مكانه (باسيافهم) (م ص)

أبا اسحاق والرجال ثم قفل متوجهاً الى قرية يقال لها ﴿ سلغوس ﴾ وخلف على حصنه أحمد بن بسطام وخلف ابو اسحاق على حصنه محمد بن الفرج بن ابي الليث بن الفضل وصير عندهم زاد سنة ، وخلف المأمون على جميع الناس عجيف بن عنبسة فمكرت الروم أصحاب لؤلؤة بعجيف فاسروه فمكث في ايديهم شهراً وكاتبوا ملكهم فسار نحوهم فهزمه الله بغير قتال وظفر من كان في الحصنين من المسلمين بعسكره فحووا كل ما كان فيه فلما رأى ذلك أهل لؤلؤة وأضرّ بهم الحصار طلب رئيسهم الحيلة فقال لعجيف اخلي سبيلك على أن تطلب لي الأمان من المأمون فضمن له ذلك فقال أريد رهينة فقال انا احضرك ابني فوجه الى خليفته ان يوجه اليه بفراشين نصرانيين ﴿ وسحوسان ﴾ (١) ويجملان فوجه معها بجماعة من غلمان نصارى في زي المسلمين ففعل ذلك فدفعهم عجيف اليهم وخرج فلما صار الى المعسكر كتب اليهم (ان الذين في ايديكم نصارى وأنتم مخيرون فيهم) فكتب اليه رئيسهم (إن الوفاء حسن وهو من دينكم أحسن) فاخذ لهم عجيف الأمان وفتحها واسكنها المسلمين .

وصار المأمون الى دمشق سنة ٢١٨ وامتحن الناس في العدل والتوحيد وكتب في إشخاص الفقهاء من العراق وغيرها فامتحنهم في خلق القرآن واكفر من امتنع أن يقول القرآن غير مخلوق وكتب أن لا تقبل شهادته ، فقال كل بذلك إلا نفراً يسيراً وكتب المأمون على عنوانات كتبه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فكان أول من أثبتها على عنوانات كتب الخلفاء ، وكبر بعد كل صلاة فبقي ذلك سنة ، وحوّل العلم عند مواقيت الصلاة ، ونزع المقاصير من المساجد الجامعة وقال هذه سنة أحدثها معاوية ، وكان بشر بن الوليد الكندي قاضي المأمون ببغداد قد ضرب رجلاً قُرف بانه شتم أبا بكر وعمر وأطافه على جمل فلما قدم المأمون أحضر الفقهاء فقال إني قد نظرت

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله (ويتجوشنان) أي يلبسان الجوشن وهي الدرع ، وفي الهامش كتب بدله (ويجوشنان) (م . ص)

في قضيتك يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم أقبل على الفقهاء فقال أفيكم من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال يا بشر بما أقمت الحد على هذا الرجل ؟ قال بشتم ابي بكر وعمر قال حضرك خصومه ؟ قال لا قال فوكلوك ؟ قال لا قال فللحاكم أن يقيم حد القرفة بغير حضور خصم ؟ قال لا قال وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصته فيبطل الحد ؟ قال لا قال فاهما كافرتان او مسلمتان ؟ قال بل كافرتان قال فيقام في الكافرة حد المسلمة ؟ قال لا قال فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحق أفيشهد عندك شاهدا عدل ؟ قال قد زكي أحدهما قال فيقام الحد بغير شاهدين عدلين ؟ قال لا قال ثم أقمت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر رمضان ؟ قال لا قال ثم جلدته وهو قائم فالمحدود يقام ؟ قال لا قال ثم شبحته (١) بين العقابين فالمحدود يشبح ؟ قال لا قال ثم جلدته عريانا فالمحدود يعرى ؟ قال لا قال ثم حملته على جمل فاطفته فالمحدود يطاف به ؟ قال لا قال ثم حبسته بعد أن أقمت عليه الحد فالمحدود يحبس بعد الحد ؟ قال لا قال لا براني الله أبوء بإثمك وأشاركك في جرمك خذوا عنه ثيابه وأحضروا المحدود ليأخذ حقه منه ، فقال له من حضر من الفقهاء « الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه عارفاً باحكامه تقول الحق وتعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب من رغب عنه ، إن هذا يا أمير المؤمنين حاكم أجد برأيه فاخطأ فلا تفضح به الحكام وتهتك به القضاة » فامر به فحبس في داره حتى مات .

ورفع جماعة من ولد الحسن والحسين الى المأمون يذكرون أن فدك كان وهبها رسول الله « ص » لفاطمة وأنها سألت أبا بكر دفعها اليها بعد وفاة رسول الله [ص] فسألها أن تحضر على ما ادعت شهوداً فاحضرت علياً والحسن والحسين وأم أيمن فاحضر المأمون الفقهاء فسألهم عن . . (١) . . رووا أن فاطمة قد كانت قالت هذا

(١) شبح الرجل مده مداً مفرق اليدين والرجلين كالمصلوب . (التاج بايضاح)

(٢) بياض في الأصل ، ولعله فسألهم عن (ذلك) فرووا . (م ص)

وشهد لها هؤلاء وأن أبا بكر لم يجز شهادتهم فقال لهم المأمون ما تقولون في أم أيمن قالوا امرأة شهد لها رسول الله بالجنة فتكلم المأمون بهذا بكلام كثير ونصهم الى أن قالوا أن عليًا والحسن والحسين لم يشهدوا إلا بحق ، فلما أجمعوا على هذا ردّها على ولد فاطمة وكتب بذلك وسلمت الى محمد بن يحيي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ؛ ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام .

وغزا المأمون بلاد الروم سنة ٢١٨ وقد استعد لحصار عمورية وقال أوجه الى العرب فآتي بهم من البوادي ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى أضرب الى القسطنطينية فاتاه رسول ملك الروم يدعوه الى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى الذين قبله فلم يقبل فلما قرب من لؤلؤة أقبل فأقام اياماً وتوفي بموضع يقال له ﴿ البدندون ﴾ بين لؤلؤة وطرسوس .

وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ وسنه ثمان واربعون سنة وأربعة أشهر ، وصلى عليه أخوه ابو اسحاق ، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم ، وكانت خلافته منذ يوم سلم عليه بالخلافة في حياة المخلوع الى أن مات عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وكان الغالب عليه في خلافته ذوالرئاستين ثم جماعة ، منهم الحسن بن سهل ، واحمد ابن ابي خالد ؛ وأحمد بن يوسف ، وكان على شرطه العباس بن المسيب بن زهير ثم عزله وولى طاهر بن الحسين ، ثم عبد الله بن طاهر فاستخلف اسحاق بن ابراهيم ببغداد فوجه اسحاق باخيه طاهر بن ابراهيم خليفة له على شرطه ، وكان على حرسه شبيب ابن حميد بن قحطبة ثم عزله وولاه قومس واستعمل مكانه هرثمة بن أعين ؛ ثم عبد الواحد بن سلامة الطحلازي قرابة هرثمة ، ثم علي بن هشام ثم قتله وولى عجيف بن عنبسة ، وكانت حجابته الى احمد بن هشام وعلي بن صالح صاحب المصلى .

وخلف من الولد الذكور ستة عشر ذكراً وهم : محمد ، واسماعيل ، وعلي والحسن ، وابراهيم ، وموسى ، وهارون ، وعيسى ، واحمد ، والعباس والفضل ، والحسين ، ويعقوب ، وجعفر ، ومحمد الأكبر — وهو ابن معلاة وتوفي في حياته — ومحمد الأصغر ، وعبيد الله أمها أم عيسى بنت موسى الهادي .

أيام المعتصم بالله

وولي ابو اسحاق محمد بن الرشيد — وأمه أم ولد يقال لها ماردة — وبايع له القواد والجند الذين كانوا مع المأمون ، وبايعه العباس بن المأمون يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد ثلاث عشرة درجة واربعين دقيقة ، وزحل في الميزان خمس عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والمشتري في القوس درجة وعشر دقائق ، والمريخ في القوس اربع درجات وخمساً وثلاثين دقيقة وعطارد في الأسد ستاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة راجعاً ، والزهرة في السنبلة ثماني درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والرأس في الحمل عشر دقايق .

وامتنع بعض القواد من البيعة لمكان العباس بن المأمون فخرج اليهم العباس من مضر به فكلمهم بكلام استحمقوه فيه وشتموه وبايعوا لأبي اسحاق وانصرف المعتصم من الثغر يريد العراق فلما صار بالرقة ولى غسان بن عباد الجزيرة وقنسرين والعواصم ونفذ الى بغداد فقدمها يوم السبت مستهل شهر رمضان وعلى جنده الديباج المذهب وأقر عمال المأمون على أعمالهم ثلاثة أشهر ثم استبدل بهم .

وخرجت المحمرة بالجبل فقتلوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل وعرضوا لحاج خراسان فهزموه وقتلوا منهم جماعة فوجه المعتصم هاشم بن باتيجور فكانت بينه وبينهم وقعة فهزموا هاشماً فوجه المعتصم اسحاق بن ابراهيم في جيش واستخلف اسحاق على الشرط أخاه طاهراً ونفذ فوافقهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأقام حتى أصلح البلد بعد أن نالته منهم شدة .

وتحرك محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بالطالقان واتبعه جماعة فوجه اليه عبد الله بن طاهر بعض عماله فلما لحقه هرب محمد بن القاسم من الطالقان الى نيسابور وذكر أن القوم اعتقلوه وأنه لم يكن له فى ذلك إرادة فأخذه عبد الله بن طاهر فحمله الى المعتصم فحبسه فى قصره فهرب منه ليلة الفطر سنة ٢١٩ فطلبوه فلم يقدروا عليه .

ووثب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط فقطعوا الطريق فوجه اليهم المعتصم احمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي فهزموه فعقد المعتصم لعجيف فى جمادى الأولى سنة ٢١٩ وطلبوا الامان وخرجوا اليه على حكم المعتصم فادخلهم بغداد فاجاز المعتصم لهم الامان وأسكنهم خانقين

وسخط المعتصم على الفضل بن مروان وزيره وبطش بجماعة من أصحابه واستصفى أموالهم ووجه الفضل الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد وامر بطلب اموالهم فركب به الى داره وأخرج منها مالاً عظيما ثم نفي فقال فيه راشد بن اسحاق :

يكفيك من غير الأيام ما صنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان

وامتحن المعتصم أحمد بن حنبل في خلق القرآن فقال أحمد أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا فاحضر له الفقهاء وناظر عبد الرحمان بن اسحاق وغيره فامتنع أن يقول أن القرآن مخلوق فضرب عدة سياط فقال اسحاق بن ابراهيم ولني يا امير المؤمنين مناظرته فقال شأنك به فقال اسحاق هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك أو علمته من الرجال ؟ فقال بل علمته من الرجال فقال شيئاً بعد شيء أو جملة ؟ قال علمته شيئاً بعد شيء قال فبقي عليك شيء لم تعلمه ؟ قال بقي علي قال فهاذا مما لم تعلمه وقد علمكه امير المؤمنين قال فاني أقول بقول أمير المؤمنين قال فى خلق القرآن قال فى خلق القرآن قال فأشهد عليه وخلع عليه وأطلقه الى منزله .

وخرج المعتصم الى القاطول في النصف من ذي القعدة سنة ٢٢٠ فاختط موضع المدينة التي بناها وأقطع الناس المقاطع وجد في البناء حتى بنى الناس القصور والدور

وقامت الأسواق ثم ارتحل من القاطول الى سر من رأى فوقف في الوضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فاشترى من أهل الدير الأرض واختط فيه وصار الى موضع القصر المعروف بـ « الجوسق » على دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد والكتاب وسماها باسمائهم وحفر الانهار في شرقي دجلة وعمر العمارات ، ونصب الدواليب والدوالي على الأنهار وحملت النخيل والغروس من سائر البلدان ، وكان ابتداء ذلك في سنة ٢٢١ وبنى القرى وحمل اليها الناس من كل بلد وأمرهم أن يعمروا عمارة بلدهم ، وحمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس فعملوها فلم يأت في تلك الجودة .

واشتدت شوكة بابك وكان محمد بن البعيث قد شايعه وعصمة الكردي صاحب مرند في طاعته فوجه المعتصم طاهر بن ابراهيم أخا اسحاق بن ابراهيم عامل البلد وأمره بمحاربة القوم فلما قدم البلد كتب ابن البعيث الى المعتصم يعلمه أنه في الطاعة وأنه في التدبير على بابك وأصحابه ثم مكر بعصمة الكردي صاحب مرند فتزوج ابنته وصار الى مرند ثم دعاه الى منزله فحمل عليه وعلى من معه في الشرب فلما سكروا حملهم في الليل الى قلعته التي يقال لها « شاهي » ثم أنفذهم الى المعتصم فأجازه المعتصم وحباه وأعطاه ، وذلك لأنه أخبر طاهر بن ابراهيم بما كان منه وسأله أن يبعث اليه الحديد والبغال يحملهم اليه ففعل ذلك طاهر فحملهم الى المعتصم وكتب اليه بخبرهم فغلظ المعتصم على اسحاق وقال ما أرى عند أخيك شيئاً ولا أرى الرجلة إلا عند ابن البعيث ووجه الأفشين حيدر بن كاوس الأسروشني وعقد له على جميع ما اجتاز به من الأعمال وحملت معه الأموال وخزائن السلاح فلما صار الأفشين الى الجبل أخذ ما كان به الصعاليك والوجوه فنفذ فكانت بينه وبين بابك وقائع وكان عسكره بموضع يقال له « برزند » فصار بموضع يقال له « سادارسب » فأقام في محاربته حولاً حتى كثرت الثلوج ثم رجع الى برزند ثم وجه بخليفته الى « سادارسب » وزحف وصير في كل ناحية . . . . وصار بـ [دروذ الروذ] فخندق خندقاً وبنى سوراً وكمن

السكمناه وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنه ٢٢٢ فارسل اليه بابك يسأله أن يكلمه فوافقه وبينهما نهر فعرض عليه الأفشين الأمان فسأله أن يؤخره يومه ذلك فقال له إنما تريد أن تحصن مدينتك فان أردت الأمان فاقطع الوادي فانصرف واشتدت الحرب ودخل المسلمون مدينة البذ وهرب بابك وستة من أصحابه وأخرج من كان بالبذ من أسارى المسلمين فكانوا سبعة آلاف وستمائة ومضى بابك على بغلة وقد لبس ثياب الصوف وكتب الأفشين الى البطارقة بارمينية وآذربيجان في طلبه وضمن لمن جاء به الف الف درهم والصفح عن بلادهم فصار بابك الى رجل من البطارقة يقال له (سهل بن سنباط) فاخذه وكتب الى الأفشين بخبره فانفذ فأخذه (١) وكتب بالفتح وبما كان من تدبيره فقرئ الفتح وكتب به الى الآفاق في . . . . . حتى أصلح البلاد وسار واستخلف منكجور الفرغاني في خال ولده وقدم على المعتصم وهو بسر من رأى فتلقاه القواد والناس على مراحل ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٣ وبابك بين يديه على الفيل حتى دخل الى المعتصم فأمر بقطع يدي بابك ورجليه ثم قتله وصلبه بسر من رأى ووجه بأخيه عبد الله الى بغداد فقتله اسحاق بن ابرٰهيم وصلبه على رأس الجسر في الجانب الشرقي من بغداد .

وكان الأفشين لما قدم آذربيجان ولى ارمينية محمد بن سليمان الأزدي السمرقندي وقد خالف سهل بن سنباط بالران وتغلب عليها فدخل بلاده فباينه سهل فهزمه ، ووثب

(١) قال ابو تمام الطائي يمدح المعتصم ويذكر أخذ (بابك) بقصيدة طويلة مثبتة في ديوانه مطلعها :

آلت أمور الشرك شر مآل * وأقر بعد تخمط وصيال

يقول فيها :

لولا الظلام وقلة علقوا بها * باتت رقابهم بغير قلال

فليشكروا جنح الظلام ودروذاً * فهم لدروذ والظلام موال

محمد بن عبيد الله الورثاني بورثان فوجه اليه الأفشين منكجور ليحاربه وتكلم في امره علي بن يحيى الأرمني فآمنه المعتصم فقدم به علي بن يحيى ثم ولى الأفشين إرمينية محمد بن خالد بخارا خذاه فلما قدم حارب الصنارية وصار الى تفليس فبرهٌ اسحاق بن اسماعيل ووصله ثم ولى ارمينية علي بن الحسين بن سباع القيسي فاستضعفه أهل البلد حتى كان يسمى اليتيم لضعفه ، فولى المعتصم خالد بن يزيد إرمينية وناحية من ديار ربيعة فلما بلغ خبره ارمينية تحصن كل رئيس فيها واشتد خوفهم منه وعملوا على العصيان فكتب منصور ابن عيسى السبيعي صاحب بريد إرمينية الى المعتصم بذلك فرد خالداً وأمر باقرار علي ابن الحسين فلم يلبث إلا أياماً حتى شغب الجند عليه ببرذعة وطلبوا أرزاقهم فقال ليس لي شيءٌ والأموال عند أهل البلد وطالب أهل البلد فامتنعوا عليه وتحصنوا في حصونهم ثم تراسلوا واجتمعوا فحاصروه ببرذعة فوجه المعتصم حمدويه بن علي بن الفضل الى البلد فصار الى النشوي فخرج اليه يزيد بن حصن في الأمان « . . . . . » فكان لا يهيجهم خوفاً من أن يملوا عليه .

ودخلت الروم زبطرة سنة ٢٢٣ فقتلوا وأسروا كل من فيها وأخرجوهم فلما انتهى الخبر الى المعتصم قام من مجلسه نافراً حتى جلس على الارض وندب الناس للخروج ووضع الأعطاء وعسكر من يومه بموضع يعرف بـ ﴿ العيون ﴾ من غربي دجلة وقدم أشناس التركي على مقدمته ، وخرج يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة ٢٢٣ ودخل أرض الروم فقصد أرض عمورية وكانت من أعظم مدائنهم واكثرها عدة ورجالاً فحاصرها حصاراً شديداً وبلغ طاغية الروم فزحف في خلق عظيم فلما دنا وجه المعتصم بالافشين في جيش عظيم فلقي الطاغية وأوقع به وهزمه وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة فاوفد طاغية الروم من قبله وفداً الى المعتصم يقول إن الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمري وأنا أبنيها بمالي ورجالي وأرد من أخذ من اهلها وأخلي جملة من في بلد الروم من الاسارى وأبعث اليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب

البطارقة . وفتحت عمورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٢٢٣ فقتل وسبي جميع من فيها وأخذ ياطس خال ملك الروم وأخرب وأحرق كلما اجتاز به من بلادهم وانصرف فلما صار بأذنة حبس العباس بن المأمون لما كان بلغه من المعصية والخلاف واجتماع من اجتمع اليه من القواد ووجد له مائة الف وستة عشر الف دينار فأمر أن تفرق على الجند ويؤمروا أن يلعنوه فاحصوا فوجدوا ثمانين الف مرتزق فدفع اليهم دينارين دينارين وتمم ذلك المعتصم من عنده ودفع العباس الى الأفشين مقيداً ليسيره فلما صار « بحد راس » توفي « وقيل » إن الأفشين أطعمه طعاماً كثير الملح في يوم شديد الحر ومنعه الماء فحمل الى منبج فدفن بها ، وسخط المعتصم على عجيف بن عنبسة لأنه كان سبب معصيته وحمله من أذنة في الحديد الثقيل في فيه لبود قد خيطت عليه وفي عنقه غل عظيم فلما صار بموضع يقال له « باعيناثا » على مرحلة من نصيبين مات ودفن بها وسأل ابنه صالح بن عجيف أن لا ينسب اليه وأن يدعى صالحاً المعتصمي ولعنه وبرئ منه .

وكان المازيار وهو محمد بن قارن بن بنداد هرمز اصبهبذ طبرستان قد قدم على المأمون بعد وفاة أبيه وتصيير مملكة طبرستان الى عمه فملكه المأمون على مدينتين من مدن طبرستان وكتب الى عمه في تسليمهما اليه وخرج متوجهاً فلما بلغ عمه ذلك أغاظه وبلغ منه فخرج كأنه يتلقاه وكان مع المازيار مولى لأبيه له دراية فقال إن عمك لم يخرج في هذه الهيئة إلا ليفتك بك فاذا قربت منه وانفردت عن أصحابه فاني أدفع اليك الحربة فضعها في صدره ففعل ذلك فقتل عمه واجتمعت عليه المملكة وضبط البلد وكتب الى المأمون بأن عمه كان مخالفاً لملكه على البلد فلما عظم امره كتب من جيل جيلان اصبهبذ « اصبهذان بشوار » خرشاد محمد بن قارن مولى امير المؤمنين ، ثم ذهب بنفسه أن يقول مولى امير المؤمنين ، ثم تفاقم أمره حتى اظهر المعصية وخلع « وقيل » إن الأفشين كاتبه وحمله على الخلع فوجه المعتصم محمد بن ابراهيم لمحاربته

في جيش فنفذ وكتب الى عبد الله بن طاهر أن يمده بالجيوش فحاربه وألح عليه عبد الله بالبعثة اليه بالجيوش فحاربه فقطعوا الأودية والحزونة وخرج ليلاً فوضع يده في يد قرابة لعبد الله وقدم به سنة ٢٢٦ فضرب بالسياط حتى مات وصلب الى جانب بابك

﴿ فحدثني ﴾ محمد بن عيسى قال قدم بالمازيار وقد حبس الأفشين في ذلك الوقت فجمع ابن دؤاد بينه وبين المازيار وقال له هذا الأفشين الذي زعمت أنه حملك على المعصية فقال له الأفشين والله إن الكذب بالسوقة لقبيح فكيف بالملوك والله ما ينجيك كذبك من القتل فلا تجعل الكذب خاتمة أمرك ، فقال المازيار والله ما كتب إلي ولا راسلني إلا أن أبا الحارث وكيلي أخبرني أنه لما قدم عليه برّه واكرمه فرُدّ الأفشين الى الحبس فضرب المازيار حتى قتل ، وكان أول سبب حبس الافشين أن منكجور الفرغاني خال ولد الافشين وخليفته بآذربيجان خلع هناك وجمع اليه أصحاب بابك وسار الى ورثان فقتل محمد بن عبيد الله الورثاني وجماعة من اولياء السلطان فقال المعتصم للأفشين أحضر منكجور فوجه اليه الافشين بابي الساج المعروف بديوداد في جيش عظيم ثم بلغ المعتصم أن منكجور انما خلع بأمر الافشين وانما وجه اليه بأبي الساج مدداً له فوجه محمد بن حماد على البريد ووجه بيغا التركي فحارب منكجور فلما صدقه القتال ضرع منكجور الى طلب الأمان فاعطاه الامان وقدم به الى سر من رأى وقد حبس الافشين وكان حبسه سنة ٢٢٦ ثم توفي فى الحبس وصلب على باب العامة بسر من رأى عريانا ساعة من نهار ثم أنزل فاحرق بالنار (١)

(١) قال ابو تمام الطائي يمدح المعتصم ويذكر احراق الافشين بقصيدة مطلعها :

الحق ابلج والسيوف عواري * فحذار من أسد العرين حذار

يقول فيها : —

ولقد شفى الأحشاء من برحائها * أن صار (بابك) جار مازيّار

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثانٍ إذ هما فى الغار

وكان الغالب على المعتصم احمد بن ابي دؤاد الايادي قاضي القضاة ، والفضل ابن مروان الكاتب ثم غضب على الفضل فنفاه واستصفى ماله فغلب عليه محمد بن عبد الملك الزيات ؛ وكان على شرطه اسحاق بن ابراهيم ؛ وتلى حرسه عجيف بن عنبسة ثم الافشين ، ثم اسحاق بن يحيي بن معاذ ، وحجبه جماعة من الاتراك ، منهم وصيف وسيما الدمشقي ، وسيما الشرابي ، ومحمد بن حماد بن ﴿ دبهس ﴾ وتوفي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٢٢٧ وصلى عليه ابنه هارون ودفن في قصره المعروف بـ ﴿ الجوسق ﴾ وكانت سنه ٤٩ سنة ، وكانت ولايته ثماني سنين ، وخلف من الولد الذكور ستة ، هارون الواثق ، وجعفر المتوكل ومحمد ، واحمد ؛ وعلي ، والعباس .

أيام هارون الواثق بالله

وولي هارون الواثق بالله بن أبي اسحاق — وأمه أم ولد يقال لها قراطيس — يوم توفي المعتصم وهو يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٢٢٧ وكان من شهور العجم فى كانون الآخر ، وكانت الشمس يومئذ فى الجدي خمس عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة .

وتوجه اسحاق بن ابراهيم ساعة بايع الى بغداد فسار ليلته أجمع ووافى بغداد قبل أن يطلع الفجر فوكل بالأطراف والسجون وأحضر القواد والوجوه فأخذ عليهم البيعة ؛ ووثب عوام الجند والغوغاء بشعيب بن سهل قاضي الجانب الشرقي ببغداد فانتهبوا داره فوجه أسحاق جعفر [معلشه] وابراهيم الديزج وجماعة معهما فاخرجوا شعيب بن سهل حتى صاروا به الى دار اسحاق فاراد الواثق الحج في هذه السنة وصحت عزيمته فتأخر حجه وأذن لأمه فخرجت ومعها جعفر بن المعتصم فلما صارت بالكوفة توفيت ؛ وأذن الواثق لاخيه جعفر في النفوذ فنفذ وأقام الحج بالناس وكان أول من عقد له الواثق من قواده أشناس التركي ولاه من بابه الى آخر عمل المغرب فوجه

عما له وكتب الى محمد بن ابراهيم الأغلب بولاية المغرب من قبله وكان المدبر له احمد ابن الخصيب ؛ وولى الواثق خراسان ايتاخ التركي والسند وكور دجلة ، وكانت السند قد اضطربت وقتل عمران بن موسى بن يحيي بن خالد عامل السند فوجه ايتاخ الى السند عنبسة بن اسحاق الضبي فقدم البلد وقد تغلب عليه عدة ملوك فلما قدمها عنبسة سمعوا وأطاعوا وخرجوا اليه جميعاً خلا عثمان . . . . فسار اليه عنبسة (. . . . فأقام) على البلد تسع سنين .

ووثب ابن بيهس الكلابي بدمشق في جمع كثير من بطون قيس ووثب بفلسطين رجل يقال له تميم اللخمي ويعرف بابي حرب ويلقب بالمبرقع في لخم وجذام وعاملة وبلقين وصار الى كورة ﴿ الأردن ﴾ وخلع قوم من البربر ببرقة ومعهم قوم من قريش من بني آسيد بن ابي العيص ووثبوا بعاملهم محمد بن عبدويه بن جبلة فوجه الواثق رجاء ابن ايوب الحضاري فبدأ بدمشق فاوقع بابن بيهس فأسره وسار الى فلسطين فاوقع بتميم اللخمي وأسره وحمله الى سر من رأى فوقف بباب العامة ونودي عليه وصار رجاء الى مصر سنة ٢٢٨ فنزل الجيزة ثم توجه الى برقة فهرب من كان فيها وظفر بجماعة منهم فحماهم ثم انصرف .

وتوفي عبد الله بن طاهر بخراسان سنة ٢٣٠ وهو ابن سبع وأربعين سنة ومنزله منها بنيسابور ، وكانت ولايته اربع عشرة سنة وولى الواثق طاهر بن عبد الله ، وكان عبد الله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطها أحد ودانت له البلاد واستقامت عليه الكلمة .

وكانت بطون قيس قد عاثت فى طريق الحجاز وقطعوا الطريق حتى تخلف الناس عن الحج ونصبوا رجلاً من سليم يقال له عزيزة الخفافي وسلموا عليه بالخلافة فوجه الواثق بغا الكبير سنة ٢٣٠ وأمره أن يقاتل كل من وجده من الأعراب فشخص قبل أوان الحج فاجتمعت قيس من كل ناحية واكثرهم بنو سليم ورئيسهم عزيزة

فلقيهم فقاتلوه فقتل منهم خلقاً عظيماً وصلبهم على الشجر وأسر منهم عالماً حبسهم في دار يزيد بن معاوية بالمدينة فنقبوا وخرجوا على أهل المدينة فوثب عليهم أهـل المدينة فقتلوا عامتهم وحمل بغـا الباقين فى الأغلال ووافى اسحاق بن ابراهيم الموسم في تلك السنة .

وسخط الواثق على ابراهيم بن رباح وكان ابراهيم مقدماً عنـده بمكانه منه أيام إمرته فولاه ديوان الضياع فتشاغل باللهو وفوّض أمره الى نجاح بن سلمة كاتبه والى عمان ابن . . . . النصراني وتجافيا للناس عن أموال كثيرة فكثروا عليه عند الواثق وأمر بقبض ضياعه وأمواله وصير ما كان اليه الى عمر بن فرج الرخجي ، وكان احمد بن الخصيب كاتب أشناس التركي وهو يلي أعمال الجزيرة والشامات ومصر والمغرب ، والمدبر لذلك احمد فرفع الى الواثق أنه قد حاز أموالاً عظيمة فسخط عليه وقبض أمواله وأموال أخيه ابراهيم وعذبا وعذبت أمها .

وتوفي أشناس في هذه السنة فصيرت مرتبته واكثر أعماله الى ايتاخ التركي وتركت ضياعه وأمواله بحالها لولده ورد القيام بها الى عبد الله بن صاعد فلم يزل يقوم بها الى أن توفي .

وانتقضت إرمينية وتحرك بهـا قوم من العرب والبطارقة والمتغلبين وتغلب ملوك الجبال والباب والأبواب على ما يليهم وضعف أمر السلطان فولى الواثق خالد بن يزيد ابن مزيد وأمره بالنفوذ وضم اليـه كوراً من كور ديار ربيعة فسار في جيش عظيم فلما بلغ المتغلبين بتلك البلاد خبره هابوه وكتب اكثرهم يذكر أنه لم يزل في الطاعة ووجهوا بالهدايا فقال لا أقبل إلا هدية من جاءني فزاد ذلك في وحشتهم ، وكتب الى اسحاق بن اسماعيل يأمره أن يقدم عليه فلم يفعل فزحف اليه فكاد أن يعطي اسحاق بيده ، واعتل خالد فأقام أياماً ثم مات فحمل في تابوت الى دبيل فدفن فيها وتفرق أصحابه فعاد البلد الى اقبح احواله فولى الواثق محمد بن خالد مكان أبيه فكتب

محمد يذكر انصراف أصحاب أبيه وسأل ردهم اليه فوجه أحمد بن بسطام الى نصيبين فضرب وحبس وحرق الدور فاجتمع الى محمد أصحاب أبيه ومواليه فحارب الصمارية واسحاق حتى أخرجه وهزمهم ولم يزل ضابطاً للبلد .

وامتحن الواثق الناس في خلق القرآن فكتب الى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً وكتب طاغية الروم يذكر كثرة من بيده من أسارى المسلمين ويدعو الى الفداء فاجابه الواثق الى ذلك ووجه بخاقان الخادم « . . . . . » المعروف بأبي رملة والآخر جعفر بن احمد الحذاء وكان صاحب الجيش ، وولى الثغر احمد بن سعيد بن سلم الباهلي فصاروا الى موضع يقال له ﴿ نهر اللامس ﴾ على مرحلتين من طرسوس وحضر ذلك الفداء سبعون الف رامح سوى من ليس معه رمح ، وكان ابو رملة وجعفر الحذاء واقفين على قنطرة النهر فكلما مر رجل من الأسرى امتحنوه في القرآن فمن قال أنه مخلوق فودي به ودفع اليه ديناران وثوبان فبلغ عدة من فودي به خمسمائة رجل وسبعمائة امرأة ، وكان هذا في المحرم سنة ٢٣١ ، وصار احمد بن نصر بن مالك الخزاعي الى ابي دؤاد في بعض أموره فرده فانصرف ذاماً له فجعل يبسط عليه لسانه ويشهد عليه بالكفر فمال اليه قوم منهم وهم لا يشكون أن ذلك غضب للدين فاشرأبت قلوبهم المعصية لسبب القرآن ؛ وخرج قوم فضربوا بطبل وصاروا الى ناحية صحراء أبي السري فأخذوا وأقروا عليه فكتب الواثق الى اسحاق في إشخاصه فأشخصه اليه فكلمه بكلام غليظ وحضر قوم فشهدوا عليه بشهادات وامتحنه بالقرآن فابى أن يقول أنه مخلوق وشتمه الواثق فرد عليه فضرب عنقه وصلبه بسر من رأى ووجه برأسه فنصب ببغداد في الجانب الشرقي .

وخرج محمد بن عمرو الشيباني الخارجي بديار ربيعة وابو سعيد محمد بن يوسف بها فخرج اليه مع الجند ومحمد بن عمرو في ثلاث مائة أو أربعمائة من الخوارج فصار الى سنجار

ثم انهزم الى ناحية الموصل فتبعه ابو سعيد فاسره وادخله نصيبين على بقرة وحمله . . . . الى الواثق فكتب اليه ما ينبغي أن يقتل فانه لن يخرج خارجي ما دام حياً فلم يزل محبوساً أيام الواثق .

وفرق الواثق أموالاً جمة بمكة والمدينة وسائر البلدان على الهاشميين وساير قريش والناس كافة ؛ وقسم في أهل بغداد قسما كثيرة مرة بعد أخرى على أهل البيوتات وعلى عامة الناس وكثر الحريق ببغداد ، وفرق على قوم من التجار اموالا جمة وبنى لقوم وأسقط ما كان يؤخذ ممن يرد في بحر الصين من العشر .

وكان الغالب على الواثق احمد بن ابي دؤاد ، ومحمد بن عبد الملك ، وعمر بن الفرج الرخجي ، وكان على شرطه اسحاق بن ابراهيم ، وعلى حرسه اسحاق بن يحيى ابن سليمان بن يحيى بن معاذ ، واعتل الواثق فاشتدت علته حتى حفر له في الأرض حفير كالتنور ثم سخن بحطب الطرفاء وصير فيه مراراً ؛ وكان يقول في علته لوددت اني أقلت العثرة وأني حمال أحمل على رأسي ، وقيل له في البيعة لابنه فقال لا يراني الله أتقلدها حياً وميتاً ، وكان قد انتقل من قصور المعتصم وبنى له قصراً على شط دجلة يقال له « الهاروني » وجعل له دكتين دكة غربية ودكة شرقية ، وكان من أحسن القصور ، وكانت وفاته يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ وسنه يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وخلف من الولد الذكور ستة ؛ محمداً ، وعلياً ، وعبد الله ، وابراهيم واحمد ، ومحمداً الأصغر .

أيام جعفر المتوكل

وبويع جعفر بن المعتصم — وأمه أم ولد يقال لها شجاع — يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ ، وكان اول من بايعه سيما التركي المعروف بالدمشقي ووصيف التركي ؛ وركب الى دار العامة من ساعته ، وأمر باعطاء الجند لثمانية اشهر

وسلم عليه اولاد سبعة خلفاء مجتمعين ، منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وابو احمد بن الرشيد ، وعبدالله بن الأمين ، وموسى بن المأمون ، وأحمد بن المعتصم واخوته ومحمد بن الواثق ، وأقر الأمور على ما كانت عليه أربعين صباحاً ثم سخط على محمد بن عبدالملك واستصفى أمواله وعذب حتى مات وكان يعتمد عليه بامور كثيرة ، وكان محمد رجلاً شديد القسوة قليل الرحمة جباهاً للناس كثير الاستخفاف بهم لا يعرف له إحسان الى أحد ولا معروف عنده ، وكان يقول الحيـــاء خنث ، والرحمة ضعف والسخاء حمق ، فلما نكب لم يُر إلا شامت به وفرح بنكبته .

وكتب المتوكل الى علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام في الشخوص من المدينة وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أن قوماً يقولون إنه الامام فشخص من المدينة وشخص يحيي بن هرثمة معه حتى صار الى بغداد فلما كان بموضع يقال له « الياسرية » نزل هناك وركب اسحاق بن ابراهيم لتلقيه فرأى تشوق الناس اليه واجتماعهم لرؤيته فأقام الى الليل ودخل به في الليل فاقام ببغداد بعض تلك الليلة ثم نفـذ الى سر من رأى .

ونهى المتوكل النـاس عن الكلام في القرآن ، وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان ومن اخذ في خلافة الواثق فخلاهم جميعاً وكساهم جميعاً ، وكتب الى الآفاق كتباً ينهى عن المناظرة والجدل وأمسك الناس .

وسخط على عمر بن فرج الرخجي وعلى أخيه محمد وكان محمد بن فرج عامل مصر إذ ذاك فوجه كتاباً في حمله وقبضت أموالهما وكان ذلك في سنة ٢٣٣ وكان عمر محبوساً بسر من رأى فأقاما سنتين واعتل احمد بن ابي دؤاد من فالج فولى المتوكل ابنه محمـــداً المعروف بـ « أبي الوليد » مكانه وفي ذلك الوقت « . . . . » قال ابوالعيناء قد حبس لأنه بطل لسانه فكان لا يتكلم ، وسخط المتوكل على الفضل بن مروان وقبض ضياعه وامواله ونفاه ثم رضي عليه فردّه ، وسخط على احمـد بن خالد المعروف

بـ ﴿ أبي الوزير ﴾ فاستصفى امواله فى سنة ٢٣٤ ثم رضي عليه ، ولما سخط المتوكل على الكتاب قال لاسحاق بن ابراهيم انظر لي رجلين احدها لديوان الخراج والآخر لديوان الضياع فقال ها عندى يحيى بن خاقان وموسى بن عبد الملك بن هشام ؛ وكان يحيي محبوساً قبل اسحاق باموال كان يطالب بها من ولايته فارس وموسى محبوس ايضاً فاحضرهما فولى يحيى بن خاقان ديوان الخراج وموسى ديوان الضياع .

وأمر المتوكل أن يسلم الناس على ابنه محمد بالامرة ويدعى له على المنابر فكتب بذلك الى الآفاق وذلك فى ذي القعدة سنة ٢٣٤ ، واستأذن ايتاخ التركي فى الحج فى هذه السنة فاذن له فخرج فى أحسن زي واتصل بالمتوكل أنه كان على ايقاع الحيلة به فلما لم يمكنه ذلك طالب الحج فكتب الى جعفر بن دينار المعروف بـ ﴿ الخياط ﴾ — وكان عامل اليمن — بالمصير الى مكة وأن يأخذ إيتاخ بتعجيل الانصراف فلما صار الى مكة وافاه جعفر فانصرف الى العراق ووجه اليه سعيد بن صالح الحاجب فلقيه بالكوفة فلما قرب من بغداد تلقاه اسحاق فامره بنزع السواد والسيف والمنطقة وادخل بغداد فى قباء أبيض وعمامة بيضاء حتى صار به الى قصر خزيمة الذي على رأس الجسر فحبسه وقيده وقبضت ضياعه وامواله وبعث بسليمانْ بن وهب وقدامة بن زياد كاتبيه وبابنه منصور الى بغداد حتى جمع بينه وبينهم فبكتوه ووبخوه بما كان منه وأمر ابنه منصور أن يبصق فى وجهه فابى وقال لأمير المؤمنين عبيد يأمرهم بما أحب فأقام عدة أيام ثم مات فطرح فى دجلة ؛ وقبض ما كان لهرثمة بن النصر عامل مصر لما تأدى الى المتوكل من مكاتبته ايتاخ ومطابقته إياه وصير ما كان الى ايتاخ من أعمال مصر الى أبي اسحاق ولما بلغ عنبسة بن اسحاق عامل ايتاخ على السند الخبر سار الى العراق فولى المتوكل مكانه هارون بن ابي خالد ولم يعرض لعنبسة .

وتوفي الحسن بن سهل هذه السنة وكان قد لزم منزله قبل ذلك فلم يكن يتصرف في شيءٍ من أمور السلطان ، وكان محمد بن البعيث متغلباً على ناحية من آذربيجان

يقال لها ﴿ مرند ﴾ فنافره حمدويه بن علي عامل آذربيجان ثم . . (١) . . فحمله الى باب السلطان فلما قدم رفع على حمدويه بن علي فضرب حمدويه وأخذ باموال رفعت اليه وخلى سبيل ابن البعيث فأقام شهوراً وهرب من سر من رأى الى مرند وجمع اليه من كان بناحيته من الصعاليك وأظهر المعصية والخلاف فأخرج حمدويه بن علي من الحبس وولي البلد فسار اليه فحاربه فقتله وقوي امر ابن البعيث فوجه اليه زيرك التركي فحاربه ثم وجه اليه عتّاب بن عتّاب وكان البلد الى بغا الصغير فاقام يحاربه شهوراً ثم أعطاه الأمان فلما صار اليه حمله الى باب السلطان فحبس في يد اسحاق ، وذلك سنة ٢٣٥ فأقام في الحبس قليلاً ومات وحمل يحيى بن روّاد ايضاً فصير له اسم وقيادة .

وفي هذه السنة أمر المتوكل بلبس أهل الذمة الطيالسة العسلية وركوبهم البغال والحمير بركب الخشب والسروج التي فيها الاكر ولا يركبوا الخيل والبراذين ويصيروا على أبوابهم خشباً فيها صورة الشياطين .

وبايع المتوكل بولاية العهد من بعده لابنه محمد ثم لابنيه ابي عبد الله المعتز بالله وابراهيم المؤيد بالله وأحضر وجوه الناس من كل بلد الى سر من رأى فاعطاهم على البيعة الجوائز وأعطى الجند لعشرة أشهر ووجه الخطباء ليخطبوا بذلك ؛ وحج محمد المنتصر في هذه السنة ومعه أم المتوكل ووقف بالناس في الموسم فكان محمود الأخلاق في طريقه « . . (٢) . . » الى كل واحد ممن ولاه العهد ناحية من الأرض فصير الى المنتصر مصر والمغرب وكاتبه احمد بن الخصيب ، وصير الى أبي عبد الله المعتز بالله خراسان والجبل وكاتبه احمد بن اسرائيل ، وصير الى ابراهيم المؤيد بالله الشامات وارمينية وآذربيجان وكاتبه محمد بن علي المعروف .

(١) بياض في الأصل ولعله ثم (ظفر به) فحمله .

(٢) بياض في الأصل ولعله (وصير) الى كل واحد (الخ) (م ص)

وأمر المتوكل في هذا الوقت أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة فى شيء من عمل السلطان وأن تهدم الكنائس والبيع المحدثة ، ومنعوا من العمارة وكتب بذلك فى الآفاق

وتوفي اسحاق بن ابراهيم فصير الى ابنه محمد ما كان اليه من أعمال خراج طساسيج السواد واعمال مصر وكور دجلة وغير ذلك وزيادة أعمال (. . . . .) وفارس وخلع عليه سبعة أيام في كل يوم سبع خلع وعقد له ألوية كثيرة وكان عنده بافضل منزلة ، وأقر محمد عمال أبيه وكان كاتبه على الخراج علي بن عيسى بن (ازداد مرود) « ١ » وعلى الرسائل ميمون بن ابراهيم ، وعلى المظالم اسحاق بن يزيد قرابة هارون بن جيغويه ، ووجه الى فارس بالحسين بن اسماعيل مكان عمه محمد بن ابراهيم وأمره أن يعذبه حتى يستخرج الأموال التي صارت اليه فعذب حتى مات ، وكان عبد الواحد بن يحيي المعروف بـ (حوط) قرابة الطاهر على خراج مصر ومعاونها فاقره محمد بن اسحاق على جنده وأقام محمد بعد أبيه سنة ثم توفي فصير مكانه عبد الله بن اسحاق على الشرط فقط ، وأشخص كتاب محمد بن اسحاق الذين كانوا كتاب أبيه الى باب المتوكل فضرب عماله وأشخص علي بن عيسى كاتب اسحاق بن ابراهيم على طساسيج السواد من سر من رأى فولاه ديوان الخراج الأعظم فأقام عليه شهرين ثم صرفه ، وولى احمد بن محمد بن مدبر مكانه واستصفيت اموال الحسين واسماعيل ابنيه وأخذ احمد بن محمد بن مدبر عماله على طساسيج السواد فصالحهم على أموال عظيمة ، وولى احمد بن محمد بن مدبر سبعة دواوين ديوان الخراج والضياع والنفقات الخاصة والعامة والصدقات والموالي والغلمان والجند والشاكرية فوفر اموالا عظيمة .

وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر الى بغداد من خراسان سنة ٢٣٧ فصير اليه ما كان الى اسحاق بن ابراهيم وصيرت اعمال مصر الى عنبسة بن اسحاق الضبي من قبل المنتصر فلم يقم بمصر إلا شهوراً حتى أناخت الروم على دمياط في خمسة وثمانين

(١) كذا فى الأصل ولعله علي بن عيسى بن (جعفر بن المنصور) .

مركبا فقتلوا خلقاً من المسلمين وأحرقوا الفاً وأربعمائة منزل وكان رئيس القوم يقال له (وطوبارس) وسبوا من المسلمات الفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ، ومن نساء القبط الف امرأة ، ومن اليهود مائة امرأة ، وأخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط ومهارب الناس فغرق فى البحر نحو الفين وأقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا .

وسخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع لأمر وقف عليه منه فصير مكانه عبيد الله بن يحيى بن خاقان ورفعه وأعلى مرتبته ومحله وولاه ، وأمره أن يكتب مولى امير المؤمنين وكان ولاؤه في الأزد ، وأمره أن يأمر كتاب الدواوين أن يؤرخوا الكتب باسمه فاستعفاه من ذلك غير أنه كان يولي عمال الخراج والضياع والبريد والمعاون والقضاة في جميع الدنيا ولم يكن لأحد معه عمل ، وكان مع ذلك محموداً عند الناس وصير اباه على المظالم ثم مات فصير مكانه عمه عبد الرحمان وسخط المتوكل على محمد بن احمد بن ابي دؤاد وعلى أبيه فولى يحيى بن اكثم التميمي قضاء القضاة وقبضت ضياع ابن ابي دؤاد وأمواله وأحضر الى بغداد فلم يقم إلا قليلا حتى مات . (١) . اكابر ولده وأقام يحيى قليلاً ثم ولى مكانه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، وخرج المتوكل الى مدينة السلام سنة ٢٣٨ فنزل الشماسية في المضارب ثم دخل بغداد فشقها حتى خرج الى المدائن للنزهة .

واضطرب امر إرمينية وتحرك بها جماعة من البطارقة وغيرهم وتغلبوا على نواحيهم فولى المتوكل أبا سعيد محمد بن يوسف فخرج متوجهاً الى البلد ودعا بثيابه فلبسها ودعا بفرد خفه فلبسه وسقط ميتاً من غير علة ، فولى المتوكل ابنه يوسف فخرج حتى صار الى البلد وكاتب البطارقة فاجابه بعضهم وخرج بقراط بن اشوط اليه على الأمان فحمله الى المتوكل (و . . « ٢ » . . فحاربه سوان بن الف فقتله) وفسد البلد فوجه

« ١ » كذا في الأصل وفيه سقط ولعله (وحبس) اكابر ولده كما ذكره ابن الاثير

« ٢ » كذا في الاصل ، وفي تاريخ ابن الاثير في حوادث سنة ٢٣٧

المتوكل بغا الكبير فلما صار بأرزن أتاه موسى بن زرارة المتغلب على بدليس في الأمان فقيده وحمله الى المتوكل ثم صار الى موضع يقال له ﴿ الباق ﴾ فيه اشوط بن حمزة فحاصره ثم آمنه وحمله الى سر من رأى فضربت عنقه على باب العامة وصلب ، وكتب الى اسحاق بن اسماعيل المتغلب بتفليس أن يقدم عليه فكتب اليه أنه لم يخرج يداً من طاعة السلطان فان أراد الأموال أمده بها وإن اراد الرجال أنفذهم اليه وأن القدوم لا يمكنه فزحف اليه فحاربه وظفر به فضرب عنقه وحمل رأسه الى السلطان وزحف الى الصنارية فحاربهم فهزموه وفلوه فانصرف عنهم منهزماً وتتبع من كان أعطاه الأمان فاخذهم ، وهرب منهم جماعة وكاتبوا الروم وصاحب الخزر وصاحب الصقالبة واجتمعوا في خلق عظيم وكتب بذلك الى المتوكل فندب للبلد محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فلما قدم سكن المتحركون وجدد لهم الأمان .

ووثب أهل حمص سنة ٢٤٠ واخرجوا عاملهم وكان أبا البعيث موسى بن ابراهيم فخرج الى حماة فوجه المتوكل عتاب بن عتاب ومحمد بن عبدويه بن جبلة وصير محمداً عامل البلد فسكنهم وأقام بديارهم عدة شهور ثم وثبوا فشغبوا عليه فسكنهم ومكر بهم فأخذ جماعة من وجوههم وأوثقهم في الحديد فحملوا الى باب المتوكل ثم ردوا اليه فضربهم بالسياط حتى ماتوا وصلبهم على ابواب منازلهم ، وتتبع رجال الفتنة فافناهم وولى المتوكل احمد بن محمد خراج دمشق والأردن وذلك إن كتاب الدواوين احتالوا

— أنه بعد أن حمل بقراط بن أشوط الى المتوكل « اجتمع بطارقة ارمينية مع ابن اخي بقراط بن أشوط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط على ابنته فاتى الخبر يوسف ونهاه أصحابه عن المقام بمكانه فلم يقبل فلما جاء الشتاء ونزل الثلج مكثوا حتى سكن الثلج ثم أتوه وهو بمدينة طرون فحصروه بها فخرج اليهم من المدينة فقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه » وفسد البلد فوجه المتوكل (الخ) (م . ص)

عليه لخوفهم منه وقالوا إن البلد يحتاج أن يعدل ولا يقوم بالتعديل إلا من ولي ديوان الخراج فتوجه سنة ٢٤٠ يعدل دمشق والأردن وحمل كل أرض ما يستحقه .

وتوفي هارون بن ابي خالد عامل السند سنة ٢٤٠ وكتب عمر بن عبد العزيز السامي المنتمي الى سامة بن لؤي صاحب البلد هنالك يذكر إنه إن ولي البلد قام به وضبطه فاجابه الى ذلك فاقام طول أيام المتوكل .

ووجه طاغية الروم برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها ووجه شنيفا الخادم وكان يقوم بامنائه فعقد له على الفداء فقدم طرسوس سنة ٢٤١ وعامل الثغور احمد بن يحيى الأرمني وخرج الى القنطرة اللامس فنادى بالأسرى وكان قد حمل من كل بلد من فيه من أسرى الروم واشترى عبيد النصارى .

وبنى المتوكل قصوراً أنفق عليها أموالاً عظاماً منها الشاه ، والعروس ، والشبداز والبديع ، والغريب ، والبرج ، وأنفق على البرج الف الف وسبعمائة الف دينار وكان انقضاض الكواكب ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ٢٤١ ولم تزل تنقض من أول الليل الى طلوع الفجر ، وكانت الزلازل بقومس ونيسابور وما والاها سنة ٢٤٢ حتى مات بقومس خلق كثير ، ونالتهم رجفة يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان فمات فيها زهاء مائتي الف ، وخسف بعده مدن بخراسان ونال أهل فارس في هذا الشهر شعاع ساطع من ناحية القلزم ورهج أخذ باكظام الناس فمات الناس والبهائم واحترقت الأشجار ، ونال أهل مصر زلزلة عمت حتى اضطربت سواري المسجد وتهدمت البيوت والمساجد ، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة .

وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدبر يأمره باتخاذ القصور وإعداد المنازل ، وكتب في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد ، وسار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ونزل دمشق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٤٤ فنزل

تلك القصور فاقام ثمانية وثلاثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك أمر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة إلا في نزهة ، ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة أحد ؛ وأصابت الشأم كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبلة ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء وأسلموا منازلهم وما فيها واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ ، وانتقل المتوكل الى موضع يقال له ﴿ الماحوزة ﴾ (١) على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبنى هناك مدينة سماها ﴿ الجعفرية ﴾ وحفر فيها نهراً من القاطول ونقل الكتاب والدواوين والناس كافة اليها وبنى فيها قصراً لم يسمع بمثله وذلك في المحرم سنة ٢٤٦ وسخط على نجاح بن سلمة الكاتب ، وكان أغلب كتابه عليه بعد عبيد الله بن يحيى ؛ وكان لا يزال يتنضح بأموال الناس فسلمه الى موسى بن عبدالملك بن هشام صاحب ديوان الخراج والى الحسن بن مخلد بن الجراح صاحب ديوان الضياع وكانا قد ضمناه بألفي الف دينار فعذبه موسى بن عبد الملك اياماً فتوفي في يده فقبضت ضياعه ودوره وأمواله ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٢٤٦ .

وكان المتوكل جفا ابنه محمداً المنتصر فاغروه به ودبروا على الوثوب عليه فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧ دخل جماعة من الاتراك منهم بغا الصغير وأوتامش ، صاحب المنتصر ، وباغر ؛ وبغلوا ، ويرند ، وواجن ، وسمامه ، وكنداش ، وكان المتوكل في مجلس خلوة فوثبوا عليه فقتلوه بأسيافهم وقتلوا الفتح ابن خاقان معه ، وكانت خلافة المتوكل اربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام ، وسنه اثنتين واربعين سنة ؛ ودفن في قصره المعروف بالجعفري الذي كان سماه الماحوزة (٢)

---

(١) بالحاء المهملة والزاء المعجمة وفي تاريخ ابن الأثير والمعجم بالخاء المعجمة والراء المهملة . (م . ص)

(٢) قد ذكرنا أن ابن الاثير والحموي اورداه بالخاء المعجمة والراء المهملة .

وكان الغالب عليه الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الكاتب ، وكان صاحب شرطه اسحاق بن ابراهيم وبعده محمد بن اسحاق ؛ وبعده محمد بن عبد الله بن طاهر وكان صاحب حرسه اسحاق بن يحيى بن معاذ ؛ وبعده رجاء بن ايوب ، ثم سليمان بن يحيى بن معاذ ، وكان حجابه وصيف وبغا .

أيام محمد المنتصر

وبويع محمد المنتصر بن جعفر المتوكل — وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية — في الليلة التي قتل فيها ابوه وهي ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة ٢٤٧ .

وكانت الشمس يومئذ في العقرب خمس عشرة درجة واثنتين وخمسين دقيقة ، والقمر في الميزان ستاً وعشرين درجة واربع دقايق ؛ وزحل فى السنبلة إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة ، والمشتري فى الثور درجتين وخمساً وثلاثين دقيقة ، والمريخ فى القوس خمساً وعشرين درجة ودقيقتين ؛ والزهرة في العقرب درجتين وخمساً وعشرين دقيقة وعطارد في العقرب ثلاث درج واثنتين وعشرين دقيقة .

واحضر اخويه ابا عبد الله المعتز بالله وابراهيم المؤيد فاخذ عليهم البيعة وعلى جميع من حضر من الناس ، وركب الى دار العامة ، وأعطى الجند رزق عشرة أشهر وانصرف من الجعفري الى سر من رأى ، وأمر بتخريب تلك القصور فنقل الناس عنها وعطل تلك المدينة فصارت خراباً ورجع الناس الى منازلهم بسر من رأى ، وخلع اخويه المعتز والمؤيد وأشهد عليهما بخلعهما أنفسهما ، ونقل احمد بن محمد بن المدبر عن الشأمات الى مصر ، وفرقت أعمال الشامات على جماعة ، وكان الغالب عليه اوتامش واحمد بن الخصيب ، وكانت خلافته ستة أشهر ، وتوفي يوم السبت لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ، وكانت سنه خمساً وعشرين وستة أشهر .

* *
*

أيام أحمد المستعين

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو يوم السبت لاربع خلون من شهر ربيع الآخر .

وكانت الشمس يومئذ في الجوزاء خمس عشرة درجة واحدى عشر دقيقة ، وزحل في السنبلة ست عشرة درجة وسبع دقايق ، والمشتري في الجوزاء خمس عشرة درجة وسبع دقايق ، والمشتري في الجوزاء خمس عشرة درجة ، والمريخ في الجوزاء ثلاث درج وسبعاً وعشرين دقيقة ؛ والزهرة في السرطان اربع عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة ، وعطارد في السرطان أربع درجات واثنتين وعشرين دقيقة ، ولم يكن يؤهل للخلافة ولكنه لما توفي المنتصر استوحش الأتراك من ولد المتوكل وخشوا سوء العاقبة فأشار عليهم أحمد بن الخصيب أن يبايعوا احمد بن محمد بن المعتصم فبايعوه وأنكر بعض القواد البيعة وجرى بين الأتراك والأبناء منازعات حتى تحاربوا ثلاثة ايام ثم ضعف أمر الأبناء ؛ وفرّق المستعين في الناس اموالاً كثيرة واستقامت أموره .

وغلب على أمره اوتامش التركي ، وشجاع بن القاسم كاتب اوتامش ؛ واحمد ابن الخصيب حتى لم يبق لأحد معهم أمر ، ثم تحامل الأتراك على احمد بن الخصيب فسخط المستعين عليه ونفاه الى المغرب بعد اربعة اشهر من ولايته فحمل في البحر الى اقريطش ثم حمل الى القيروان .

ولم يكن أصحاب المستعين لأحد أخوف منهم لصاحب خراسان ، وتوفي طاهر بن عبد الله بن طاهر في رجب سنة ٢٤٨ وهو ابن اربع واربعين سنة فافرخ روعهم ودبروا أن يخرجوا محمد بن عبد الله من العراق الى خراسان فقال له المستعين إن ينفذ الى خراسان فقال إن أخي قد أوصى الى ابنه ولا آمن أن يكون في خروجي فساد البلد وكتب المستعين الى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بولاية خراسان مكان أبيه ، وخرج أبو العمود الشاري بديار ربيعة في هذه السنة فوجه اليه المستعين منكجور الفرغاني فواقعه فقتله

وفرق جمعه ، ولما توفي طاهر وولي محمد ابنه — وكان يوم وُلي حدث السن — تحرك قوم بخراسان من الشراة وغيرهم وكثرت الشراة حتى كادوا ان يغلبوا على سجستان فقام له يعقوب بن الليث ويعرف بالصفار من أهل البأس والنجدة فسأل محمد ابن طاهر أن يأذن له فى الخروج الى الشراة وجمع المطوعة فاذن له في ذلك فسار الى سجستان فنفى من بها من الشراة ثم زحف الى كرمان ففعل كذلك حتى نقى البلاد منهم فعظم شأنه فكتب المستعين الى محمد أن يوليه كرمان فاقام بها وأحسن أثره في البلاد

ووثب بالأردن رجل من لخم فطلبه صاحب الأردن فصار الى ﴿ مالملق ﴾ وهرب فقام مكانه رجل من عماله يعرف بالقطامي وكثف جمعه فجبى الخراج وكسر جيشاً بعد جيش أنفذهم اليه صاحب فلسطين فلم تزل هذه حاله حتى قدم مزاحم بن خاقان التركي في جمع من الأتراك وغيرهم ففرق جمعهم ونفاهم عن البلاد .

ووثب أهل حمص بعاملهم كيدر بن عبد الله الأشروسني فخرج اليهم في جماعة من الجند فهزموهم ولحق بحماة وقتلوا من الجند جماعة وصلبوهم فولى المستعين عبد الرحمان ابن حبيب الأزدي حمص فخرج متوجهاً اليه فلما كان على أربع مراحل منها توفي فولى الفضل بن قارن الطبري فقدم البلد فتلقاه أهله بالسمع والطاعة وشكوا قبح ما كان يعاملهم به كيدر فدخل المدينة فأقام أياماً والبلد ساكن ثم بلغه أنهم يريدون الوثوب عليه فأخذ جماعة منهم فضرب أعناقهم ؛ ونفى المستعين عبيد الله بن يحيي الى مكة ثم نفاه منها الى برقة وكان ذلك في أول سنة ٢٤٩ .

ووثب الجند بسر من رأى مرة بعد أخرى وتحاربوا وتحاملوا على اوتامش وقالوا أخذ أرزاقنا وأزال مراتبنا ، وخرجت عصبة من الأتراك والموالي الى الكرخ فخرج اليهم اوتامش ليسكنهم فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٩ ونهبت دورهما فوقع ذلك بموافقة المستعين وكتب الى الآفاق بلعنه .

ووجه المستعين جعفراً الخياط لغزو الصائفة سنة ٢٤٩ ومعه عمر بن عبد الله الاقطع

عامل ملطية فلما دخل الى بلاد الروم استأذنه عمر أن يوغل وكان في ثمانية آلاف فأحاط به العدو فأصيب هو ومن معه في رجب سنة ٢٤٩ ؛ وولى المستعين علي بن يحيي الأرمني إرمينية في هذه السنة وكان أمرها قد اضطرب فصار الى ميا فارقين وأغارت الروم وتوسطت بلاد المسلمين فاجتمع قوم من أهل ذلك البلد الى علي بن يحيي فكلموه في لقاء الروم ورفعوه فخرج معهم فالتقي عسكر الروم فقاتل قتالاً شديداً فقتل وأخذ الروم بدنه وعدوه فتحاً عظيما لما كان قد أشجاهم .

ووثب أهل حمص بالفضل بن قارن الطبري عاملهم في هذه السنة واستجاشوا عليه باحياء كلب فتحصن منهم بقصر خالد بن يزيد بن معاوية وقد كان جدده فحاصروه وغاله من كان معه وأسلمه فاخذوه وذبحوه وصلبوه على باب الرستن ؛ ولما قتلوه خافوا عامل دمشق فزحفوا اليه وهو نوشري بن طاجيل التركي فوجه اليهم بعسكر من البابكية وغيرهم فهزموهم وانصرفوا الى حمص ، ووجه المستعين موسى بن بغا الكبير في ستة آلاف من الموالي الى حمص فلما بلغها خرج اليه رجل يقال له « دابر العفار » في خلق عظيم من كلب وغيرهم فحاربه فكانت عليهم ودخل موسى حمص عنوة وأباحها ثلاثة أيام فانتهبت وطرحت النار في منازلها فانتهبت أموال التجار ؛ وكان الواثب بحمص الغطيف بن نعمة الكلبي .

ووثب ايضاً بالمعرة المعروف بـ « القصيص » وهو يوسف بن ابراهيم التنوخي فجمع جموعاً من تنوخ وصار الى مدينة قنسرين فتحصن بها فلم يزل بها حتى قدم محمد المولد مولى أمير المؤمنين فاستماله واستمال غطيف بن نعمة وصار اليه ثم وثب بغطيف بن نعمة فقتله وهرب القصيص فصار الى جبل الأسود واجتمعت قبائل كلب بناحية حمص على الامتناع على المولد فسار اليهم فواقعهم فكانت عليهم ثم ثابوا عليه فهزموه وقتلوا خلقاً عظيماً من أصحابه وانصرف الى حلب في فله ورجع القصيص الى قنسرين وجرت بينه وبين كلب محاربة وعزل المولد وولى ابو الساج الأشروسني ، وكتب الى القصيص

يؤمنه وصير اليه الطريق والبذرقة ثم ولاه اللاذقية ونحوها .

وكان يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام بسر من رأى فاتى بعض الولاة في حاجة فلقيه بما لا يحب فخرج الى الكوفة واجتمع اليه الناس فوثب بالكوفة وفتح الحبس وأطلق من كان فيه وأخرج عامل الكوفة وقوي أمره وكثر أتباعه فوجه المستعين رجلاً من الأتراك يقال له كلكاتكين ووجه محمد بن عبد الله بن طاهر بالحسين بن اسماعيل قرابته وزحف يحيى ابن عمر في خلق عظيم وجماعة كثيرة فالتقوا بموضع يقال له ﴿ شاهي ﴾ بين الكوفة وبغداد لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢٤٩ فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم اصحاب يحيى عنه وقتل في المعركة وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوضع بين يديه في ترس ودخل الناس يهنونه فقال له رجل من بني هاشم إنك لتهنأ بما لو كان رسول الله حاضره لعزي به .

ووثب جند فارس في هذه السنة بعاملهم الحسين بن خالد فشغبوا عليه ووثبوا على مال قد حمل فاخذوا أرزاقهم منه وكان رئيسهم علي بن الحسين بن قريش البخاري وكانت فارس مضمومة الى محمد بن عبد الله بن طاهر فلما بلغه الخبر ولي عبد الله بن اسحاق فشخص اليها في عدة وعدد فلما قدمها أعطاه الجند الطاعة وكان قصده ابن قريش فناله بالمكروه ثم رضي عنه وولاه محاربة قوم من الخوارج بناحية الفرش والروذان وهو الحد بين فارس وكرمان فصار ابن قريش الى ناحية اصطخر ؛ وكاتب الجند وأعلمهم أنه على الوثوب بعبد الله بن اسحاق فانجدوه على ذلك لسوء سريرة عبدالله فيهم ومنعه إياهم ارزاقهم ، ورجع علي بن الحسين فوثب به وأخرجه من منزله وانتهب امواله ومتاعه وأسروا علي بن الحسين عليهم وانصرف عبد الله الى بغداد فوجه محمد بن عبد الله بن نصر بن حمزة الخزاعي فلما قدم تألف علي بن الحسين فلم يصلح وأقام منافراً له في ناحية من كور فارس .

ووثب اسماعيل بن يوسف الطالبي بناحية المدينة لسبب كان بينه وبين الوالي بها وتحامل عليه في وقف كان له وجمع افيفاً من الأعراب ثم نفذ الى ناحية الروحاء فاخذ مالاً للسلطان وكان حمل من بعض المواضع ثم صار الى مكة وجعفر بن الفضل المعروف بـ « بشاشات » العامل بها فواقعه فهزم بشاشات ودخل مكة وأقام ثلاثاً ثم دفع الى المزدلفة وصبّح منى وقد تهارب الناس ودخل من كان مع ابن يعقوب مكة فقدر أهلها أنهم أصحاب اسماعيل فلقوهم بالسيوف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأقبل اسماعيل الى مكة فمنعه أهل مكة من الدخول فوضع أصحابه السيوف فيهم حتى دخل وطاف وسعى ورجع وطاف ثم صار الى منى ، وكان بمكة رجل يقال له محمد بن حاتم على نفقات المصانع فقال ليعقوب أقلع ما على درو ندى البيت والعتبة من الذهب والفضة وأعطه الناس وحارب اسماعيل فقلع ذلك الذهب وأقام اسماعيل بمنى أيام منى ثم انصرف .

(. . . .) وغلت الأسعار ببغداد وبسر من رأى حتى كان القفيز بمائة درهم ودامت الحرب وانقطعت الميرة وقلت الأموال فجرت السفراء بينهم سنة ٢٥٢ فدعا المستعين الى الصلح على أن يخلع نفسه ويسلم الأمر الى المعتز ويصير الى بلد فيقيم فيه آمناً على نفسه وولده على أن يدفع اليه مال معلوم وضياع تقيمه فاجيب الى ذلك فخلع نفسه وبايع محمد بن عبد الله ، وكتب المستعين كتاب الخلع على نفسه وأشهد بذلك وصار الى واسط بامه وولده وسائر اهله ليجعلها دار مقامه .

أيام المعتز بالله

وبويع ابو عبد الله المعتز بالله بن المتوكل — وأمه أم ولد يقال لها قبيحة — بسر من رأى يوم الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٢ ؛ وكتب الى جميع العمال بذكر ما تقدم من العقد لابراهيم المؤيد ويأمرهم بالدعاء له بعده ، وبايع عمال البلاد للمعتز لما علموا مبايعة محمد بن عبد الله بن طاهر ومن ببغداد ، وتوقف ابن مجاهد صاحب شمشاط ؛ وعيسى بن شيخ في فلسطين ويزيد بن عبد الله في مصر ، وعمران بن مهران

باصبهان ، ووجه المعتز حاتم بن زريك الى شمشاط فاوقع بابن مجاهد وأهلها وأخذه وجماعة من وجوهها الى آمد فضرب اعناقهم .

وزحف نوشري بن طاجيل التركي عامل دمشق الى عيسى بن شيخ وزحف اليه عامل فلسطين عيسى فالتقيا بالأردن وكانت بينهما حروب صعبة قتل فيها ابن نوشري وانهزم الجند عن عيسى فتركوه وحده فانهزم الى فلسطين فحمل منها ما قدر عليه وسار الى مصر ودخل نوشري الرملة ، ووجه المعتز برجل من الأتراك الى مصر بالبيعة فاحتبسه يزيد بن عبد الله عامل مصر بالعريش اياماً ثم أذن له في الدخول وبايع هو ومن بحضرته وعيسى بن شيخ للمعتز ، ووجه المعتز برجل من الأتراك يقال له محمد بن المولد الى فلسطين لما انتهى اليه خبر عيسى بن شيخ وما كان بينه وبين النوشري فلما صار محمد بن المولد بحمص وقد كان تغلب عليها غطيف الكلبي فدعاه الى الطاعة وأعطاه الأمان فاجابه فلما صار في يده ضرب عنقه فوثبت به كلاب من كل جانب فهزموه وصار محمد بن المولد الى فلسطين فلما قدمها انصرف النوشري عنها ، وسار عيسى بن شيخ من مصر مستعداً فلما وافى فلسطين نزل قصراً كان بناه بين الرملة ولد ولم يمكن ابن المولد فيه فرصة وحذر كل واحد منهما من صاحبه ثم انصرفا جميعاً الى العراق ، ووجه مزاحم بن خاقان الى ملطية وقد ظهر فيها الروم عدة مرار ، ووثب بمصر رجل من كنانة يقال له جابر ويعرف بأبي حرملة (. . . . .) فوجهه الى أسفل الأرض وقام هو موضعه فكشف جمعه وجبي الخراج .

وكان صفوان العقيلي قد وثب بديار مضر في أيام المستعين على ما ذكرنا من أمره ودعا للمعتز وحارب محمد بن داود المعروف بـ ﴿ ابن الصغير ﴾ فلما استقامت الكلمة وبايع من كان بالرافقة من العمال كتب محمد بن الأشعث الخزاعي صاحب البريد بديار مضر الى المعتز يذكر سوء مذهب صفوان وانه منطو على المعصية فوجه اليه المعتز بسيما الصعلوك ليحمله الى بابه ، وكان قد تحرك بحران في ذلك الوقت رجلان

أحدهما من ولد ابي لهب ، والآخر اموي ودعا كل واحد الى نفسه فبدأ سيما بهما حتى أخذهما ثم سار الى الرافقة وقد وثب صفوان العقيلي على محمد بن الأشعث الخزاعي فقتله فلقي سيما ابن عبدوس فكانت بينهما وقعات ثم دعا ابن عبدوس الى الصلح على أن يولى بلده ويدفع اليه تسعمائة الف درهم ، وأقام موسى بن بغا بهمذان ووجه خليفة له الى ناحية الكوكبي ابن الأرقط فكانت بينهما وقعات ، وزحف موسى الى عمران بن مهران المتغلب باصبهان فحاربه ثم انصرف واستخلف على البلد ورجع الى همذان .

وتوفي محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد في ذي القعدة سنة ٢٥٣ وكتب المعتز الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولايته على ما كان أخوه يتولاه من الشرطة وسائر الأعمال ، وكانت سن محمد يوم مات اربعاً واربعين سنة ، ثم وجه طاهر بن محمد ابن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان سليمان بن عبد الله عمه لما بلغه اضطراب الاحوال وغلبة وصيف وبغا وغيرهما من الاتراك على أمر الخلافة ﴿ فيقال ﴾ إن المعتز كتب اليه في ذلك فصار سليمان الى بغداد في خلق كثير من جند خراسان ثم دخل الى سر من رأى والناس لا يشكون في أنه سيغلب فخلع عليه ودبره وصيف وبغا أن ينحياه فأمر بالرجوع الى بغداد فقدمها يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٤ .

وأغزى بغا عيسى بن شيخ الى جند فلسطين ورصده الاتراك ليقتلوه بابن نوشري الذي كان قتله بالأردن فخرج مستتراً في يوم مطير في خيل جريدة حتى فاتهم وصار الى فلسطين فوجد بها اموالاً قد حملت من مصر فاحتبسها وفرض فروضاً من العرب وجمع اليه خلقاً من ربيعة ، وصاهر الى كلب وابتنى خارج مدينة الرملة حصناً سماه ﴿ الحسامي ﴾ .

ولما كثر الاضطراب تأخرت أموال البلدان ونفد ما في بيوت الأموال فوثب الاتراك بكرخ سر من رأى فخرج اليهم وصيف ليسكنهم فرموه فقتلوه وحزوا رأسه

في سنة ٢٥٣ وتفرّد بغا بالتدبير ثم تحرك صالح بن وصيف واجتمع اليه أصحاب أبيه فصار في منزلته ، وضعف أمر المعتز حتى لم يكن له أمر ولا نهي وانتقضت الاطراف وخرج بديار ربيعة رجل من الشراة يقال له مساور بن عبد الحميد ويعرف بأبي صالح من بني شيبان ثم صار الى الموصل فطرد عاملها وسار حتى قرب من سر من رأى ونزل في المحمدية (ثلاثة فراسخ من قصور الخليفة) فدخل القصر وجلس على الفرش ودخل الحمام وندب له المعتز قائداً وجيشاً بعد قائد وجيش وهو يهزمهم حتى كثف جمعه واشتدت شوكته .

وتوفي مزاحم بن خاقان لخمس خلون من المحرم سنة ٢٥٤ وصار مكانه ابن له يقال له أحمد فلم يقم إلا أياماً حتى اشتدت به العلة وتوفي ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر وتوفي في شهر ربيع الآخر وصار على البلد ارخوز بن اولغ طرخان التركي .

وفاة الامام علي الهادي عليه السلام

وتوفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بسر من رأى يوم الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ وبعث المعتز بأخيه ابي أحمد بن المتوكل فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع ابي احمد فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجتهم فرد النعش الى داره فدفن فيها وسنه أربعون سنة وخلف من الولد الذكور اثنين الحسن وجعفراً .

وتنكر المعتز لبغا وآثر صالح وبابكباك وصير الى بابكباك أعمال المعاون بمصر فولاها بابكباك من قبله أحمد بن طولون ، فقدم احمد بن طولون الفسطاط في شهر رمضان سنة ٢٥٤ وبلغ المعتز أن بغا قد عزم على الوثوب به فدبر على قتله فلما بلغه ذلك هرب فصار الى ناحية الموصل وهو يقدر أن اكثر الاتراك وغيرهم سيلحقونه فلم يلحقه أحد نصرف راجعاً في زورق فاخذه أصحاب المسالح وكوتب المعتز بخبره فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه ونهبت داره ونفي ابنه فارس الى المغرب في سنة ٢٥٤ ، ولما خاف المعتز

ونوب الأتراك أشخص من كان بسر من رأى من الهاشميين من أولاد الخلافة وغيرهم الى بغداد لئلا يخاس الأتراك احداً منهم .

وتلاحى احمد بن طولون وأحمد بن المدبر وهو عامل الخراج بمصر وأفسد بينهما شقير الخادم المعروف بأبي صحبة فكان شقير يتولى البريد وضياعاً من ضياع الأقطار وما يستعمل السلطان من المتاع (واليه ينسب الدبيقي الشقيري) وكتب كل واحد منهما في صاحبه فنصر بابكباك احمد بن طولون ، وكان بابكباك الغالب على أمر الخليفة وأعانه الحسن بن مخلد بن الجراح وابو نوح عيسى بن ابراهيم بن نوح فكتب بعزل ابن المدبر وتولية رجل من أهل مصر يقال له محمد بن هلال فتولى الخراج وقبض ابن طولون على ابن المدبر فقيده وألبسه جبة صوف ووقفه في الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر .

وقوي أمر يعقوب بن الليث الصفار فسار الى فارس وبها علي بن الحسين بن قريش متغلب فهزم جيشه وأسره وتغلب على فارس .

ووثب صالح بن وصيف التركي على احمد بن اسرائيل الكاتب وزير المعتز وعلى الحسن بن مخلد صاحب ديوان الضياع وعلى عيسى بن ابراهيم بن نوح وعلي بن نوح فحبسهم وأخذ أموالهم وضياعهم وعذبهم بأنواع العذاب وغلب على الأمر فهم المعتز بجمع الأتراك ثم دخل اليه فازاله من محبسه وصير في بيت وأخذ رقعته بخلعه نفسه وتوفي بعد يومين ، وصلى عليه المهتدي ؛ وكان ذلك يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ ؛ وكانت ولايته من يوم بويع الى يوم خلع فيه نفسه اربع سنين وتسعة أشهر ، ومنذ خلع المستعين وبايع له من ببغداد ثلاث سنين وسبعة أشهر وكان سنه اثنتين وعشرين سنة ، وخلف من الولد الذكور ثلاثة ، عبد الله ومحمد ، والمهتدي .

❁ * ❁

أيام محمد المهتدى بن هارون الواثق

واجتمع القواد أنه ليس في أولاد الخلفاء أفضل ولا أعقل من محمد بن الواثق — وأمه أم ولد يقال لها قرب — وكان ممن اشخص الى بغداد في أيام المعتز فأشخص فلما قدم بايعوه فاجتمعت كلمتهم عليه وكانت البيعة له يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ وجلس للناس يوم الخميس بعد أن بويع له ؛ وذكر في الكتب خلع المعتز نفسه وسماه « خالع نفسه » وظهرت من المهتدي سيرة حسنة ومذاهب محمودة ، وجلس للمظالم بنفسه ، وباشر الأمور بجسمه ، ووقّع في القصص بخطه ، وأبطل الملاهي وقدم أهل العلم ، وأقام يلبس اليوم الواحد لبسة فتقيم عليه أياماً كثيرة لا يغيرها وكان صالح وبابكباك الغالبين عليه ؛ وأخرج صالح احمد بن اسرائيل وعيسى بن ابراهيم بن نوح من الحبس الى باب العامة فضربا حتى ماتا ، وأفلت الحسن بن مخلد وردّ احمد بن المدبر الى خراج مصر فأقاما تسعين يوماً ثم ورد كتاب بابكباك الى احمد ابن طولون بازالة ابن المدبر ورد النظر الى محمد بن هلال ففعل ذلك .

ووثب أهل حمص بمحمد بن اسرائيل فخرج هارباً ولحقه ابن عكار فكانت بينهما وقعات قتل فيها ابن عكار ورجع ابن اسرائيل على البلد وأخرج قبيحة أم المعتز وأبا احمد واسماعيل ابني المتوكل وعبد الله بن المعتز الى مكة ، ثم ردوا الى العراق وكتب الى جميع المتحركين والمتغلبين بالأمان ، وكتب الى عيسى بن شيخ الربعي بمثل ذلك وأمره بحمل ما قبله من أموال مصر وغيرها فامتنع فكتب الى ابن طولون بالمسير اليه فسار اليه فلما وصل بالعريش ورد عليه الكتاب بالانصراف فانصرف ولم يلق حربا ، ولقي ابن شيخ أماجور التركي عامل دمشق فهزمه أماجور وقتل ابنه منصوراً ورجع ابن شيخ فحمل عياله الى صور وتحصن بها .

ووثب رجل من الطالبيين يقال له ابراهيم بن محمد من ولد عمر بن علي ويعرف بـ « الصوفي » بناحية صعيد مصر ، ووثب ايضاً في تلك الناحية رجل يقول إنه

عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فحارب السلطان ، وقوي أمر صاحب البصرة وصار الى الأبلة فاخربها ، ووقعت بين أهل البصرة العصبية حتى أحرق بعضهم منزل بعض .

وتنكر المهتدي للأتراك وعزم على تقديم الأبناء فلما علموا بذلك استوحشوا منه وأظهروا الطعن عليه فاحضر جماعة منهم فضرب أعناقهم وفيهم بابكباك رئيسهم فاجتمع الأتراك وشغبوا فخرج اليهم المهتدي في السلاح معلقاً في عنقه المصحف واستنفر العامة وأباحهم دماءهم وأموالهم ونهب منازلهم فتكاثر الأتراك عليه وافترقت عنه العامة حتى بقي وحده وأصابته عدة جراح ومر منصرفاً حتى دخل دار رجل من القواد يقال له أحمد بن جميل ولحقوه فاخذوه وحملوه على دوابه وجراحاته تنطف دماً فدعوه الى أن يخلع نفسه فابى ومات بعد يومين ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ وكانت خلافته سنة إلا أحد عشر يوماً .

أيام أحمد المعتمد على الله

وبويع أحمد المعتمد (١) على الله بن جعفر المتوكل في اليوم الذي قتل فيه المهتدي وهو يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ ، ومن شهور العجم حزيران ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبعاً وعشرين درجة وثماني وعشرين دقيقة والقمر في الدلو ثماني درج واثنتين وعشرين دقيقة ، وزحل في القوس خمساً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمريخ في الأسد ثلاث درج واربعين دقيقة ، والزهرة

(١) ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد تسمى فتيان وتوفي ببغداد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ وبويع قبل يوم من وفاته المعتضد احمد بن طلحة الموفق وأمه أم ولد تسمى حقير وتوفي سنة ٢٨٩ وله سبع واربعون سنة فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر و ٢٢ يوماً قاله المسعودي في التنبيه والاشراف ص ٣١٨ — ٣١٩ — ٣٢٠ — من طبع مصر . (م . ص)

في الأسد درجة واربعاً وأربعين دقيقة ، وعطارد في الجوزاء تسع درج وثلاثاً وثلاثين دقيقة ، وصير المعتمد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيراً وقلده أموره ، وكتب بالبيعة الى الآفاق فبايع بخراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبكور الفرات مالك ابن طوق التغلبي ، وبديار مضر وديار ربيعة وجند قنسرين ابو الساج بن ديوداد الأشروسني ، وبمصر احمد بن طولون التركي ، وامتنع عيسى بن شيخ بن الشايل الربعي من البيعة بفلسطين فوجه برجل من الأتراك في سبعمائة تركي يقال له [أماجور] فقدم أماجور دمشق وزحف عيسى بن شيخ اليه من فلسطين حتى أناخ بباب دمشق فحاصره ولما اشتد الحصار بدمشق خرج أماجور وأصحابه من المدينة واتبعه ابن لعيسى ابن شيخ يقال له (منصور) وخليفة له يقال له (ظفر بن اليمان) ويعرف بأبي الصهباء فحمل عليهما أماجور وأصحابه فقتل منصور بن عيسى بن شيخ وأسر المعروف بابي الصهباء فضرب عنقه وصلب وانصرف عيسى بن شيخ الى الرملة .

وزحف الخارج بالبصرة المدعي الى آل أبي طالب — واسمه علي بن محمد — الى الابلة فنهبها وأخربها وأحرقها بالنار ، وتوجه اليه سعيد بن صالح فوافقه بنهر أبي الخصيب .

ووردت كتب المعتمد الى احمد بن طولون عامل مصر يأمره برد أعمال الخراج الى احمد بن محمد بن المدبر وكان محبوساً في يده ومحمد بن هلال يتولى الخراج فأخرج يوم السبت لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦ ، وتولى الخراج وكان حبسه تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وفي هذه السنة تنازع قوم من بني هلال وقوم من أهل مكة في الموقف بعرفات فقتل قوم من هؤلاء وقوم من هؤلاء ، وكان صاحب الموسم الحسين بن اسماعيل الطاهري ، فأقام الحج للناس احمد بن اسماعيل بن يعقوب الملقب (كعب البقر) .

وتوفي بابكباك التركي فصير المعتمد ما كان اليه من أعمال مصر وغيرها الى يارجوج

التركي وكتب يارجوج التركي الى احمد بن طولون التركي عامل مصر باقراره على ما كان يتولى ، وولى المعتمد محمد بن هرثمة بن أعين برقة فقدم الفسطاط فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٧ ونفذ الى برقة .

ووجه المعتمد بالحسين الخادم المعروف بـ « عرق الموت » الى عيسى بن شيخ — وقد تغلب على فلسطين — بأمان على نفسه وماله وولده والصفح عما كان منه وتوليته إرمينية ففعل ذلك وشخص من البلد فى جمادى الآخرة سنة ٢٥٧ وسلم ما كان في يده الى ماجور التركي ولم يرد من الأموال درهماً واحداً ، وكانت في السماء نار عظيمة اخذت من المشرق الى المغرب ثم أجلت ، وتلتها هدةٌ شديدةٌ وزلزلة ، وكان ذلك مع طلوع الفجر لثمان بقين من رجب ، ومن شهور العجم في حزيران .

وحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلا في بيت المال بمصر الى امير المؤمنين المعتمد فكان مبلغه الفي الف ومائة الف درهم ، وقاد الخيل وحمل الطراز والخيش (١) والشمع ووازنه بنفسه حتى يسلمه الى أماجور التركي وأشهد به عليه وانصرف الى الفسطاط ، وكتب المعتمد بالله الى احمد بن طولون بولاية الاسكندرية مكان اسحاق بن دينار بن عبد الله فشخص احمد بن طولون الى الاسكندرية في شهر رمضان سنة ٢٥٧ ، وولى احمد المعتمد بالله احمد بن محمد بن المدبر خراج الشأمات وصرفه عن خراج مصر ، وولى خراج مصر احمد بن محمد شجاع المعروف بابن اخت الوزير فقدم الفسطاط في شهر رمضان من هذه السنة ، وعزل شقير الخادم المعروف بأبي صحبة عن البريد بمصر وولى مكانه احمد بن الحسين الأهوازي فقدم في شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة وجه احمد بن طولون رجلاً من الأتراك يقال له « ماطمان » في الف فارس مع حاج مصر وأمره أن يدخل المدينة ومكة بالصلاح والتعبية ويفعل مثل

---

(١) الخيش ، ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ تتخذ من مشاقة الكتان ومن اردئه أو من أغلظ العصب . (تاج العروس)

ذلك بعرفات وفعل ذلك ووافى عرفات بالأعلام والطبول والسلاح .

وفي هذه السنة دخل المدعي البصرة ونهب وحرق المسجد الجامع وتوجه اليه رجل من الاتراك يقال له « محمد المولد » فلما بلغه الخبر انصرف ولم يلقه .

وفي هذه السنة بدأ أمر المعروف بأبي عبد الرحمان العمري وأظهر رأسه لمحاربة أصحاب السلطان ولقي شعبة بن حركان صاحب احمد بن طولون فحاربه باسوان .

وفي هذه السنة وقعت عصبية بفلسطين بين لخم وجذام فتحاربوا حرباً أخذت من الفريقين ، وفيها حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد ، وأخرج احمد بن محمد بن المدبر من الفسطاط متوجهاً الى الشأمات في المحرم سنة ٢٥٨ فقام بالشأمات وقصد مدينة دمياط وتولى أعمال الخراج .

وفي هذه السنة دخل محمد المولد التركي البصرة وأخرج المدعي الى آل أبي طالب وأصحابه عنها ورجع قوم فلم يجدوا منزلاً يسكن .

وفي هذه السنة وثب جند برقة بمحمد بن هرثمة بن أعين عامل المعونة فاخرجوه عنها (فا . . « ١ » . . ه) الى الفسطاط ، وفيها اخرج احمد بن طولون الطالبيين من مصر الى المدينة ووجه معهم من ينفذهم وكان خروجهم في جمادى الآخرة وتخلف رجل من ولد العباس بن علي وأراد أن يتوجه الى المغرب فأخذه احمد بن طولون وضربه مائة وخمسين سوطاً وأطافه بالفسطاط .

وفيها وقع الوباء بالعراق فمات خلق من الخلق وكان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل أن ينصرف « فيقال » إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر الف انسان ، وفيها زاد ابو أيوب احمد بن محمد — ابن أخت الوزير عامل خراج مصر — في المسجد الجامع بمصر في آخر المسجد .

وفيها توجه ابو احمد بن المتوكل على الله الى المدعي الى آل ابي طالب الخارج بالبصرة

---

(١) كذا في الأصل وفيه سقط ولعله (فانفذوه) الى الفسطاط . (م ص)

في جمع كثيف وكان العسكر والزاد والسلاح في السفن فوقعت النار في السفن فاحترقت وانصرف ابو احمد راجعاً .

وفيها اخذ أحمد بن طولون على الجند والشاكرية والموالي وسائر الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه ويحاربوا من حاربه من الناس جميعاً .

وفيها غزا الصائفة محمد بن علي بن يحيى الأرمني وقدم شنيف الخادم مولى المتوكل الفداء فاجتمعوا بنهر [اللامس] ففادوا وشرطوا للروم هدنة اربعة أشهر ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٢٥٨ ، وفيها قتل يارجوج التركي بسر من رأى وبويع لأحمد بن الموفق بن المتوكل ولقب بالمعتضد بولاية العهد وصير اليه اعمال يارجوج من مصر وغيرها فدعي له على منابر مصر .

وحج بالناس الفضل بن العباس ونال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة [وخاف الناس] ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد فهربوا الى المدينة والى مكة يستجيرون بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالكعبة وأحضروا متاعاً من متاع الحاج الذين قطعوا عليهم الطريق ، وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية ، وكان ذلك في سنة ٢٥٩ ، وفيها تغير ماء نيل مصر حتى صار يضرب الى الصفرة وأقام على هذا الحال اياماً ثم رجع الى ما كان عليه ، وفي هذه السنة مات ابو صحبة شقير الخادم وابن مطهر الصنعاني صاحب بريد مصر .

* *
*

﴿ تم الموجود ﴾

من تاريخ ابن واضح الكاتب العباسي رحمه الله تعالى وعفا عنه ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

فهرس مواضيع الجزء الثالث

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

ملاحظات واستدراكات

جاء في صفحة ٢٠٢ سطر ٦ من الجزء الأول (سنة جديدة) والصواب (سنة شديدة) وفي ص ٢٩ س ١١ من الجزء الثاني (قام في مضجعه) وهكذا ورد في الأصل ولكن الصحيح (نام في مضجعه) وفي ص ١٥٣ س ٢ — ٣ من الجزء الثاني ايضاً (وقيل لم يصل عليه ، وقيل أحد الأربعة قد صلى عليه فدفن بغير صلاة) وهكذا ورد في الأصل ولكن في العبارة تقديماً وتأخيراً والصواب (وقيل أحد الأربعة قد صلى عليه وقيل لم يصل عليه فدفن بغير صلاة)

وقد ورد في ﴿ الأصل ﴾ بياضات كثيرة واسقاطات وتصحيفات وأغلاط نحسب أن جملة منها كانت كذلك في المخطوطة التي طبع عليها الأصل ولعل بعض الفاظها كانت مطموسة لم يهتد الطابع الى قراءتها وبعضها من غفلة الطابع نفسه ونحن — بفضل التتبع — اهتدينا الى اكثرها فاوردناها في الهامش مع بيان مصادرها واستظهرنا ايضاً جملة وافرة منها بالمناسبات وسياق الكلام محافظين على صورة الأصل ولكن بالرغم من كل ذلك بقيت بعض البياضات والتصحيفات على حالها لم نهتد اليها لخلو المصادر التي بايدينا منها وأوكلناها الى من توفرت عنده المصادر ووصل اليه اطلاعه من القراء الأفاضل ، ومما نحسب أنه سقط من حوادث سنة ٢٢٠ ذكر وفاة الامام محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، إذ من المستبعد جداً تعمد صاحب الكتاب على عدم ذكره مع أن سيره في الكتاب ذكر وفيات الأئمة من الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام الى الامام الهادي عليه السلام وهو إمام عصره وزمانه ، فلعل سقوطه غفلة من الطابع أو من الناسخ للمخطوطة والله العالم ، وكانت وفاة الامام محمد الجواد خامس ذي الحجة سنة ٢٢٠ وعمره خمس وعشرون سنة ودفن ببغداد الى جانب جده الامام موسى بن جعفر بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار ، ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص وابن

الأثير في التاريخ وغيرهما .

وعلى كل فقد بذلنا غاية الجهد والطاقة في تصحيح الكتاب وإخراجه بحلة قشيبة وصحة وإتقان فان أحسنا فذلك أقصى ما كنا نتمناه ونؤمله وإن لم نصل الى بغية الطالب فهو لا عن تقصير في السعي بل لقصور إذ العصمة لله وحده وفوق كل ذي علم عليم . (م . ص)



جدول الخطأ والصواب للجزء الثالث

ص	س	الخطأ	الصواب
٠٦	١١	المختارابن	المختاربن
٠٨	١٨	أبقال	أبقال هذا
٠٩	٠٣	خولد	خويلد
١٧	١٢	بن	ابن
٢٦	١٣	معيط	ابي معيط
٢٩	٢٠	الأندلسي	الأندلس
٣٠	١٦	طرخان	طرخون
٣١	١٧	فقيل	فى الاصل فصل، وفي هامشه فقبل
٣١	٢٢	إلى	على
٣٢	١٩	وعنم	وغنم
٤٠	٠٦	بمراكرهم	بمراكزهم
٤٥	١٠	من بلاد	من فى بلاد
٤٨	٠٦	وتقرظه	تقرظه
٤٨	١٦	أقطها	أقطعها
٥١	١٤	التميمي	التيمي
٥٩	٢٢	فلنراجع	فلتراجع
٦٠	٠٨	العزيف	الغريف
٦٥	٠١	فاستنفذوه	فاستنقذوه
٦٧	١٧	فدخل	فدخلوا
٨٢	١٧	أن محاصر	ان يحاصراه
٩٩	١٤	عبيد الله	عبد الله
١٠٢	٠٣	وافع	وواقع
١٠٤	٠٦	أسقط	سُقط
١٠٧	٠٨	زبز	نريز
١٠٧	١٨	الصفارية	الصنارية
١٠٧	٢٠	الصفارية	الصنارية
١٠٧	٢٢	الصفارية	الصنارية
١٠٨	١٥	مسلم	بن مسلم
١١٣	١١	(سحا)	(سحا) كذا فى الاصل
١٣٢	٠٧	يواحر	يواجر
١٣٧	٠١	الأزاق	الأرزاق
١٤٥	١٩	يسخيرني)	فى الاصل (يستجيرني)
١٦٤	٠٥	أليه	اليه
١٦٥	٠٩	بن سعيد	سعيد
١٧٠	٠٣	على فرسخ	(من بغداد على فرسخ
١٧١	٠٩	فرقتها	فرقها
١٨٠	١٠	كلما أقام	كلما مر
١٨١	١٠	لباس	ولباس
١٩٩	١٧	الاسروشنى	الأشروسني

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٠٩	١٠	وشخصس	وشخص
٢١٠	١٠	بتعحيل	بتعجيل
٢١٦	٢٠	وفى تاريخ ابن الأثير والمعجم)	كما فى المعجم وفى تاريخ ابن الاثير
٢١٦	٢٢	ابن الاثير والحموي أورداه	ابن الاثير أورده
٢١٨	٢٢	منسكجور	بلسكاجور
٢٢٥	٢١	نصرف	فانصرف
٢٢٥	٢٣	نقه	عنقه
٢٢٦	١٦	محبسه	مجلسه
٢٣٠	٢٠	بالصلاح	بالسلاح

﴿ * ﴾

TARIKH AL-YAQUBI

AUCTORE

ahmed ibn abi jakub ibn wadhih al - katib

AL-YAQUBI

SE VEND - AU LIBRAIRE AL MURTADAWIYAH AL NAJAF IRAQ
AU LIBRAIRE AL MUTHANNA PROPIENAIRE QASIM
RAJAB BAGHDAD

IMPRIMERIE - GARY AL NAJAF IRAQ

1939

